مكتبة جاز

بصيرا

أحمد بن ماجد

مكتبة جاز
تأسست عام 2024

يسعدنا أن نرافقك في رحلة المعرفة هذه.

لضمان حصولك على أحدث الإصدارات، والمصادر الإضافية، ومتابعة جديدنا في عالم الكتب، ندعوك للانضمام إلى مجتمعنا المعرفي عبر التلغرام.

للإنضمام اضغط هنا

أو من خلال مسح الكود:

(المُقدّمة)

القصص حول الظّواهر غير الطبيعية، أو كما يُحب أن يُسمّيها البعض "الماورائية"، كثيرة جدًا. وينقسم الناس هنا إلى قسمين: منهم من يصدّق تلك الظواهر، والقسم الآخر، وهم الأغلبية، من يُكذب تلك الظواهر. وأعتقد أن سَبب تَكذيبهم لها منطقي بعض الشيء؛ فظروف حياتهم لا تحتوي على تلك الظواهر التي تجعلهم من المؤمنين بحُدوثها. ولا يمكننا أن نَلومَهم، لأن تَصنيف تلك الظواهر بـ"الغريبة" كان لسبب واضح، ألا وهو عدم حدوثها باستِمرار أو معتاد، وهذا ما يُدخلها ضمن تَصنيف الغرابة. لكن تخيّل معي الآن، يا عزيزي القارئ، أنك تُولد بين تلك الظواهر الغريبة، ويُصبح من الغريب أن تفتقِد حدوثها من الأساس...

في الحقيقة، لم أنوِ الظهور للعلَن والبَوح بتلك الأحداث، التي قد يُتهَم قائلها بالتّوهّم أو قد يُصنَّفها البعض من أصحاب الحكم المُتسرّع بالجنون لكن خلال الأوقات التي اختَليتُ فيها بنفسي، سارحًا في مَلكوت الله عزّ وجل، قاطعَت تأمُّلي رسالةٌ نصية مكتوب فيها:

"مرحبًا، أنا غادة. أعطَتني صديقتي أنوار رقمك وذكرت لي أنك مُعالج روحاني مُتميّز، وقد ساعدتها سابقًا، حيث أن نوبات الصّرَع التي كانت لديها توقفت منذ ذلك اليوم. سألتها عن كيفية علاجك ولم أصدّق حينما أخبرتني أن سبب نوبات الصّرع التي كانت

تتعرّض لها هو بسبب عارض روحي. حينها انتابني الفضول وطلبت رقمك منها، قائلةً لها إنني أريد مساعدتك لأختي التي نظنّ أنها تشكو من عين".

خرجت من رسالتها وبدأت أقلّب في سِجلات الرسائل المرسلة، حيث أدركت حينها أنني لم أعد مَجهول الهوية كما ظنَنت... وقد يتعرّف عليّ البعض ممن يقرؤون الآن...

ومن خلال سنين حياتي التي قضيتها بين تلك الظواهر، أحببتُ أن أنقل لكم بعضًا من العلوم التي تعلّمتها مما يَحجُبه هذا العالم العجيب عنكم. تستّرت تلك العلوم وغُطّيت بغطاء الأساطير، وسوف أفعل المثل وأحتجِب تحت غطاء الرواية والقصّة التي لا تمت للواقع بصِلَة...

لذلك أحبَبتُ أن أُدوّن ما تيسّر من تلك العوالم، والتي أبصرت فيها ما لم يُبصره الجميع، وأتمنى عبر هذا السّرد الذي سأحتَفي تحت جناح الرواية والأساطير أن تُصبِح "بصيرًا" بما يَدور من حولك بعد اليوم...

قَبِلت...

شُكرا لك...

الآن سَوف أُساعِدك لتُصبح...

(بَصيرا) السُّعوديّة

تاريخ 1999\01\01

الفصل الأول

في إحدى المُدن الرئيسيّة تحديدا الساعة 12:01 بعد منتصف الليل...

في باحة قَصر كبير أشبَه بالغابة يُوجد تجمُّع قَبَليّ ضَخم يضُم آلاف الأشخاص من نفس القبيلة العريقة في أوّل كلّ شهر...

طفل صغير، رموشُه كثيفَة تُعطي طابع المُكتحِل، يبلغ من العمر ثمانية أعوام يجلس على كرسي خشبيّ ضَخم بزَخارف إسلاميّه قديمة.. ويقف خلفه مجموعة من الأطفال ورجل عملاق يَرتدي ثوبًا أسوَد على يَمينه...

أمام حُشود من الرّجال وفي صفّ طويل كل منهم يحمل أملًا في أن يجدَ علاجًا لمَرضِه والبعض كان يحمل همًّا في قلبِه ويُريد من يُخفّف عنه ويَستشِيره...
جلس الفتى بهدوء أمام الحَشد، مستمعًا لكل شخص بعناية، كان يستمِع إلى قصصهم ومعاناتهم، ويقدّم لهم حلولًا كانت غريبة بالنّسبَة لهم ولكنها فعالة...

يتقدّم رجل من بداية الصفّ...

(الرجل): السّلام عليكم..

(الفتى الأكحل) بابتِسامة: وعليكم السّلام.. كيف حالك أيّها العم (سعد) وكيف هي حال قدمك الآن؟

(سعد): وهوَ يضحك: إذا ما سَمعتُه عنك صحيح يا فتى.. كيف عرفتَ اسمي وعن إصابة قَدمي؟

(الفتى الأكحل) وهو يلعَب بكُرة صغيرة بين يَديه: دَعنا من كيفيّة ذلك يا عم وانتقل إلى موضوع مَجيئك...

(سعد): حَسنًا أيّها الفتى المُتحاذِق لنرى ما عندك.. في إحدى الليالي وكالعادة ذهبتُ إلى سَريري لكي أنام.. وفي بداية دخولي إلى نومي العميق أحسَستُ بشَيء غريب يَمشي على أقدامي، فرفعتُ الغطاء بسرعة ولمحتُ مثل الخيط الذي بدأ يلتفّ حولها بسُرعة مُكوّنًا علامة غريبة أشبَه بوَشم غَريب الشّكل ومن ثم أحسَستُ أن أربِطة عَضلات قدمي بدأت تتَمزّق شيئا فشيئا حتى أُغمى عليّ من شدّة الألم ومن ثُم...

(الفتى الأكحَل) مُقاطعا (سعد): ومن ثم استَيقظتَ في اليوم التالي بوَجهٍ طبيعي ولكن عند دُخولك إلى عملك تكرّر ما حدث لك ليلة البارحة صحيح؟

(سعد) بذُهول شَديد: نعم صَحيح هذا ما حدث معي بالتّحديد..!

صمتَ (الفتى الأكحل) وهو مُغمض عينيه وكأنه يَستمِع إلى شيء ما وبعد مُرور دقيقة كاملة من الصّمت...

نادى (الفتى الأكحَل) على أحد الأطفال الواقفين خلفَه وهَمسَ في أذنها: أُريدك أن تَجلبي هذه الأغراض لي يا (منار).

- كوب من المِلح الصخري.

- نصف كوب من الخلّ.

- ملعَقة من الحرمل.

- إناء كبير مَملوء بماء ساخن.

لم تَستطِع (منار) إخفاء فرحتها وبدأت تقفِز من مكانها وابتَسمَت ابتسامة واسعة، وقالت: بالطّبع، لك ذلك...

بدأ الأطفال بالخلف يضحكون بصوت عالٍ على (منار)، اقترب أحدهم بشامَة سوداء كبيرة على خدّه من (منار) وقال ساخرا: "أنتِ دائمًا تجعلينا نضحَك متى سوف تتوقّفين عن حركتك المُفرطة التي تَجعلك كالقرد..؟

ابتسمَت (منار) بتَباهٍ وقالت: بالطبع فأنا مصدر سعادة هذه المجموعة الكئيبة عَكسك أنت يا (يوسف)...

(يوسف) بتجهُّمه المعتاد: لا تُكثري كلامك معي لدينا عمل نقوم به..! خذي مجموعتك لكي يساعدوك على جَلب الأغراض المطلوبة وأنا سوف أذهب مع (علي) لنَجلِب الإناء الكبير.

(منار) بابتسامة خبيثَة: إذًا لم تترُك عادتك اللئيمة...

(يوسف) بتَجهُّم: عن أيّ عادة تتحدّثين..!

(منار) بسُخرية: كيف علمتَ بأمر الإناء؟ هذا يدلّ أنك عُدت إلى التّنصُّت من جَديد...

(يوسف) بغضَب: أردت تَسريع عَملية العلاج فقط...!

(منار) بابتِسامتها الخَبيثَة: لا تُكثر كلامك معي لدينا عمل نقوم به.. خذ (علي) بسُرعة واجلب الإناء واملأه بالماء الساخن كما طلبَ السيّد..

(يوسف) بغضَب وبصوتٍ عال: هيّا بنا يا (علي) لا أُريد أن أضيّع وقتي مع هذه الحَمقاء..!

تحرّك الرجل العِملاق الذي كان بجانب (الفتى الأكحَل) قائلا بغضب: تعلّم أن تَتأدّب مع من هم أكبَر منك سِنًّا يا (يوسف) لولا السيد لكنت الآن تحت رحمة قبضتي..!!

(يوسف) بخوف: ا ا أعتذر عن ذلك! وقال مُغيّرًا الموضوع بسُرعة: هيا لنذهب إلى القصر ونجلب الإناء...

(علي) وهو يَضحك: خوفك هو العامل الوحيد الذي يُبقيك على قَيد الحياة..

وبعد أن استمرّا في المشي لمدّة لا تقل عن عَشر دقائق، يَتبادلان فيها أطراف الحديث كان (يوسف) مليئًا بالطاقة والحَماس ليَستكشف ما بداخل القصر، بينما (علي) كان يسير بخطوات ثابتة وواثقة وبعد فترة من المشي وصلا إلى بوابة تَمتلئ بالزّخرفة الإسلامية لقصرٍ فاق الأنظار بحَجمِه، الأبواب كانت مَصنوعة من ذهبٍ خالص والجُدران زُينت بحجر الزّمرد الأخضر الجذّاب...

كان (يوسف) ينظُر حوله بعيون واسعة، مبهورًا بكلّ ما يراه أما (علي)، فقد كان يَسير بخطواته الثابتة، وكأنه يعرف كلّ زاوية في هذا القصر...

عندما دخلا القصر، ذُهلَ (يوسف) من محتويات القصر حيث كانت هناك غرف مليئة بالكتب من جميع أنحاء العالم، ومطابخ تحتوي على أشهى الأطعمة، وحدائق مليئة بالأزهار النادرة والنّوافير الجميلة..

(يوسف) كان مَبهورًا بكلّ ما يَراه، وبدأ يستكشِف القصر بحَماس أما (علي)، فقد ذهب إلى المطبخ لكي يحضر الإناء وما إن أمسك به حتّى سَمعا فجأة صرخات طفلة صغيرة تأتي من خارج القصر...

هرعَ (علي) و(يوسف) إلى الخارج ليَجدا طفلة صغيرة تبكي وتصرخ، بينما كان هناك رجل يحاول الاعتداء عليها وبدون تردد، اندفعَ (علي) بخطوات سريعة قائلا لـ(يوسف): أغلِق عينيها حتى لا تتأثّر أكثر من ذلك...!

لَطمَ (علي) المُعتدي بقوة على وجهه حتى انفصلَ رأسه عن جسده وبدأ يتدحرَج على الأرض إثر ضَربتِه..

(يوسف)، رغم خوفه ممّا رأى، وقف بجانب الطفلة مُحاولًا تهدئتها، كانت الطفلة ترتجف من الخوف، لكن وجود (يوسف) جعلها تشعُر بالأمان...

تَمتمَ (علي) ببعض الكلمات والّتي على إثرِها خرجت مخلوقات من الأرض تُشبه القنادس لكنها كانت ضَخمة وتمتلك قرونًا حمراء وأربع عيون وثمانية أطراف.. أمرهم (علي) بأخذ المُعتدي، بدأت المخلوقات بالتِهام جثّته تلقائيًّا وعادت إلى جوف الأرض...

جلس (يوسف) بجانب الطّفلة وبدأ يسأل عن سبب قُدومها إلى هنا وحدها ولكنها لم تُجب بسبب خوفها مما يحصل.. بينما عاد (علي) ليحضر الإناء لكي يَعودوا أدراجهم..

وفي طريق العودة سأل (علي) الطفلة قائلا: ما اسمك أيّتها الفتاة الجميلة..؟

(الطفلة) وهيَ ترتجف من الخوف: اسمي (حور)..

اقترب (علي) منها بلُطف وسألها: ما الذي يجعلك خائفة يا صغيرتي لقد ذهب الخطَر الآن...

نظرَت (حور) إلى الأرض وقالت بصوت خافت: أنا ضائعة ولا أعرف كيف أعود إلى أبي...

ابتسمَ (يوسف) وقال: لا تقلقي سنُساعدك في العودة إلى أبيك بأمان لكن أخبريني ما الذي أتى بك إلى هنا..؟

(حور): كنت ألعب في الغابة مع أبي بعدها ذهبت لأقطف بعض الأزهار ثم فقدت طريقي وبدأت أنادي أبي بصوت عالٍ حتى سمعتُ خطوات تَقترِب مني ففرحت وبدأت بالرّكض نحوها وما إن وصلت حتى ظهرت مَعالم وجه ذلك الرّجل الذي

ابتسمَ لي ابتسامة مخيفة ومن ثم حاول نَزع ملابسي بقوّة ولم أعلم لماذا حاول فعل ذلك حتى الآن...

(يوسف) بغضب: الحَقير، أكاد أقسم أنه يعلم أنها ليسَت ضِمن المجموعة لذلك تَجرّأ عليها..!

(حور) باستِغراب: عن أي مجموعة تتحدّث..؟

(يوسف): ألم تسمَعي من قبل عن مجموعة (الماورائيون الصّغار)؟

(حور): بلى لقد سمعتُ عنها عندما كنت في المدرسة ويقال أن مؤسّسها هو فتى من مَدرستي يلقّبونه (الأكحَل) لكثافة رُموشِه ويقال أيضا أنه حادّ الذّكاء ويتصرّف مثل البالغين...

(يوسف) بتَباهٍ: نعم ذلك هو رئيس مجموعتنا ونلقّبه نحن بالسيّد...

(حور): السيّد..؟ أليس لقبًا مُبالغٌ فيه على فتى في عمرنا...؟

(يوسف) بحميّة: ليسَت مُبالغة على من يستحقّه فأنت لا تعلمين ماذا قدّم لنا..!

صمتَت (حور) مُستغربَة من ردّة فعل (يوسف) متسائلة ماذا يكون له ذاك الملقب بالسيد حتّى يُدافع عنه بتلك الحميّة.. وبينما هي تفكر سمعَت صوت فتاة تنادي من بعيد...

- هيّا يا (يوسف) لقد تأخّرت مثل عادتك، السيّد ينتظرنا منذ مدة وقد سأل عن سبب تأخّرك أنت و(علي)...

(علي) وهو يُهرول بسرعة: لقد واجهتنا مُشكلة صغيرة وتخلّصنا منها اسبَقينا أنت يا (منار)

وجهّزي الأغراض ريثما نصِل..

(منار) مبتسمة بخُبث: حسنًا لكن إذا تأخّرتم أكثر من ذلك سوف أخبر السيد أن (يوسف) كان يلعَب داخل القصر...

توتّر (يوسف) وأمسَك بيد (حور) بقوة وبدأ بالجري بسُرعة حتى وصل إلى الساحة وخلفه كان (علي) يَحمل الإناء بحذر خشيَة أن يسكب الماء الساخن على الأرض..

ضحك (الفتى الأكحَل) على منظرهم وقال: لقد طلبت منهم الإناء وأتوني بعضوٍ جديد إلى مجموعتنا يا لهم من كرماء..

التفّ (سعد) وراءه ليرى ما يجري وقال بابتسامة: صدقت لقد أتوا بابنتي معهم لقد كنت قلقًا عليها عندما تركتها لأحجز مكاني في الصف...

(علي) وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: ها قد أحضرنا الإناء أيّها السيد...

(الفتى الأكحل): وَيحَك يا (علي) لقد قلت لك مرارا لا تناديني بالسيّد فأنا لست أهلا لهذا اللّقب بعد..

(علي) وهو يضَع الإناء على الأرض: أنت فقط من يُنكر ذلك يا سيدي..

تنهّد (الفتى الأكحل) باستِياء وهو يقوم من على كرسيّه الخشبي الضَخم وجلس على الأرض وقال: اجلس يا عم ريثما أحضّر لك العلاج..

جلس (سعد) على الكرسي الخشبي الضخم وشعر بنَفحات من الهواء بدأت تُحرّك شماغَه الأبيض تبعها شعور بالراحة والنعاس الذي لم يدُم طويلا بسبب قفز (حور) إلى حِجر أبيها والّتي بدأت بالبُكاء والنّحيب معاتبة أباها على تركها وحيدة في الغابة وكيف ساعدها (علي) و(يوسف)...

سمعَ (سعد) ما حصلَ لابنتِه وأدار وجهه نحو (يوسف) الذي كان يتّكئ على ركبتَيه ليلتقط أنفاسه بصعوبة بسبب جَريه السريع..

(سعد): أشكُرك على مساعدتك لابنَتي ذكرَت لي أنك أشعرتَها بالاطمئنان..

(يوسف) وهو يَستجمِع أنفاسه: لا تشكرني أنا بل اشكُر (علي) فهو من قام بالواجب..

(علي) بعصبيّة: لا أريد شُكرًا من أب مُستهتِر يترك ابنتَه وحدها بعالم مَليء بالذئاب البشرية..!

خجلَ (سعد) من نفسِه ولم يرد على (علي) ونظر إلى ابنتِه بحَسرَة شديدة بسبب ما حدث معها

وأقسم في سرّه ألّا يتركها وحدها من بعد اليوم.. دفع (الفتى الأكحل) الإناء باتّجاه قدم (سعد) وقال بجديّة: إن أردت الحفاظ على ابنتك جيدا يجب عليك أن تقوّيها وتُوعيها فبَقاؤك معها دائما وباستِمرار دون تَوعية تُذكر لن ينتج إلا بضعف شخصيّتها فقط.. وتذكر دائما أنك فانٍ ولن تبقى لها طيلة عمرها في هذه الدّنيا...

(سعد) بحزن: لكني أخجَل أن أتكلّم معها في هذه المواضيع...

(الفتى الأكحل): كونها صغيرة لا يَنفي كونها معرّضة للخَطر بل ذلك سبب أقوى لتَوعيتها فهناك ضعاف نفوس ممّن يسمّون أنفسهم بشرًا يستغلون جهل الاطفال وخجَل الآباء والأمّهات لكي يَفترسوا أطفالكم دون خوف من عواقب الأمور...

(سعد) بعَزم: صدقت يا فتى وأُعاهد نفسي أمامكم جميعا على أن أُوعّيها جيّدًا..

نظر (سعد) باتّجاه حور وقال بصرامة: غدا يا (حور) سوف أذهب إلى السوق وأشتري لك سيفًا خشبيًّا لكي أُدرّبك على مُقاتلة المُعتدين..!

انفجَر (علي) ضاحكا وقال: سوف تبقى مُستهترًا مهما حاولت..

(الفتى الأكحل) بابتسامة: هيّا يا عم العلاج جهاز..

أُريدك أن تضَع قدمَيك داخل الإناء وتغمض عينيك جيدا سوف تشعر بوَخز خَفيف لكن بعدها سوف تنتهي معاناتك بإذن الله...

(سعد): توكّلنا على الله...

أدخلَ سعد قدمَيه داخل الإناء الكبير مُغمضًا عيناه ولكن الحشود كانت مُبصرة تُراقب ما الذي يفعله

(الفتى الأكحل) بتَلهّف وبذُهول شديد.. والذي بدوره وضع يده اليمنى داخل الإناء الكبير وسمّى بالله وما إن نطقَ التّسمية حتى بدأ الماء الحار الذي بداخل الإناء بإخراج فَقاقيع صَغيرة بلوريّة الشكل رسَت على سَطح الإناء الكبير استمرّ الوضع على ما هو عليه حتى تبدّلت الماء بتلك الفَقاقيع البلورية، أحسّ (سعد) آنذاك بشيء يخرج من قدميه.. أخرَج (الفتى الأكحل) يدَه من داخل الإناء ثم مسحَ عليها بيده اليُسرى وقال بابتِسامِة والعرق يتصبّب من جَبينه: حمدًا لله على سلامتك يا عم يُمكنك فتح عينَيك الآن...

فتح (سعد) عينيه ورفع قدمَيه من الإناء الكبير، ولاحظ أن العلامة قد اختفت.. ابتسم ابتسامة عريضة، ونهض من على الكرسي الخشبي الضّخم مُمسكًا بيده(حور).. بدأ بتَقبيل رأس ويد (الفتى الأكحل)، معبرًا له عن شكره وامتِنانه الشديد.. حامدًا الله بصوتٍ عالٍ، وأخذَ حور ليعود إلى منزله.. خلال مَشيه، مَرّ بصفّ طويلٍ من الرجال الذين كانوا يتحمّدون له بسَلامته منتظرين دورهم، إلّا رجل واحد في آخر الصفّ كان غريب الشّكل حيث إنه كان مُلثمًا بلثام أسوَد ويرتدي ثوبًا أسود...

في مَشهَد مليءٍ بالتّوتّر والترقّب، يقف (علي) أمام الحشد الكبير من الرجال مناديًا بصوت جهوري يَملأ المكان: "فليتقدم التالي!".

تتّجه الأنظار نحو المنصة، حيث ينتظر الجميع بفارغ الصبر رؤية من سيكون الشخص الذي سيتقدّم..

كان هذا النداء يحمِل في طيّاته الكثير من المعاني الذي تَوارثَتها هذه القبيلة العريقة، فقد يكون دعوة للتحدي، أو علاجًا من مرض مُزمن، أو حتى لحظة حاسمة في حياة أحدهم..

استمرّ الوقت بالمُضيّ والناس تسير نحو الفتى الأكحل على أمل الشفاء.. كُلٌّ من ينتهي من مقابلة الفتى الأكحل ترى ابتِسامة قد اعتلَت شفتَيه والسّعادة تغمُره.. تفرقَ الناس مع آذان الفجر وبدؤوا بتناول الأحاديث الجانبية قبل أن يهمُّ بالذّهاب للمسجد.. استَقام الفتى الأكحل بعد جلوسٍ طويل المدى على ذلك الكرسي فَخم الصنع وبدأ بالتّثاؤب بقوة وهو يرفع يديه عاليًا كما لو أنه استيقظ من نومه للتّوّ..

- هيّا يا (علي) أريد العودة للمنزل..

قالها الفتى الأكحل وهو يحرّك ناظرَه تجاه (علي) الذي كان شامخًا بجانبه..

- لك ذلك يا سيدي...

أبدى الفتى الأكحل استياءً من كلام (علي) حيث إنه ناداه بسيّدي.. لكنه لم يُجِبه واكتفى بالنظر له بحدّة قبل أن يَدخلا لسيّارة سوداء فارهة ويغطّ الفتى الأكحل في نومه بداخلها..

قبل الأحداث بيوم..

تدخُل شابّة في منتصف العشرين لأحد المدارس المعروفة في المدينة..

ترتدي مِعطفًا أبيض ناصعًا كأحجار الجيري ونظارة طبيّة تُوحي على ضعف نظرها.. بيضاء البشرة، شعرها أشقَر مَسدول على الجانبين من رأسها حتى نصف ظهرها.. تُداعب الرياحُ شعرها قبل أن تدخل لمبنى المدرسة.. اتّجهت نحو مكتب مديرة المدرسة وهي تربط رداءَها الأبيض الذي كان مفتوحًا مسبقًا..

تدخل الطبيبة بعد أن طرقَت الباب لتجلس على أريكة حَمراء فاخرة الصُنع على الجانب الأيمن من المديرة..

- هل لديكم بعض الشاي..؟

قالتْها الطبيبة وهي تشبك أصابعها ببعض وتنتزِع النظارة من عينيها وتضعها في جيب المِعطف الخاص بها..

وقفت المديرَة وسكبَت لها بعض الشاي من إحدى الدِلال المصفوفة على طاولة طويلة مصنوعة من الخشب العتيق باللون البني الداكن..

- أنا (نسرين).. أعمل في شركة خارج البلاد ولكننا متجذّرين إلى أغلب دول العالم ونحن نبحث عن الطّلبة الموهوبين.. الذين فاقَ ذكاءُ عقلهم عمرَهم الصّغير فنريد عمل تَجربة بسيطة لاختبار الطلبة في مدرستكم..

أكملَت الطبيبة (نسرين) كلامها وبدأت بشَرح فكرة التجربة وما بعدها من الأمور..

(المديرة): أنا موافقة على هذه التّجربة الرائعة.. وأشكرك على اختيار مدرستنا.. أرجو أن تحصلوا على هدفكم وأرجو التوفيق لكم..

أجابتْها المديرة وابتسامتها لم تُفارق مُحيّا وجهها اللّطيف..

أخذَتا بعض الحوارات البسيطة في ما بينهما بعد حديثهما فكُلٌ منهما تتكلّم عن تجربةٍ خاضتها كما لو أنهما على تَعارف منذ سنين طويلة..

مرّت بعض الساعات وطُرِق جرس المدرسة معلنًا بدء اليوم الدراسي الأخير في الألفية الثانية..

2/1/2000

يَفتح الفتى الأكحل عينَيه الناعستَين ويبدأ بدعكها بقوة قبل أن يقِف من سريره الفاخر ذي الملمس الناعم.. غرفة اكتَسحَها الأثاث المُزخرف بطريقة مميزة تُوحي بأن الفتى الأكحل ذو ومكانة اجتماعية مَرموقة..

يطرق الفتى الأكحل باب غرفة في الطابق الثالث من منزلهم الضّخم.. يفتح الباب (علي) الذي كان مرتديًا زيّه الأنيق.. يُمسك (علي) الفتى الأكحل من يده وينزل نحو سيّارته السوداء ذات الطّراز الفَخم..

يفتح (علي) الباب الأيمن من السيارة وركب الفتى الأكحل على الكرسي ليضعَ حزام الأمان عليه ويَهمّ ذاهبًا لمقعده -مقعد السائق-

- كيف حالك اليوم يا سيدي..؟

- بخير الحمدُ لله.. رأيت حلمًا تريد مني تفسيره أليسَ كذلك؟

ابتسمَ (علي) وهزّ رأسه مؤيدًا..

بعد نقاشٍ بسيط حول حلم (علي) الذي كان يتكرّر له من فترة بسيطة.. وصل الفتى الأكحل للمدرسة وترجّل منها ولوّح لـ(علي) مودعًا فابتسمَ له (علي) وأدار مُحرّك السيّارة مبتعدًا عن المدرسة..

دخل المدرسة بعد أن رنّ جرسٌ يعلن بدء الطابور الصباحي.. وقف الفتى الأكحل بجانب (يوسف) وخلفهما (منار) التي كانت تمضَغ علكًا وتمُد واحدة تجاه الفتى الأكحل ثم لـ(يوسف)..

لفتَ انتباهَهم وجودُ أربعة أشخاص جُدُدُ بالمدرسة وهم أشبَه بالأطباء قد بدؤوا بالحديث عن موضوعٍ في الطابور الصباحي..

- أهلًا بكم يا طلاب مدرسة **** قد أتينا من شركة من خارج السعودية لعمل اختبار عليكم.. الاختبار بسيط ويحتاج منكم فقط التفكير بعُمق في الأسئلة المَطروحَة عليكم.. كما أنها لن تكون أسئلة علمية بل أمور حياتيّة تختبر مستوى تفكيركم.. سيتم توزيع عليكم أوراق بها أسئلة بعد ذهابكم لفصولكم وحين انتهائكم من الإجابة على السؤال ستَضعون الورقة داخل الصندوق الذي سيكون مع معلّمتكم...

زفرَت بقوّة ثم أكملت قائلة:

- الفائزون سَيكونوا أربعة أشخاص بين هذه المدرسة.. ولهم جوائز قيمة.. شكرًا لكم على حسن إنصاتكم.

انصرفَ الطلبة واحدًا تلوَ الآخر كَلٌ ذاهبٌ لفصله..

جلس الفتى الأكحل على مقعدِه بجانب (يوسف) الذي وضعَ رأسه على طاولته محاولًا النوم عليها ولكن إزعاج (منار) قد منعَه.. دخلت معلمة مادة العلوم وفتحت صندوقًا تراصّت فيه بعض الأوراق ووزّنت على الطلاب حتى وصلت إلى الفتى الأكحل فالتقَط أحد الأوراق التي كانت أكبر حجمًا من باقي الأوراق..

- ماذا كان سؤالك؟

قالها يوسف محاولًا اختِلاس النظر لورقة الفتى الأكحل ولكن ما يمنعه هو يد الفتى الأكحل التي كانت تضغط على وجهه حين اقتربَ منه..

(الأكحَل): يجب عليك أن تكفّ عن فضولك يا (يوسف).

اعتدل الفتى الأكحَل في جلستِه وفتح الورقة وقرأ السؤال وأجاب عليه بهدوء وأرجَع الورقة للصّندوق..

- لا تتعجّل يا بُني خذ وقتك بالإجابة..

قالتْها المعلمة وهي تبتسِم نحو الفتى الأكحل..

تبسّم الفتى الأكحل وهزّ رأسه يمينًا وشمالًا كأنه يقول لها لا داعي لذلك..

عاد الفتى الأكحل لمقعده وهو يأخذ نظرة خاطفة على طلّاب الفصل..

- متسرّع أحمق.. انظر لعينَيه كأنهما دب الباندا..!

قالها طالبٌ في آخر الفصل بصوتٍ خافت مُحدثًا صديقه على جانبه الأيمن.. لم يعتقد الطالب أن الفتى الأكحل قد يَسمَعه وما كان ليَعرف أن الفتى الأكحل حاد السّمع.. كان يفوق البشر الطبيعيين في كل شيءٍ تقريبا..

انتهَت الحِصص الدراسية الأولى ورنّ جرس بداية الفُسحة فخرج الفتى الأكحل مع يوسف الذي كان حاملًا كرة وبجانبه منار التي كانت لا تتوقّف عن الحديث..

بدؤوا باللّعب قليلًا في الساحة بحيث كان يوسف حارس المرمى مُتحديًا منار والفتى الأكحل بتَسجيل هدفٍ في مرماه.

دفعت منار الكرة باتّجاه الفتى الأكحل فسدّدها بقوّة نحو الهدف.. سقط يوسف على رأسه داخل هدفه وسقطت الكرة على رأسه.. مما يعني أنه أحرزَ هدفًا، تضحك

منار بقوة وهي تمسك بطنها من شدّة الضحك وهي تَهزأ بيوسف الساقط أرضًا وهي تردد للفتى الأكحل بصوتٍ مبحوح من الضّحك..

- لقد أحرزتَ هدفين.. هدفين..!

استقامَ يوسف وهو كالبركان المتفجّر من شدّة غضبه ووجهه قد أصبح أحمر.. نفضَ التراب من قميصه وهمّ راكضًا نحو منار بأقصى سرعته ولكنه لم يكن يُجاري منار الذي كانت تفوقه سرعة.. بدأت منار تبتعد عن يوسف وتستهزئ به فيزيد غضبًا ويلحقها ولا يُمسكها فتعيد حركتها المُستفزّة..

صدحَ صوتُ الجرس على مسامع الطلاب معلنًا على نهاية الفُسحة وبدء الحِصص الدراسية الثانية.

قبل انتهاء اليوم الدراسي جُمعَ الطلبة في ساحة المدرسة الخلفية لإعلان نتائج الاختبار..

وقفَت تلك الطبيبة مرة أخرى وأخذت (المايكرفون) من أيدي مُديرة المدرسة معلنة عن الفائزين..

- أهلًا يا طلاب.. الفائزين كما أخبرناكم مُسبقًا سيَكونون أربعة أشخاص..

أكملَت بعد أن ضربَت المايكرفون عدة مرات ليُصبح صوتها واضحًا:

- الفائز الأول (الفتى الأكحَل) من الصفّ الثاني..

ابتسمَ (يوسف) وبدأت (منار) تُزغرط بخفّة في أذن الأكحَل الذي بدا منزعجًا من (منار)..

- الفائز الثاني منار من الصفّ الثاني..

ابتسمَت (منار) حتى كادَت عيناها تُمطر بحرًا من الفرحة وبدأ الغَيظ والغيرة يُسيطران على (يوسف) الذي وجد نفسه مستحقًا للمركز الثاني أكثر منها..

- يَبدو أن الصفّ الثاني هو الأفضل في هذه المدرسة.. الفائز الثالث يوسف من الصفّ الثاني..!

لم يُبدِ (يوسف) ردّة فعل فقد كان يسعى للمركز الثاني.. فالأول قد جزمَ أن الأكحل هو من سيَحصل عليه..

- الفائز الرابع خالد من الصفّ الأول..

- توقّعتُ ذلك.

قالها الأكحَل وهو يُطقطِق أصابعه..

ذهب الأكحَل مع فِرقته الصغيرة نحو فصله ولكن خالد قد تأخّر قليلًا ثمّ ظهر من بعيد وهو يمشي ببطء في الساحة..

بعد انتهاء اليوم الدراسي خرجَ جميع الطلاب ثمّ الطّبيبة (نسرين) مع ثلاثة أطباء آخرين يَرتدون نفس الزي الخاص بها.. تَوجّه كل واحدٍ منهم للطلاب الفائزين وبدؤوا بالحديث مع آبائهم، أما عن (الأكحَل) فقد حضر (علي) بدل والده المَشغول.. تقدّمت (نسرين) نحو سيارة (علي)..

(الطبيبَة نسرين) وهي تطرُق نافذة السيارة: أهلا يا والد (الأكحَل).. أنا..

(علي): أهلا يا (نسرين)..

(نسرين): يبدو أن الأكحل أخبرك عني.. أنا وباقي زملائي هنا قد أتينا من خارج السعودية لاستِكشاف الأطفال الموهوبين لأخذهم وتنمية قدراتهم الذهنية والعقلية

وزيادة نِسبة معدل ذكائهم بما نسمّيه نحن الـIQ.. حاز (الأكحَل) على المركز الأول في اختبارنا البسيط..

هذه بطاقة دَعوة من مركزنا.. وهذه جائزة الأكحَل بمناسبة فَوزه

- شيك بمَبلغ مالي- نودّ منكم الحُضور قبل عودتكم إلى المنزل سيتم اختبار الأكحل في مركزنا باختبار آخر تبلغ قيمته مائة وخمسون ألف ريال سعودي.. فإذا نجَح في الامتحان سَتتكفّل شركتنا بتَدريسه مَدى الحياة وسوف نضمّه إلى مركزنا حيث إن ذلك سوف يُطوّر مَهاراته أما إذا فشل سوف تدفعون المبلغ المُستحق..

تبدّلت ملامح (علي) للاستِياء لسببٍ ما فوجّه نظراته نحو الأكحَل..

(علي): هل تُريد الذهاب يا سيّدي؟

(الأكحل): التجارب تَصقل العقل..

فهِم (علي) من كلام الأكحَل بأنّه يريد خوض تلك التجربة فالتفتَ نحو (نسرين) وشكرها وأخبرها أنه سيأتي برِفقتِه..

بدأ (علي) بتأمّل البطاقة التي احتوَت على شريحة رقميّة وكان في منتصفها شكل هَرم لُوّن بالأبيض والأسود وإحداثيات لموقع المركز وخلف البطاقة يوجد رقم 1 مكتوب بخط كبير.. شغّل (علي) محرّك السيارة مُتجهًا إلى العنوان المكتوب..

وصل (علي) و(الأكحل) إلى مبنى ضَخم بوّابته كبيرة، كان المبنى ملوّنًا بالأبيض والأسود يَعتليه من الجانب الأيمن نفس شعار الهرَم الذي كان على البطاقة... دخلا، ووجدا اثنين يَرتديان ملابس أطباء ويبدوان أجنبيّين عند مكتب الاستقبال.. توجّه (علي) و(الأكحَل) إليهما وأعطوهما البطاقة..

عرّف (علي) عن نفسِه وأخبراهما أنهما دُعيا لعَقد اختبار من قبل الطّبيبة (نسرين) وما إن سَمعا اسمها

ابتسم الاثنان ورحّبا بهما، ثم أخذ الطّبيب (الأكحَل) إلى غرفة تُشبه غرفة التّحقيقات، حيث كانت توجد كاميرات مراقبة وإضاءة واحدة معلّقة بنصف الغرفة وطاولة وكرسي خشبيّ وشاشة كبيرَة معلّقة على الجدار...

طلبَ الطبيب من (الأكحَل) الجلوس على الكرسي، ثم قدّم له ورقة الاختبار التي كانت أسئلتها غريبة، حيث كانت تتعلّق بالأمور الحياتية والاجتماعية والعلمية.. بدأ الفتى بالإجابة، وعند كل إجابة يرتفع العدد الموجود على الشاشة، والذي كان مكتوبًا عند كل نقطة اسم عالم وأوّلهم أينشتاين وبجانبه رقم معدّل الذّكاء الخاص بالعالِم...

انتهى الفتى من الاختبار، وصُدم الطبيب من النّتيجة حيث إن (الأكحَل) حقّق أعلى نِسبة مستوى ذكاء سُجّلت في المركز وتفوّقت نِسبة ذكائه على عشرة من العلماء البارزين عالميًا.. بدأ الطبيب يُحيّي (الأكحَل) ويرحّب به بشدة.. وأعطاه لباسًا بالأبيض والأسود ومن ناحية الصدر العلوي كان يُوجد شعار لهرَم بداخله مكتوب رقم 1، وقال له بحماس: من اليوم سوف تَبدأ معنا...

الطّبيب بابتسامة عريضة: هيا يا (أكحل) لنعود إلى أبيك ونُبشره عن اجتيازك للاختبار!.

كانت الفرحة تَملأ وجه (الأكحَل) وهو يتخيّل ردّ فعل (علي) عند سماع الأخبار السارة.. عاد الأكحَل والطبيب إلى غرفة الانتظار، كان (علي) يجلس بقلق، ينتظر الأخبار بفارغ الصبر..

وبمجرد أن رأى الابتسامة على وجه الأكحَل والطبيب، وقف بسُرعة وسأل: ما الأخبار..؟

ابتسمَ الطبيب وقال: اجتازَ الاختبار بنَجاح!

لم يتمكّن (علي) من إخفاء فرحته، فاحتضنَ (الأكحَل) بقوّة وقال: أنا فَخور بك يا سيّدي كنت أعلم أنك ستفعلها..! كانت الدموع تلمَع في عينيه من شدّة الفرح، وشعر (الأكحَل) بسعادة غامرة وهو يرى (علي) بهذه السعادة لكنه كان يتألم مُختنقًا من شدّة احتِضان (علي) له فقال بصوت عالٍ وهو يتألّم: أعتقد أني الآن بحاجة إلى طَبيب العِظام...

ضحكَ (علي) وأنزل (الأكحَل) على الأرض وسأل الطّبيب: ما هي متطلّبات الانضمام الآن..؟

(الطبيب): الطّلاب المَوهوبون مثل (الأكحَل) نوفّر لهم سكنًا خاصًا داخل مركزنا كي نتابع تطوّرهم ونُركز على أدقّ تفاصيل حركاتهم واستِجابتهم..

(علي): حسنًا سوف أذهب إلى المنزل كي أجلب أغراض السّيد..

(الطّبيب): لا داعي لذلك فمن قوانين سَكن الطلاب عدم جَلب أيّ أغراض من خارج المركز..

(علي) بعصبيّة: إذن ما الذي يضمَن لنا أنه يحصُل على حقّه من الراحة والطّعام والأمور الأخرى؟

(الطّبيب) ببرود: نحن سوف نوفّر له بيئه ممتازة تُناسب مَوهبتَه وسيكون هناك زيارة أسبوعية لكي تطمئنّوا عليه طِيلة السّبعة أعوام القادمة..

(علي) باستِغراب شديد: سوف يَمكُث هنا لمدة سبعة أعوام...!!!

(الطّبيب): نعم فنحن سوف نعمَل على تَطوير مَهاراته بوَجهٍ مُفصّل وحين تخرجه سوف نضمَن له دخوله إلى أيّ جامعة يَختارها..

(علي) باستِياء: ما رأيك يا سيدي هل تُريد الالتِحاق بهذا المركز الغريب حقا..؟

(الأكحَل): كما قلتُ لك سابقا يا (علي) التّجارب تَصقل العقل وأنا أحبّ أن أُطوّر من نفسي..

(علي): حسنًا يا سيّدي لك ما تُريد..

(الطبيب) بابتِسامة: إذَن اتبَعاني نحو مَكتبي كي نكمل إجراءات التّسجيل..

تبعَ (علي) و(الأكحَل) الطبيب وخلال مَشيهم كانا يَتفحّصان المركز، حيث كانت ألوان الجدران بالأبيض والأسود، والمكان مليئا بالغُرف الزّجاجية حيث إن المارّ يستَطيع رؤية ما بداخل الغرف من الخارج..

عند مُرورهم من الغرفة الأولى رَأيا طفلًا لا يَتجاوَز عمرُه الثلاث أعوام مَمدود على سَرير حديدي يَرتدي خُوذة مَوصولة بأسلاك وبجانبه طبيب يُسجّل الإحداثيات الموجودة على الشاشة التي كانت مَربوطة بالخُوذة.. وفي الغرفه التاليَة طفلًا آخر مَعصوبَ العينَين مربوطًا على كرسيّ حديدي والأسلاك مَوصولة بيَديه الاثنتين يتمتم ببطئ..

أثارَت تلك المشاهد استِغراب (علي) و(الأكحَل) حيث ارتسمَت معالم الخوف على وجه (علي) أما (الأكحَل) كان الفُضول يقتله لمعرفة ماذا يَدور داخل هذا المركز المُريب وبدأ يُحلّل ما رأى ودخل في دوامة من الاستِنتاجات التي قاطعَها صوت صرير الباب الحَديدي الذي فتحَه الطّبيب قائلا:

- لقد وصلنا إلى المكتب تفضّلا بالجلوس ريثما آتي بالورقَة التّسجيل..

دخل الاثنان إلى المكتب الذي كان عاتمًا جدا إلا من إنارة ضعيفة مصدرها من ذلك الشّعار الضّخم.. شِعار هرم أسود مُضيء باللّون الأبيض الباهت..

انتابَ (علي) شُعور بعدم الراحة سائلا (الأكحَل):

- أمتأكد من قَرار التِحاقك بهذا المركز يا سيدي، أشعر بعدم الراحة والخَطر يَحوم بالأرجاء...

(الأكحَل) بطرف ابتسامة:

- والدي قال لي سابقًا أن المَخاطر هي من تصنَع الرجال، أضِف إلى ذلك يا (علي) أني سوف أُرحَم من كلمة سيدي طِيلة السّبعة الأعوام القادمة...

ضحك (علي) قائلا:

- أجزِم لك يا سيدي أنها لن تُفارق مسامع أذنَيك فكلّ من يَراك يعلم انك تتسيّد ذلك السرّ الموجود بداخلك..

(الأكحَل):

- بالحَديث عن ذلك السرّ لماذا أنا لا أعلم عنه شيئا وكلما أسألك أنت ووالدي تُخبراني أني سوف أعرفه في الوقت المناسب؟ أظنّ أنه يجِب عليك إخباري الآن فإنك لن تَراني لمدّة سبعة أعوام...

(علي) بابتسامة:

- لم تفشَل يوما في استِغلال جميع الفرص التي أمامك يا سيدي.. حسنا أظنّ أن الوقت قد حان لإخبارك فقد يُفيدك ما أقول في رحلتك القادمة...

أضاف (علي):

- السرّ يكمُن هنـا (أشار إلى موضع في جِسمِـه) حيث إنك تستَطيع...

قاطعَ كلام (علي) دخول الطّبيب الذي كان مُمسكا بورقة سوداء حالكة قائلا...

- أعتذر عن التاخير...

همسَ (علي) قائلا:

- إذن لم يحِن الوقت المناسب بعد...

مدّ (الطبيب) الورقة نحو (علي) قائلا: بابتسامة خبيثة:

- أريدُ منك التّوقيع هنا في أسفل الورقة...

أمسكَ (علي) الورقة السوداء وما إن أمسكَها شعرَ بحرارة في كامل جسده.. تمالَك نفسه وبدأ يتفحّص فَحواها حيث لاحظ أن البنود كانت مكتوبه باللون الاحمر الغامق كأنها كُتبت بدماء بشرية وكان في الطرف الأسفل من الورقة ختم شَمعيّ باللون الأحمر الداكن على شَكل هرم..

تابع (علي) قِراءته للورقة، وكلّما انتهى من سَطر يقرأه تَزداد الحَرارة في جسده والذي تَبعَها خُمول شَديد كأنه في أيّ لحظَة سيفقِد وَعيَه.. وقّع (علي) في أسفل الورقة مثل ما طلب (الطبيب) منه وهو مُغيّب تماما عن ما يحدُث حوله وكأن يَده تحرّكت من تِلقاء نفسها...

أخذ (الطبيب) الورقة ومدّها نحو (الأكحَل) والابتسامة الخبيثَة لم تُفارق مُحيّا وَجهه الذي أصبَح كأنه شيطان مُتشكّل على هيئة (طبيب).. وما إن أمسك (الأكحَل) بالورقة حتى أصابَه ما أصاب (علي) ووقّع هو الآخر ومن ثم سَقط مُغمى عليه...

الفصلُ الثّاني

(كَشفُ السّتار عن مَركز الشّيطان)

في أرضٍ بعيدة مليئة بالسِّحر والكينونات الغريبة..

اندلعَت حرب شرِسة بين ممالك الجنّ، كان هناك فتى أكحَل العينين في طليعة جيشه، يقود الجن والمخلوقات الغريبة بمهارة وشجاعة.. كانت المعارك قاسية، لكن الأكحَل لم يتراجع أبدًا بفضل قوته وذكائه، تمكن من تحقيق النصر في النهاية..

بعد انتهاء الحرب، اقترب منه أحد قادة الجن وقال له: "لقد أثبتَّ نفسك كمحارب عظيم.. الآن، يجب أن تأتي معي إلى القصر الكبير، حيث سيُعقد اجتماع بين ملوك الجن؛ طَلبوك بالاسم كي تحضر معهم...

دخل الأكحَل إلى قصر كبير مُزركش يَدويًّا بعناية، وكانت الأنوار الخافتة تُضفي جوًا من الرهبة والغموض.. دخل إلى قاعة كبيرة وفي وسط القاعة، رأى خمسة رجال ضِخام الأجساد، يتوسّطهم رجلٌ يغطّي جسمَه الذهبُ بالكامل..

تقدم الأكحَل بخطوات ثابتة نحوهم، وعيناه تلمعان بحدّة، وقف الجميع وانحنوا له باحتِرام، قائلين:

- نحنُ ورث جدّك لك.

لاحظ الأكحل عند انحِنائهم وجود عرش ذهبي يعتلي القاعة، يلمَع ببريق ساحر..

تقدم أحد مُلوك الجن نحو الأكحَل وقال بصوت عميق:

- لقد أثبتَّ شجاعتك وقوتك في المعركة.. والآن، وجب علينا أن نرد الأمانة ونطلب منك أن تجلس على هذا العرش وتكون قائدًا علينا كي نفي بالعهد الذي كان بيننا وبين جدّك...

شعر الأكحَل بمَزيج من الفخر والمسؤولية الذي وقعَت على عاتقه.. تقدم بخطوات ثابتة نحو العرش، وجلس عليه.. في تلك اللحظة، شعر بقوة غامرة تتدفّق في عروقه، وكأن العرش يعترِف به كقائد..

نظر الأكحَل إلى ملوك الجن وقال:

- لولا أن قلتُم لي أنها أمانة ما كنت جلستُ على هذا العرش فإن عقبات السّلطة لا آخر لها.. لكن أعدكم أني سوف أكون عند حُسن ظنّكم وأحكم بحكمة وعدل، وسنَعمل معًا لبناء مُستقبل أفضل لممالك العالم أجمَع...

ابتسمَ ملوك الجن وأَومَؤوا برُؤوسهم، معترفين بسُلطته.. وهكذا، بدأ العصر الجديد...

(الإفاقَة)

الساعة 3:00 بعد مُنتصَف اللّيل...

في غُرفة مظلمة ومَهجورة، استيقظتُ على صوتٍ مرتفع ينبعث من جهاز تخطيط القلب.. كنت مُكبّلًا بأسلاك كهربائية ملتفة حول معصَمي وكاحلي، وكأني كنت أخضع لتجربة علمية غامضة.. كان هناك ضوء باهت يتسرّب من نافذة مغلقة بإحكام، والجدران مغطاة ببقايا خطوط مكتوبة بخط يد غير معروف وشعار الهرم يتصدّر تلك الخطوط...

تُحاول ذاكرتي أن تسترجع ما حدث قبل أن أفقد وَعيي.. هل كان هناك حادث ما؟ هل كان هناك أشخاص مُتخفّين في الغرفة..؟ لكني لم أستطع تذكر شيئًا سوى الظلال اللامعة والألم النابض في أطرافي...

رفعت رأسي، لأُلاحظ أني لست وحدي في هذه الغرفة الهالكة.. كان هناك كائنات غريبة تَحوم حولي، مختلفة الأشكال والأحجام.. كانت بعضها يشبه الفراشات الضوئية، والبعض الآخر كان يشبه الكائنات البحرية المتلألئة في غيبـــات البحار.. كانت تطير حولي بأناقة وخفّـــة، وكأنها تُراقبني بفضول شديد منتظرة ماذا سوف يحصُل لي..

حاولت التحرّك، لكن الأسلاك الكهربائية كانت مربوطة بقوة وإحكام في الأرض.. لم يكن لي أن أعرف كيف ولماذا انتهى بي الأمر هنا لكني كنت عازمًا على معرفة الحقيقة وراء استيقاظي في هذا المكان الغامض.. هل كان لدي أعداء يتربّصون بي..؟ هل كل هذه الكائنات هنا لمُساعدتي أم لتَهديدي..؟

وبينما كانت الأفكار تعصِف بي انفصلَت الأسلاك الكهربائية عن معصمي وكاحلي فجأةً.. تبعها انطِلاق إنذار بنور أحمر انعكسَ على وجهي والذي بدوره انبثقَ وصدحَ في أرجاء الغرفة العاتمة من عند الباب الحديدي للغرفة المنكوبة.. ظهرَت مَعالم ظلال خفيّة على جدران الغرفة تبعها صوت خَبيث كان مألوفا لي:

- لقد أفاق من غَيبوبتِه أخيرًا..

- لقد أكمل ثمانيَ سنوات وهو على هذه حاله ظَننتُه قد مات...

ثمانيَ سنوات؟! صُعقت في مَكاني وأحسَست أن دمائي قد تجمّدت من هول ما سمعت.. بدأت ذاكرتي تعود لي بسُرعة فائقة مثل اندفاع النّهر الجاري.. كانت الصدمة كبيرة بالنسبة لي، حيث لم أكن أتوقّع أني مَكثتُ طيلة هذا الوقت في هذا

المكان المُريب.. بدأت أتساءل عن عائلتي وأصدقائي وماذا يكون قد حدث لهم طيلة فترة غيابي، وكيف تغيّرت حياتهم خلال تلك السنوات كانت مشاعري مُتضاربة بين الفرح بالاستيقاظ والحُزن على السنوات الضائعة...

كنتُ ثابتًا في مكاني حتى بَرقَت في ذِهني ذكرى ما حدث ل (علي) الذي كانت ضبابيّة بعض الشيء.. لكن مشهَد الطّبيب وهو يُخرج نَصلًا حادًّا من جَيبه ويطعَن (علي) في صدرِه كان جليًّا وكأنّه حدث ليلة البارحة...

صلّبت ظهري من على السّرير الحَديد وصرخت بصوت عالٍ والدموع تنهمِر من عيني:

- لقد قتلتُموه لقد قتلتُموه يا لُعَناء..!!!

ضحك أحد الموجودين في الغرفة وبدأ يُقهقِه بخُبث واستِحقار قائلا:

- هذا الفتى حقا مُعجِزة؛ عاد من الموت واستَعاد ذاكرته بنفس الوقت..!

- توقّف يا (جون) ولا تُثر غضبَه فهو في حالة غير مُستقرّة بعد...

(جون) بابتسامة خبيثَة:

- انظري إلى عينَيه يا (ماري) إنها تلمَع بوَجه غَريب هذا يُؤكد أن ما أخبرنا به (البروفيسور) حقيقة...

(ماري) بخوف:

- لذلك اصمُت ولا تُثر غضبَه أكثر فقد ينقلِب ذلك ضدّنا وأنت تعلم أننا حتى الآن لم نَستطِع معرفة مصدر قوّة طاقته المَجهولة...

(جون) وهو يُثبت نظراته على عينه:

- لا أتوقّع أنه يَقوى على المَشي فقد كنا نسحَب طاقتَه طيلة الثّمانية أعوام وآخر جلسَة سَحب كانت البارحة فمن المستحيل أن يستطيع التّحرّك الآن...

كنت أستمِع لكلامهما وذكرى ما حدث لي (علي) تتردّد بذِهني.. دموعي جفّت ونبضات قلبي تسارعَت، اختفَت أصواتهم عن مسامعي ورنّ صوت طنين قوي داخل عقلي.. تملّكني الغضَب وفجأة أحسَست أن جَسدي امتلأ بطاقة قويّة لا أعرف مَصدرها والذي على إثرها بدأ جسدي يَنتفِض بقوة شعرتُ حينها أن عيني تُخرج شرارًا مثل اللّهب...

قفزتُ بخفّة من على السّرير الحديديّ وكأني كنت أطير في الجو.. توجّهت نحو اللّعين المَدعو (جون)...

غرستُ أصابعَ يَدي بقوّة في رقبتِه وبدأت أُمزّقها حتّى تناثرَت دماؤه على الجدران التي أصبح لونها أحمر بالكامل...

ركضَت (ماري) بهلعٍ شديد خارج الغرفة وأقفلَت الباب وهي تصرِخ بصوت عالٍ:

- (كود بلاك كود بلاك)..!!!

دخلَ حَشدٌ كبير من الأشخاص يرتدون ملابس سوداء وأقنِعة تُشبه الغراب، كانت ملابسهم أشبَه بملابس أطبّاء الطاعون...

انتَشلوني بقوّة من على جَسد (جون) وبَدؤوا يَحقِنوني بإبرٍ في كامل أطراف جسدي حتّى أُغمى عليّ من جديد...

استيقظتُ في اليوم التالي وأنا على السّرير نفسه أستَذكِر ما حدث ليلة البارحة، وأتساءل إذا كنت أحلم بكل هذا حتّى قاطع أفكاري دخول رجل برِداء ولِثام أسود وخلفه اثنان يَرتديان نفس لباس الطاعون...

- ألَم أُحذّركم من قبل ألّا تقتربوا منه إلا بإذنٍ مني يا فرقة (الغُراب القاتم)..!

- نعتـذِر منـك يا حضـرَة (البروفيسور) نَعـدك أنها لن تَتكرّر مرّة أخرى...

- اعتِذاركم لا مَعنى له يا حَمقى، إن علمَت القيادة العُليا بما جَرى سوف نَلقى حَتفنا جميعا..!!

ثمّ أضاف بابتِسامة خبيثة:

- افصِلوا عنه جهاز سَحب الطاقة وخُذوه الآن إلى غرفة الفحوصات أريد أن أتأكّد من حالة هذا الوَحش الصّغير...

- أمرك يا سيّدي..

فَصلوا عنّي الأســـــلاك التي كانت تُقيـــــدني أحسَستُ بحرّيتي للحظات ووضعت قدمي الحافية على الأرض مُحاولا المشي لكني بدأتُ أعرج مثل الطّفل الصغير الذي يُحاول المشي... أمسكَني اثنان من جانبيّ وجرّاني خارج الغرفة، قال أحدهما:

- لا يُمكنك المَشي الآن؛ لقد كنت في غَيبوبَة طويلة من الطبيعي أن جسدك ليسَ مُتأقلمًا على حركتك، أضِف إلى ذلك لقد كبرت وزاد طولك وحَجمك يجب عليك دخول غرفة التّأهيل كي تتعوّد على جسدك الجديد...

استمرّا بسَحبي حتى وصلنا إلى ممرّ طويل يقف على جانبَيه سِرب من الأطباء يَرتدون ملابس الطاعون... عبرنا من جانبهم وعند مُروري منهم كنت أسمَعهم يتَهامَسون بينَهم قائلين:

- هل هذا هوَ الرّقم واحد...؟!

- لم أتوقّع أنه ما زال حيًّا..!

- لقد سمعتُ أنه تهجّم على (جون) ليلة البارحة فلقيَ حَتفَه...

- أمتأكّد أنّك تتكلّم عن (جون) هذا مُستَحيل...!!!

تابَعنا المَشي حتى وصلنا إلى غُرفة كانت في آخر الممرّ بابُها حَديدي مُصفّح، ما إن وقفنا عندها حتى فُتح الباب أصدرَت البوّابة صوتًا عميقًا، وكأنها لم تُفتَح منذ قُرون ومع كلّ بوصة تُفتح، بدأ الدخان الكَثيف يتسرّب منها، يَغشى الرؤية ويَملأ الهواء برائحة غريبَة...

كان الدُّخان كثيفًا لدرجة أني لم أتمكّن من رُؤية ما يجري حولي حتى رأيت شيئا يلمَع وسط الغرفة... كانت نظّارة أو بالأحرى شَخص واقف يَرتدي نظّارة... سَحبوني داخل الغرفة وأُغلقَت البوّابة تلقائيًّا.. مَدّدوني نحو سطح حديديّ بارد، بدأ الدّخان يخفّ ومعالم الغرفة بدأت تتّضح لي بعض الشيء...

وجدتُ نفسي على جهاز الرّنين المغناطيسي.. طلب مني أحد الأطباء أن أستَرخي...

أغمضتُ عيني مُحاولا الاستِرخاء، وبدأ أحدُهم بلفّ حزامًا مَطاطيًّا حول خَصري وما إن انتهى من لفّه بدأ الجهاز بالعمَل...

في تلك الأثناء بدأتُ أفكّر بحالتي المَيؤوس منها وما الذي سَيفعلُه بي هؤلاء الأنجاس، تبعَتها أفكار وخِطط بالهروب من هذا المكان اللعين وفجأة، سمعتُ أصوات هَمس خافتة داخل أذني تقول لي:

- (لا تقلَق نحن هنا معك وسَوف نُساعدك).

كانت الأصوات هادئة ومطمئنة، وكأنها تأتي من مكان بعيد.. شعرتُ بالدّهشة والارتياح في نفس الوقت، لكني لم أكن متأكّدا مما إذا كنت أتخيّل هذه الأصوات أم أنها حقيقية...

في تلك اللحظة، أصدرَ جهاز الرّنين المغناطيسي إنذارًا عاليًا وتوقّف عن العمل فجأة.. هرعَ الأطباء الذين كانوا داخل الغرفة، مُستغربين ممّا جرى.. حاولوا إعادة تشغيل الجهاز، لكن دون جدوى.. رفعتُ رأسي أنظُر حولي بدَهشة، مُتسائلًا عما إذا كانت تلك الأصوات الغامضة هي السّبب في توقّف الجهاز...

بينما كان الأطباء يُحاولون فهم ما حدث، شعرت بشُعور غريب من الطّمأنينة، وكأنّ هناك قوة خفيّة تَحميني، لم أعرف مصدر تلك الأصوات أو كيف ساعَدتني، لكني كنت ممتنًّا لتلك اللّحظة الغامضَة...

فُتح باب الغرفة ودخل ذاك الملقّب بـــ (البروفسيور) وخلفه أربعة أطباء آخرين بنَفس لبس الطاعون المَقيت...

(البروفيسور) بضَحكة خَبيثة:

- لقد فعلتَها مُجدّدا يا رقم واحد...!

أجبتُه بغضَب:

- أنا لستُ بضاعة عندك كي تسمّيني برقم.. اسمي (الأكحَل) تذكّر هذا الاسم جيّدا فسوف تلقى حتفَك على يَدي يا نَكرَة..!!!

(البروفيسور) بكَيديّة:

- ألقى حَتفي على يدك أنت..؟ أتعلم أين نحن..؟ أتعلم

مع أيّ جهة تتحدّث..؟ نحن من نتحكّم بالعالم يا فتى ما الذي تظنّ نفسك فاعلًا بحُكام الأرض أيّها الصّعلوك الصّغير...؟!!

- بل أنتُم حكام الفساد والظلام وأُقسم لك مهما طال الزّمان أو قَصُر نهايتك ونهايتكم جميعا سوف تكون على يَدي يا أذلّاء..!!!

(البروفيسور) بغضَب:

- خُذوا هذا الحَقير بعيدًا عن وَجهي، اسحَبوه إلى غرفة التّعذيب حتى يعرف مع من يَتعامل..!!!

أمسَك بي الأربعة الذين كانوا خلفَه وكبّلوني بقيود حديديّة وبدؤوا بسَحبي خارج الغرفة، وكان سِرب (الغراب القاتم) ما زال موجودا يُراقبونني بتَمعُّن شَديد عند نَقلي إلى الغرفة الأخرى غرفة (التعذيب) كما يقولون... كانت خطواتهم تتردّد في الممرّ مع صوت الأصفاد الحديدية بتناغم شديد مع أنفاسهم الثّقيلة...

وصلتُ إلى غُرفة كانت مُجاورة لغرفة الفُحوصات، فُتح الباب وخرجَ صوتُ صريرٍ مزعج.. دفعوني إلى الداخل بقوة، لأجدَ نفسي داخل غرفة مظلمة، إلا من نافذة صغيرة جدًا يدخل منها نور خافِت يَكاد لا يَكفي لرؤية ما حولي...

في زاوية الغرفة، من السّقف، كان هناك فتى وفتاة في نَفس عمري تقريبا، معلّقَين بأصفاد حديديّة من رقابهم.. كانت وجوههم شاحبة، وعلامات التّعذيب بادية على أجسادهم...

كانت الغرفة مليئة بأدوات التّعذيب سلاسل، وسِياط، وأجهزة كهربائية وسَكاكين..

فتح أحد الغربان الأصفاد المعلّقة التي أصدرَت صوت صرير مُزعج، وكأنها تُعلن عن مَصير مظلم ينتظرني.. علّقوني من رَقبتي، لأشعر بثقل الأصفاد وهي تضغَط على جِلدي...

ذهب أحدهم إلى الفتى الذي كان بجانبي ثم بدأ برَشّ جَسده بالماء البارد وأمسك أحد الغربان بسِلك كهربائي وبدأ يُكهربه، مما جعَل جسدَه يرتعش من الألم.. كانت الصرخات تَتتابع مُعلنةً سلسلة من العذاب اللّا مُتناهي...

مرّت السّاعات وأنا أشاهد أشد أنواع التّعذيب على الذين كانوا معي في الغرفة وكأنهم وضعوني هنا كي يَزرعون الخوف داخل قلبي...

توجّه أحد الأطباء نوحي مُمسكًا بصاعق كهربائي مُوجهًا إيّاه على بَطني قائلا وهو يزفِر بقوّة:

- اليوم أنت ضِمن الشهود لكن إذا استمرّيت بتمرُّدك هذا سيكون الدّور عليك..!!

أجبتُه وأنا أصرُخ غاضبا:

- توقّف عن الثّرثرَة وفكّ وَثاقي ولنرى من سيَكون الدّور عليه..!!!

رفعَ الطّبيب يده وهو يُمسك بالصّاعق الكهربائي قائلا:

- لولا تَعليمات (البروفسيور) لكنتُ أذقتُك بعض الصّعقات يا رقم واحد لكن لنا لقاء آخر..!

ابتسَمتُ ساخرا:

- وكيف لي أن أُميّزك على بقيّة الحيوانات وأنتم جميعا تَختبِئون خلف قِناع الغُراب هذا...؟

زفرَ (الطبيب) وقال بغضَب وهو يخرُج من الغرفة مع بقيّة زملائه:

- سوف أذكّرك بنَفسي حينها..!

ابتسمتُ ساخرا مرّة أخرى:

- إذن سوف تَنعَق بصوتٍ عال، هذا قد يَبدو مميّزا بعض الشّيء...

أغلق الباب بقوّة خلفه مُوحيًا لي عن غضبه والذي ما إن أغلقَه حتى تكلّم الفتى الذي بجانبي بصوتٍ مَبحوح وهو يَسعل الدماء:

- لا أعلَم من أنت، لكنّي أنصحك بالتّوقف عمّا تفعله، فسوف تُواجه مَصيرنا إن استمرّيت بتمرّدك هذا ولن يَرأفوا بك أبدا...

رفعتُ رأسي وأنا أنظر بحدّة نحو الباب الحديدي:

- لن أتوقّف حتى نخرُج جميعا من هنا..!

التفتَ الفتى نَحو الفتاة التي كانت بجانبه وقال بابتِسامة وهو ما يزال يسعُل الدّماء:

- ألم تُذكّرك تلك النظرات الحادّة والكلمات المَملوءة بالأمل بشخصٍ ما..؟

ابتسمَت الفتاة وهيَ تسعُل بعض الدماء:

- يُوجد تَشابه بينهما، لكن أظن أنّا بسَبب حالتنا المُزرية بدأنا نتعلّق بأي خيط أمل للخُروج من هذا المَكان المَنكوب...

قاطعتُهما قائلا:

- لديّ سؤال، ما الذي أتى بكما إلى هنا وما هو هدف هذا المَركز اللّعين..؟

أجاب (الفتى):

- قصّة قُدومنا إلى هنا مُعقّدة بَعض الشيء سوف أحكيها لك لاحقا أما عن أهداف المركز أو بالأصَح المنظّمة الشيطانية فهي كثيرة...

قلت بتعجب:

- مُنظّمة شيطانيّة..؟

(الفتى):

- نعم هذا ليس مركزًا لتَنميَة المَواهب كما أوهَموك سابقًا، بل هي منظمة شيطانيّة عالميّة ممتدّة حول العالم مُختبئين تحت عدّة مُسميات ومراكز مُعتمدة لكي يَسهل

عليهم الوُصول إلى أهدافهم واستِقطاب أكبر قَدر مُمكن من الأشخاص والأطفال المُميزين روحيًا وعقليًّا...

- وما هو هدفهم من كل ذلك..؟!

- يَزعمون أنهم يَختاروا صفوَة مميّزة من البشر لقيادة العالم الجَديد...

- العالم الجَديد..؟!

- نَعم، العالم الجديد أو كما يُطلقون عليه (the new world) هو عبارة عن عالم غير مُرتبط بفكرة معينة ولا عقيدَة ولا دين إنما يُؤمنون فقط بالحريّة.. حريّة الاختيار في كل شيء حتى بتَصنيف جنس الشّخص سواء كان ذكرًا أم أُنثى...

- يتكلّمون عن الحُرية وهم يَحبسونا ويُعذبونا هنا..!؟

(الفتى):

- نعم.. والأسوأ في الأمر كلّه أنهم يَزرعون أفكارهم في كلّ مكان، وعندما أقول لك في كل مكان فأنا أعني ذلك حرفيًّا، فهم يَزرعونها في البَرامج التلفزيونية، وعبر مواقع التّواصل الاجتماعي، وحتّى الجَرائد والكتب لم تَخلو من مَدسوساتهم الشيطانية... فهم بالأحرى منظّمة تدعو لعبادة الشيطان وحده ومُحاربة الأديان والفِطرة البشرية السليمة واستِعباد البشَر تحت غطاء (الحرّية المُطلقة).

- لا أفهم كيف يدعون للحرية وهم نفسهم من يُحاربون حريّة الناس في دينهم ومُعتقداتهم.. من وجهة نَظري هذا استِعباد واضح...!!

- هناك شيء مُهم يَجب عليك معرفته لسَلامتك الشخصية... لا تُحاول مُقاومتهم وارضَخ للأمر الواقع فهم أكبر مما تتَصوّر لأنهم لَيسوا مَحدودي الإمكانيات أو أقلّية فهناك دول تابعة لمخطّطاتهم... أضِف لمَعلوماتك أن أجنِداتهم قديمة ولقد

وصَل أثرها حتى على الطعام الذي نأكله يوميًّا.. ويجِب عليك أن تعلَم أيضا أن مُخططاتهم بدأت منذ ٣٥٥ عاما، فوُقوف فتًى مثلك في وَجههم لن يُحدِث أيّ فارق لذلك من الأفضَل لك أن تَستسلِم لواقِعك المَرير...

ابتسمَ (الأكحَل) ونَظراته الحادّة لا زالت نحو الباب الحديديّ وقال:

- قبل أن أُعلن استِسلامي وأصبح من المُتخاذلين أريد منك أن تفكّر لماذا لم يَنجَحوا طيلة ال 355 عامًا السّابقة...

(الفتى):

- لا أعلم ما الذي يَدور في رأسك لكن تمرُّدك هذا سوف يُعجّل من موتك لا أكثَر...

- دَعني أُخبرك بشيء يا رَفيق الزّنزانة، اعلَم جيّدا إن كانوا هم ظلّ الشّيطان على هذه الأرض فهناك ظلّ للخَير في مكان ما، يَعملون على التصدّي للشّر الذي يُصدّرونه للعالم.. ولا تقلق من تَدابير البَشر فأقصى ما يَستَطيعون فعله هو تَنفيذ إرادة الله عليك.. لذلك توقّف عن خُضوعك هذا وشد عَزيمتك واعتصِم بحَبل الله...

فُتح باب الزنزانة بقوّة مُصدرًا صوت الصّرير المُزعج، دخل (البروفيسور) ومعه اثنان من فرقة (الغراب القاتم). ونظر نحوي أنا و(الفتى) وقال بابتِسامَة ساخرَة:

- تظنّون أنكم ستَخرجون من هنا..؟

قالها (البروفيسور) بصوتٍ مَليء بالسّخرية.. وأضاف:

- لا أحد يخرُج من هنا إلا بإذني، وهذا لن يحدث أبدًا يا رقم واحد...!!

حاولت أن أتمالَك غَضبي وقلت:

- ومن أنت حتى آخذ الإذن منك..؟! قلتُها وسوف أُعيدها على مَسامعك.. إنها مَسألة وقت حتى أخرُج من هنا وعندها سوف أُصفّي حِسابي معك لذلك تمتّع بلحظاتك الأخيرة فساعتك قد اقتربَت أيّها (البروفيسور)..

ضحكَ (البروفيسور) بصوت عالٍ، ثم أشار إلى مُرافقيه للخروج:

- الأمل لن يُنقذَكم من هنا.

بعد أن غادرَ (البروفيسور)، نظرتُ إلى (الفتى) الذي ارتسمَت مَعالم الحُزن على وجهه وقلت:

- لا تَدعهم يُحبطونك، نحن أقوى ممّا يظنون، وسنجد طريقة للخروج مهما كلّف الأمر لكن يجِب علينا أن نعمل سويًّا لفِعل ذلك...

تبدّلت تعابير الحُزن وشعرَ (الفتى) ببعض الأمل يعود إليه، وقال بعَزم:

- قبل أن أُخطَف من قِبل هذه المنظّمة كان لي صَديق عزيز.. في أحد الأيام تعاهَدنا وأقسَمنا على أن نقِف جنبًا إلى جَنب إلى الأبد مهما كانت الظّروف المُحيطة بنا ولم أتوقّع أن يأتي يوم أُعاهِد فيه شَخصًا غيرَه..

ابتسمَ (الفتى) مُكملًا حديثَه وهو ينظر نحوي:

- والغريب هنا أنك تُشبهه جدا.. لذلك سوفَ أعُدّها علامة من الله على أن أتعاوَن معك.. امدُد يَمينك كي تَحظى بها يَدي...

مدَدت يَدي اليُمنى الّتي كانت مُكبّلة بالأصفاد الحديدية الطويلة نحو (الفتى) وعند مُصافحتي له خرج وَميضٌ أبيض من كفّي ممّا أثار ذُهول (الفتاة) و(الفتى) والذي بدَورِه سَحبَ يدَه بسُرعة وهو يقول بذُهول ويمسَح كفّه كأنه قد صُعقَ من يَدي:

- كيف فعلتَ ذلك..؟!

أجبتُه بابتِسامة:

- أنا لم أفعل شيئا.. أظنّها تلك الأصوات مجددا...

- أصوات..؟ ما الذي تتحدّث عنه..؟

صدحَ صوتُ جرَس الإنذار داخل المركز مقاطعا أسئلة (الفتى) المُتتالية تبعها فتح باب الزنزانة بقوّة...

دخل على إثرها أربعة من فِرقة (الغراب القاتم) مُتوجّهين نحوي والذي يتقدّمهم يقول بتَذمّر شديد:

- استَيقظتَ من غَيبوبتك وأزعجتَنا بمَشاكلك.. هيّا فكّوا وَثاقَه وخُذوه إلى غُرفة التّأهيل...

بدأ الأطبّاء بتَنفيذ الأوامر وفكّ الأصفاد واحدة تلوَ الأخرى وفي تلك الأثناء قال (الفتى):

- قبلَ ذهابك من هنا تذكّر أنه قد أصبح بيننا عَهد...

أجبتُه بابتِسامة:

- وأنا رَجلٌ صوّان للعُهود لا تقلق إنها مسألة وقت لا أكثر..

ابتسمَ (الفتى) وهو يقول:

- عرّفنا باسمِك أيها المتمرّد أم تُحب أن أُناديك هَكذا؟!

بدأ الغربان بسَحبي بقوّة خارج الغرفة وعند وصولي إلى عتبَة الباب التفتُّ عليه وقلتُ مُبتسمًا:

- يلقّبونني (بالأكحَل).

تجمّد (الفتى) في مَكانه، وعيناه متّسعتان من الدّهشة:

- السيّد..؟! هل هذا حقيقي؟.

سأل بصَوتٍ مَبحوح، وكأن الكلمات تخنُقه...

الفتاة لم تستطِع الكلام، فقط هزّت رأسها بالإيجاب، ودُموع الفرح تملأ عينَيها. فجأَة، شعرَت بضَعف في ركبتَيها مُحاولة الجلوس على الأرض لكن السلسلة الذي كانت حول رقبتِها منعَتها، تناسَت أنّها مُقيّدة من هَول الصّدمة.. رفعها (الفتى) بجانبه وساندَها، مُحاولًا تهدئتها، لكنه كان هو الآخر في حالة من الذّهول:

- ثماني سنوات؟ كَيف؟ ولماذا هو هنا؟.

تَساءل الفتى بصَوتٍ مُرتجف، بينما كانت الفتاة تُحاول جاهدةً أن تَستجمعَ قُواها..

- هل هذا أنتَ يا سيدي..؟!

لم يَسمَع (الأكحَل) سؤال (الفتى) بسبب سَحب الغربان له خارج الغُرفة تاركا الاثنَين في حالة من الحيرَة، لم يُصدّقا أن صَديقهما الذي ظنّا أنهما فَقداه للأبد سيَعود أخيرًا. كانت مَشاعرهما مزيجًا من الفرح والصّدمة، ولم يَستطيعا الانتظار حتى يَريانه مجددًا ويَعرفا ما حدثَ له خلال تلك السّنوات الطّويلة...

الفَصلُ الثّالث

(عُيونُ البُومة)

وصلنا غرفة التّأهيل، كانت بوّابة الدخول إليها تُشبه بوّابة خَزنة كبيرَة، مَصنوعة من الفُولاذ السّميك ومُزوّدة بعجَلة دوّارة ضخمة.. عندما فتح أحد الغربان البوابة، أصدرَت صريرًا معدنيًا مُزعجا...

أدخَلاني إلى الغُرفة وطَلبا مني الانتظار ريثما يعودان.. خرج الاثنان وكنت أتأمّل الغرفة التي كانت تَحتوي على أحواض كبيرة عاموديّة تملأ المكان، وكل حَوض يحتضِن شخصًا يبدو وكأنّه نائم.. كانت الأضواء الخافتة تنعكس على سطح الماء، مما أضفى جوًّا من الغُموض والرّعب...

كنتُ أشعُر بقليلٍ من الخَوف والارتباك، محاولًا فهم ما يحدث هنا.. اقتربتُ من أحد الأحواض بحذر، ولاحظت أن الأشخاص داخل الأحواض كانوا

يتنفّسون ببطء، وكأنهم في حالة سُبات عَميق.. فجأة، شعرت ببرودة تَسري في جَسدي عندما رأيت عيون أحد الأشخاص تفُتح ببطء وتنظر إليّ مباشرة...

بدأت الأصوات الغامضة تَملأ الغرفة، وكأنّ الأرواح المَحبوسة داخل الأحواض تُحاول التّواصل معي.. ازداد شعور الرّهبة بداخلي، لكني كنت مصممًا على كشف سِرّ هذه الغرفة الغامضة والهروب من هنا...

تمالكتُ نفسي واستمرّيت بالتّجوّل مُستغلًّا وحدتي على أمل أن أجد طرف خَيط يَقودني للخروج من هذه المنظمة الشيطانية...

في الغرفة، لاحظتُ أنّ هناك رموزًا غريبة مَحفورة على جدران الأحواض.. بدَت الرّموز وكأنها جُزء من طقوس قديمة.. بدأت أشعر بأن هناك سِرًا أكبر مما كنت أتخيّل...

فجأة، سمعت صوت خطوات تقترب من البوابة الكبيرة.. اختبأتُ بسُرعة خلف أحد الأحواض، محاولًا ألا أُصدِر أي صوت.. نبضات قلبي كانت تخفِق بشدّة.. دخل رجل يَرتدي قناعًا أسود يُشبه قناع الغربان ويرتدي معطفًا أسود طويلًا، كان يحمل كتابًا بيَده يحتوي على زخارف ونقوش

قديمة.. بدأ الرجل بخَلع القِناع من وجهه ثمّ فتحَ الكتاب.. بدأ يقرأ بصوتٍ مُنخفض ويُتمتم وكأنّما يَستدعي شيئًا من عالم آخر...

بدأت الأحواض تهتزّ ببطء، وبدأ الأشخاص داخلها يتحركون.. كانت أعيُنهم تُفتح ببطء، والأصوات الغامضة تزداد قوة.. شعرت بالرّعب آنذاك لكني كنت أعلم أنه يجِب عليّ التصرّف بسرعة.. وقررت حينها أن أقترب من الرّجل وأحاول سَرقة الكتاب، معتقدًا أن هذا الكتاب قد يكون المفتاح لفهم ما يحدث هنا...

تقدّمت بخطوات حَذرة، مقتربا من الرجل بخِلسة.. وعندما كنت على وشك أن أخطفَ الكتاب من يده، التفتَ الرجل فجأة ونظر إلي بعينَين أشبه بعيون البومة، كانت عَيناه مشعّتين للغاية وقزَحتاهما سوداء بالكامل وقال بغضب:

- ماذا تفعَل هنا..؟!

عندما صرخَ الرّجل، شعرت باندِفاع الأدرينالين في جسدي.. لم يكن لدي خيار سوى المواجهة.. بجُرأة، قفزتُ نحو الرجل وحاولت انتِزاع الكتاب من يديه بالقوة.. بدأت معركة شرِسة بيننا، حيث كان الرجل يُحاول بكلّ قوته الاحتفاظ بالكتاب، بينما كنت أُقاتل من أجل حريتي والعهد الذي قطعتُه لرفيق الزّنزانة...

في لحظة حاسمة، تمكّنتُ من دَفع الرجل بعيدًا وأخذ الكتاب.. ركضت نحو البوابة الكبيرة، محاولًا فتحها بسرعة.. ولكن الرّجل لم يستسلم بسهولة، فقد بدأ يُردّد تَعاويذَ غامضة ويُتمتم ممّا جعل الأحواض تهتزّ بعنف والأشخاص داخلها يستيقظون ببطء..

وبصعوبة بالغة، تمكّنت من فتح البوابة واندفعت خارج الغرفة.. كنت أسمع أصوات المُطاردة خلفي وصوت جرس الإنذار يَصدَح بصوت مرتفع..

لكني لم أتوقّف.. ركضتُ عبر الممرات المظلمة، محاولًا العثور على مَخرج متخيّلا سعادتي عندما أخطو أوّل خطواتي داخل مَدينتي الذي غبتُ عنها طوال تلك الأعوام...

وفي نهاية الممر، وجدت بابًا صغيرًا يُؤدي إلى الخارج... وما إن فَتحتُه حتّى هفّت بعض نَسائم الهواء الطلق، شعرتُ بنَسمة هواء باردة تُلامس وجهي وشُعاع الشمس لَمَع في عيني.. كنتُ أعلم حينها أنّي لم أنجُ بعد، لكني كنت قد خطوتُ خطوة كبيرة نحو الحرية...

أخذت الكتاب ونظرت إليه بعناية.. كنت أعلم أن هذا الكتاب يحمِل أسرارًا قديمة، وربما يكون المفتاح لفهم ما حدث في تلك الغرفة المظلمة... قررت أن أبحث عن شخص يُمكنه مُساعدتي في فكّ رموز الكتاب وكَشف الحقيقة لكني نظرت حولي لأجد نفسي في قمّة.. قمّة جَبل جليدي...

صُعِقت في مكاني ولم أتمالك نفسي.. جلست على الأرض أمام البوابة من هَول ما رأيت متأمّلًا المكان حولي والذي كان من الطّرف الأيمن بين جبال جليديّة كبيرة كناطحات السّحاب ومن الطّرف الأيسر جبال رمليّة يُغطّيها بعض الجَليد والكهوف المنحوتة على أطرافها.. في تلك الأثناء ومن هَول الصّدمة أصبحت

مثل المُغيّب وَعيُه.. عصفَت بي الأفكار وبدأت أسأل نفسي: "أينَ أنا؟ ألم أكن داخل مدينتي؟ كيف سوف أخرج من هنا؟ هل أعود أدراجي؟". باغتَتني يَدٌ بقفّاز أسود مُمسكة بوجهي من الخلف مُقاطعة تَساؤلاتي..

بدأ الشّخص الذي أمسكَني يركض بسرعة فائقة جدا والذي ما إن رفعتُ رأسي ونظرت إلى وجهه حتّى تبيّن لي أنهُ نفس الشّخص صاحب الكتاب والذي قال وهو يضحك:

- لقد أفسَدت مهمّتي أيها المُتطفّل الصّغير...

لم أستطع التحدّث بسبب قبضتِه التي كانت مُحكمة على فمي وكأنه كان حريصًا على أن لا أُصدر أيّ صوت.. استمر بالركض بثِقة وسُرعة بين تلك الجبال الجليدية وكأنه يعلم أين يضَع قدمه بالتّحديد وما هي إلا لحظات حتى شعرتُ بالبرد القارص الذي تَملك جسدي والذي لم يَستوعِبه جسمي بسبب تقلّب الأجواء المُفاجئ..

كان الجوّ باردًا بوَجهٍ فَظيع، أصبحت الرؤية ضبابيّة بالنّسبة لي أحسَست أن عيني تجمّدت من شدّة البرد.. لم تمر عدّة دقائق حتى أحسَست أن أطرافي بدأت تَتخدّر شيئا فشيئًا حتى فقدتَّ كاملَ وَعيِي...(بَينَ القُطبَين)

في أحد القطبَين الجليديّين، تَحديدا داخل كَهف في جبَل شَديد البرودة، استيقظتُ من نَومي العَميق، بدأت أمسح عيني المُتعبة ببطء مُحاولًا استِيعاب المَكان الغَريب الذي وجدت نفسي فيه.. التفتُّ حولي لأَجِد نفسي في زاوية كهف.. كانت جُدرانه رَطبة، والظلام يَملأ المكان باستِثناء وَهجَ النار التي كانت تشتعِل أمامي والذي كان يحجُب بعضها ظَهر رجل يَجلس أمامها...

كان ذلك الرجل غَريب القامة يجلس أمام النار، ظهر لي أنه مَشغول بشَيء ما... كان يخرج قطعًا من اللّحم من حَقيبتِه الجلدية ويَشويها على النار.. رائحة الشواء بدأت تملأ المكان، مما جعل معدتي تُقرقِر من الجُوع...

شعرَ الرّجل بحَركتي الخَفيفة، فالتفتَ قليلا مُظهرًا لي طرف عينه وقال بصوتٍ هادئ ولكنّه يَحمل نَبرَة تهديد:

- أتمنّى أنك تنعّمت بنومٍ هانئ، أيها المُتطفّل الصّغير...

تجمّدت في مكاني، غير متأكّد ممّا يجِب علي فعله أو قوله.. كانت عَينا الرجل أشبَه بعيون البومة، كانتا مشعّتين للغاية وقزحِيّتاهما سوداء بالكامل تلمَع في ضوء النار، مما زاد من رهبة الموقف.. جَمعت شَجاعتي وسألت بصوتٍ مُرتجف من شدّة البرد:

- من أنت ولماذا ساعدتَّني على الهروب..؟

ابتسمَ الرّجل ابتسامة غامضة، وعاد بنظره إلى النار دون أن يُجيب مباشرة، مما زاد من غموض الموقف قرّرت حينها أن أغيّر السؤال قائلا:

- أينَ أنا الآن..؟

التفت نَحوي مرّة أخرى حاملا نَفس الابتسامة الغامضة:

- قبل أن أُجيبك على أيّ سؤال أريد أن أختبرَك أولا...

- تَختبِرني..؟

- نعم يجِب عليّ أن أختبِرك كي أتأكّد من أنّك لم تُخترَق روحيًّا أو ذِهنيًّا من قِبل (المُتنوّرين)...

- (المتنوّرين)..؟ أتقصِد المنظمة الشّيطانية..؟

- نعم فهم يُلّقبـون أنفسَهم (بالمُتنـوّرين) أو (مهنـدسي العَصـر الحديث) مدّعين بذلك أنهم أصحاب فِكر مختلف يُنوّر عقول الناس ويكسِـر قيودَهم والّتي في نظرِهم أن الأديان وفِطرة المخلوقات السليمة هيّ سبب تلك القيود...

- وهم في الأساس يبثّون أفكارهم الشيطانية ومَدسوساتِهم الإلحاديّة على الناس بخفاء وخُبث ممّا يَجعل العقل البشري يتقبّل آراءهم وأفكارهم بسَلاسة دون أي اعتراض أو استِنكار من قبل المُتلقّي لتلك الأفكار...

- أتقصِد أنهم يَغسلون أَدمِغَتنا بوجهٍ غير مُباشر دون وَعي منا..؟

- نعم...

- كيف يَفعلون ذلك..؟!

- تخيّل معي أن هناك عصابَة خطفَت طفلا صغيرا يبلغ من العمر سنتين فقط وحبسوا هذا الطفل داخل مَشرحَة للجُثث، في اليَوم الأول من الطبيعيّ أنه سيَبكي من الخوف وقد يستمرّ ذلك حتى أسبوعًا كاملًا، أما في الأسبوع الثاني سيَعتاد على الوضع وفي الأسبوع الثالث قد يبدأ باللّعب مع الجُثث وبعد سبع سنوات سوف يَعتقد أن هذه الجُثث هي كلّ شيء بالنّسبة له...

لم لا وهو طِيلة هذه المدّة مَحبوس داخل هذه المشرحة دون أي زائر له وقد كبر بداخلها ولم تُصبح فكرة وجود جُثث للموتى حوله باستِمرار مُخيفة بالنّسبة له فقد أَلِفها حوله من الصّغر...

- لم أفهم شيئا، ما الذي تُريد إيصاله من هذه القصّة الغريبة..؟

- في ظنّك ما الذي سوف يَحدث لو أن العصابة عادت بعد السّبعة أعوام وأحضروا طفلًا آخر يبلغ من العمر عشرَة أعوام وحبسوه معه هل تعتقِد أنه سوف يَتأقلَم بسُرعة..؟

- بالتّأكيد سوف يشعر الطّفل الجديد بالخَوف ويبدأ بالبكاء..

- خطأ بل سوف يشعُر الاثنان بالخوف ويَبدَءان بالبُكاء...

- الاثنان..؟ لماذا..؟

- سوف يشعُر الجَديد بالخوف لأنه لم يعتَد على وُجود جُثث حوله بالطبع وتلك هي الفِطرَة البشرية.. أما الآخر سوف يَشعر بالخوف لأنه لم يعتَد على وجود مخلوق حيّ سِواه داخل غرفة المشرحة وهذا ما يُنافي الفطرَة بالطبع...

- أتقصِد أنهم يزرعون أفكارهم الشيطانية باستِمرار داخل عقولنا كي تُصبِح بالنّسبة لنا اعتياديّة وطبيعيّة حتى لو كانت تُنافي مُعتقداتنا وفطرتنا..؟

- نعم بالضّبط وهذا الذي يَقومون به بالفعل.. لا تَستغرِب يوما إن رأيتَ طفلة صغيرة تنظر إلى أبيها باشمِئزاز بسبب أنه يُحاول أن يُلاعبَها... هذا لا يَعني أننا دُعاة تخلّف ورجعيّة وعدم تطوّر، لا بالعكس لكن أليس من المُحزن أن ترى براءَة الأطفال قد سُلبَت من هذه الدّنيا البائسة..؟

- وما هو الحلّ في نظرك إذا..؟

- أن يُصبح كل فرد في مُجتمعنا واعيّا للتّغيرات الّتي تحدُث في عالمنا باستِمرار وأن نَستقبلَها بوجهٍ سليم بعد تَنقيحِها من الشّوائب التي قد تضرّ أفراد هذا المُجتمع في المُستقبل وقد يكون أحد أولئك الأفراد هو شخص من عائلتك فإذا أصبح الأغلبيّة مُلمّين بذلك سوف نحظَى بمُجتمع خالٍ من تلك العاهات والإمّعات الذي تنبثِق في مجتمعنا بين فترة وأخرى مما يجعل بعض أصحاب الفكر الضيّق ينظرون إلى مُجتمعنا كالقِرد الذي يقلّد سيّده في كل شيء...

- لدي سؤال.. ماذا سو...

- أتُحاول أن تتهرّب من اختِباري..؟

- لا لم أتعمّد ذلك فقط كنت أُريد إشباع فُضولي...

- حسنًا أيها الفضوليّ لنختبِر سلامة روحك..

وما إن أنهى جملتَه حتّى شعرتُ بنسمة هواء باردة حرّكت شعري، سرى إحساسٌ غريب في جَسدي.. توجّه الرجل نحو النار التي كانت مَصدر الإضاءة في تلك الليلة المظلمة، وأطفأها، التفتَ نحوي وبدأ يَمشي بخطوات بَطيئة حتى أصبحَ أمامي مباشرة وجلس على الأرض متربّعا وبَدأ يحدّق بي بعيونه الغريبة...

قال الرّجل بصوتٍ هادئ ومُخيف:

- سوف أبدأ الاختبار الآن.. انظُر إلى عيني وركّز جيدًا وحاول ألا تَرمِش...

بدأت أنظُر إلى عينَيه مثل ما طلب مني وفجأة بدأت أرى صورًا تتغيّر بسُرعة داخلها.. رأيت نفسي في أماكن مختلفة، أعيش تجارب غريبة.. كنت أرى أشياء لم يكن لي أن أتخيّلها من قبل، وكأنّ عيناه كانت تأخذ روحي إلى عوالم أخرى...

بعد فترة، توقّفت الصور وعاد كل شيء إلى طبيعته.. نظرت إليه، كان يبتسم ابتسامة غامضة وهو يقول:

- لقد اجتَزتَ الاختبار يا (أكحل) روحك قويّة بما يكفي كي تنضمّ إلينا...

- إليكم..؟ ومن أنتم..؟

ابتسمَ الرّجل قائلا:

- ((نحنُ أنصار المَظلومين ومَلاذ التّائهين)).

وما إن أنهى جُملتَه تلك حتى فتح الكتاب المُزخرف وبدأ يُتمتِم بكلمات غير مفهومة، واضعًا يَده على زاوية جدار الكهف.. وفي لحظات، اهتزّ الجبل الجليدي بأكمله وخرجَ نور أبيض ساطع من المكان الذي وضعَ فيه يده...

بدأ تَوهّج النّور الأبيض يزداد شيئًا فشيئًا حتى اشتدّت قوّته لدرجة أني لم أتمكّن من فتح عَيني من شدّته، فحَجبتها بيدي.. استمر الوضع على هذه الحالة لمدة لم تزِد عن الخمس دقائق.. بعدها، شعرت بأن شعاع النور بدأ يقل تدريجيًا، ففتَحت عينيّ ببطء وتوجّس، أُراقب اضمِحلال تلك الأشعة القوية،

والتي تشكّلت على شكل حلقة دائرية أشبه ببوّابة نحو مكانا ما التفت الرجل نحوي، وأمسك بيدي بقوة وسَحَبني إلى داخل تلك البوابة... قائلاً:

(سوف تُبصِر بما لم يُبصِر به أحد من قبل..)

الفَصلُ الرّابع

(جَبلُ قاف العَظيم) (مَملكةُ صَقيع)

يَصدَح صوتُ بوقٍ عالٍ بين الجبال، تبعته أصوات خيول تصهَل بقوّة.. ينظر الأكحَل من على قمّة جبل نصف رملي ونصف جليدي إلى جيش ضَخم مُصطف في الأسفل.. كان يتقدّمهم رجل عظيم البُنية أسمر البشرة، ضخم الهامة، مفتول العضَلات، يَكسو جسمَه الذّهب، وعلى رأسه تاج ذهبي يتوسّطه حجر كريم لونه بنفسجيّ...

رفع القائد يده وشدّ قبضتَه، مشيرًا إلى استعداد الرّماة في الخلف الذين شدّوا أوتار أقواسهم تبعًا لحركته.. صرخ القائد بصَوت عالٍ، سائلا:

- من الذي في قمّة الجبل..؟! أظهروا أنفسكم وإلا أنذَرناكم بالحَرب..!

تقدّم الرجل الذي بجانب الأكحَل، رافعًا يَديه إلى الأعلى وهو يضحك قائلا:

- ويحك يا (مذهب)، أتُريد قتلي..؟

تفاجأ القائد وقال:

- من؟ (آصف)! أوه، لقد عُدت أخيرًا.. لقد تأخّرت، ظننا أنك قد لقيت حتفَك.. من قِبل (المُتنوّرين).. ومن هذا الذي معك؟

رد (آصف) بابتسامة غامضة:

- هذه غنيمة تأخّري وستعرِف قيمتها قريبا...

تردّد القائد للحظة، ثم أشار بيده إلى جنوده ليُخفضوا أسلحتَهم:

- آصف، لقد كنت دائمًا غامضًا، لكن هذا الفتى إنسيّ وأنت تعلم أنّه من المَحظورات دخول الإنس إلى مملكة صَقيع..

أجاب آصف بثِقة:

- هناك قوّة عظيمة في هذا الفتى، قوة لم تُكتشَف بعد.. سنحتاج إلى كل قوتنا لمواجهة ما هو قادم وأنت تعلم أن (المتنورين) سوف يَهجُمون عمّا قريب ولن يَرحمونا وسوف ينكّلون بنا مثل ما فعلوا في (الواق واق)...

نظرَ الفتى إلى آصف بدَهشة، ثم إلى القائد مذهب الذي بدا عليه القلق...

- ما الذي تَقصِده؟

سأل الأكحَل...

أجاب آصف:

- هناك تَهديد أكبر من أيّ جيش، تهديد يتربّص بنا جميعًا.. هذا الفتى هو المفتاح لإنقاذنا.. يا جلاله (الملك مذهب) إني أكفَله لكن أرجوك يجب علينا الدخول الآن...

(الملك مذهب):

- هذه أول مرّة تُناديني بهذا اللّقب يبدو أنك عازم للغاية يا أخي!

وما إن أنهى الملك جملتَه وأذنَ لي بالدخول حتى التفتُّ نحو (آصف) الذي كان يأخذ نفسه بقوّة شديدة ممّا جعلني أُلاحظ انتفاخ صدرِه الذي أصبح أشبَه بالبالون..

نفثَ الهواء بقوّة مما جعل الغيوم الذي كانت تُخفي الأفق تَنقشِع مُظهرةً لي مَعالم مدينة ثلجيّة كبيرة بيوتها كانت مَنحوتة يدويًّا من الجبال الجليدية...

التفتَ (آصف) نحوي قائلا:

- أهلا بك في (مملكة صقيع)...

(آصف) وهو يجثو على ركبتَيه:

- تَشبّث بظَهري جيّدا كي ننزل من على قمّة الجبل..

- وكيف سننزل..؟

(آصف):

- سوف أقفز بالطّبع...

- تريد أن تقفز من على القمّة أأنت مجنون..؟!!

(آصف) وهو يضحك:

- أتظنّ أننا بَشر مثلك..؟

- لا بالطّبع لكن ليس من المنطقيّ أن هناك مَخلوق طبيعي يُمكنه أن يَقفزَ من على القمّة ويبقى على قَيد الحَياة..

(آصف) بابتسامة:

- إذن أهلًا بك في بلاد ما وراء الطبيعة..

وبدون سابق إنذار شدّني (آصف) بقوّة وحملَني على ظهرِه وقفَز.. قفَز من على قمّة الجبل الجليدي وبدأنا ننزل بسرعة نحو الأسفل، في تلك الأثناء بدأت أتمسّك برَقبتِه بقوّة وأُردد الشّهادة ظنًّا مني أن هذا الأحمق انتحاري من الطّراز الأول،

وما هي إلا لحظات حتى اقتَربنا من مُلامسَة الأرض وفي تلك الأثناء حدث شيء لم يكُن في الحُسبان غير نَظرتي للمكان الذي أنا فيه...

خرجت أجنحة من ظَهر (آصف) كانت أجنحَة سوداء طويلة وكبيرة ومن ضَخامتها حجبَت ضوء الشمس عني وللحظة ظننت أنّ الليل قد أسدلَ أستاره علينا فَجأةً حتى بدأ يُرفرِف بتلك الأجنحة العِملاقة مُحلّقًا بي نحو قصر كبير كان في قمّة تلك الجبال المَنحوتَة...

وما إن هبَطنا حتى استَلقيت على الأرض أنظُر نحو السماء بتَأمّل غارقا في تَساؤلاتي...

هل كل هذا حقيقة أم أنا في غيبوبة أخرى..؟ هل حقًّا أخرج أجنِحة من ظهره أم أنا فقط أتَوهّم..؟؟

بينما كنتُ مُستلقيًا على الأرض، أتأمّل السماء غارقًا في تَساؤلاتي، سمعتُ صوت خطوات تقترب ببطء.. رفعت رأسي لأرى مصدر الصوت لكن لم أجد سوى (آصف) الذي كان يقِف بعيدًا عني وينفُض ثيابه من الجليد الذي تَراكم عليها وفجأة باغتَني تيّار هوائي بارد مرّ بجانبي، وكأن هناك كائنًا غير مَرئي يُراقبني...

- (أنت الآن في مأمن).

صوت هادئ لكنّه قويّ رنّ في مسامعي وكأنه يتحدّث من داخلها...

أكمل الصوت وقال:

- (آصف هو الصّدر الأول لبلاد صقيع، وقوّته ليست وهمًا.. لقد جئت إلى هنا لسبب، وهناك أسرار كثيرة تنتظرك لتَكتشفَها).

نهضتُ ببطء، مُستشعرًا ثقل الأسئلة التي تدور في ذهني مُمسكًا برأسي مُغطيًّا أُذنيّ وبدأت أصرخ مُخاطبًا الصوت:

- وما هو هذا المكان؟ ولماذا أنا هنا؟!

عاد الصوت الغامض وقال:

- (هذا القصر هو مَركز قُوى قديمة، وقليلون هم من يعرفون بوجوده. أنت هنا لأنك تمتلك شيئًا فريدًا، شيئًا يُمكنه تَغيير مصير هذا العالم..).

شعرت بتيّار من الفُضول والخوف يَسري في عروقي.. وقلت:

- ماذا تعني؟

قاطعَت ذلك الصّوت يدُ آصف الّتي وضعَها على كتفي...

(آصف):

- أعرف أنّك تمرّ الآن بصدمة كبيرة وأنا لا ألومك لكن حاول أن تتمالَك نفسَك وأن تَستجمِع قواك واعلم جيّدا إذا سلّمت نفسك لأفكارك سوف تُصاب بالجنون لا مَحالة فنَصيحتي لك عِش ليَومك ولا تُفكّر بالغَد..

- صدّقني أنا لم أكُن أتحدّث مع نفسي كانت تلك الأصوات مجددا..!!

(آصف):

- أصوات..؟

- نعم أصوات غريبة وكأنها ذبذبات تتَواصل معي في كل مرّة أقع فيها بمُشكلة ولقد ساعدتني عندما كنت في المَركز...

(آصف):

- في كل مرّة يتَواصل معك نفس الصوت..؟

- لا في كلّ مرّة صوت مُختلف وأحيانا أسمع أكثر من صوت في آن واحد..

(آصف) متعجّبًا:

- إذن أنت موصول بهم..!!

- من هم..؟

لم يُجبني (آصف) ورد عليّ بسؤال آخر:

- ذكرني باسم قَبيلتك أيّها الأكحَل...

- أنا من ال*****

(آصف) بابتِسامة:

- ذلك يُفسّر كلّ شيء...

- ومتى سَوف أفهَم أنا لقد أرهقَتني كثرَة الأسئلة التي ليسَ لها إجابات...

نادى صوت من الأعلى:

- يا سيادة الأمير (آصف) الملك (مذهب) يدعوك أنت والفتى الأكحل إلى الغداء ونبّهني أن أحرص عليكما ألّا تتأخّرا...

نظرتُ إلى الأعلى لأرى مصدر الصوت وذُهلت عندما رأيت قصرًا ضَخمًا مَنحوتًا من جبل جليديّ شاهِق، يُلامس السّحاب.. كان القصر يبدو كأنه خرج من أسطورة قديمة، مزخرفًا بنقوش يدويّة رائعة ومزينًا بأحجار الجمشت البنفسجيّة التي تلمَع في ضوء الشّمس الخافت.. بوابة القصر كانت من الذّهب الخالص، ومقابضها من المرجان الأحمَر النادر

بينما كنت أقِف مَذهولًا أمام هذا المشهد الساحِر، تقدم آصف نحو البوّابة الضّخمة يقول بابتسامة:

- تفضّل بالدخول.

ارتجفَ قلبي من الإثارة والتوتّر لكني كنت عازمًا أن أكتشِف أين أنا وأن أعرف لماذا أنا مهمّ بالنسبة لهم لتلك الدرجة... فخَطوت نحوَ البوابة الذهبية ببطء، متسائلًا عن الأسرار الّتي تُخفيها هذه البلاد الجليديّة..

عبرتُ إلى الداخل وقلبي ينبض بسرعة.. تتبّعت خطوات آصف الذي كان يمشي ببُطء وصَدى خطوات أقدامه يَصدَع في القصر، عَبرنا من داخل ممرّ طويل كان مليئًا بشُعلات ناريّة، تُلقي بظِلالها المُتراقصَة على الجدران الحجرية. كان الجوّ مشحونًا بالغُموض، وكل خطوة أخطوها كانت تملأ عقلي بالتَساؤلات..

في نهاية الممرّ، وصلتُ إلى بوّابة لا يقلّ حجمها عن الّتي كانت بالخارج، ما إن وصلتُ لها حتى فُتحت تلقائيًّا، كانت مُطلّة على قاعة واسعة مُزيّنة بنقوش قديمة وأعمدة ضَخمة.. في وسط القاعة، كانت هناك نافورة تتدفّق منها مياه مُضيئة بلون أزرق ساحر.. حول النافورة، كانت هناك تَماثيل لأشخاص بملامح

غامضة، وكأنهم يروون قصصًا من عُصور مضَت..

بينما كنت أتأمّل جمال القاعة، سمعتُ صوتًا خافتًا يأتي من أحد الزّوايا.. توجّهت نحو الصوت، لأجد بابًا صغيرًا مخفيًا خلف ستارة حمراء ثقيلة.. دفعت الستارة ببطء، وفتحتُ الباب لأجد نفسي في غُرفة مليئة بالكتب القديمة والمخطوطات.

على أحد الرّفوف، لفتَ انتباهي كتابٌ كبير بغِلاف جلديّ مُزخرف. أخذت الكتاب وفتحته بحَذر، لأجد داخله خريطة قديمة للعالم تُشير إلى أماكن مَخفيّة داخله..

كانت الخَريطة تحتوي على رَسمَة للكرة الأرضية لكن الغريب فيها أن طريقة رسم حُدود الدول مُختلف جدا وكانت هناك دول غامضة وأسماؤها كانت مَكتوبة بلُغة قديمة لم أفهمها...

بينما كنت أتفحّص تلك الخريطة وجدت دائرة حَمراء في زاوية الخريطة من الكرة الأرضيّة، كان مكتوب فيها بوَجهٍ واضح: (أنت هنا)...

صُدمتُ لأنّ المكان المُحدّد كان مكتوبًا عليه (جبل قاف).. لم أتوقّع يومًا أن أسطورة جبال قاف المُحيطة بالكرَة الأرضية حقيقية، شعرت بوجود شخص خلفي ممّا قاطع أفكاري.. التفتُّ بسُرعة لأجِد (آصف) يقِف هناك، وأجنِحته السّوداء مَطويّة خلفه وعيناه تلمَعان بذلك الوَميض الغامض...

- لقد وجَدتك الخريطة..

قال آصف بابتِسامة غامضة، وأضاف:

- هذه الخريطة هي خريطة العالم الحقيقية وهيَ منبَع أسرار العالم الذي لطالما تَساءلتُم عنها أنتم يا معشَر البشر...

قاطعتُه بسؤال:

- هل صحيح أننا في جبل قاف..؟

(آصف):

- نعم..

- وهل ما تتَناقله الأساطير أن سلسة الجَبل مُحيط بالكرة الأرضيّة صحيح؟

(آصف):

- نعم بالفعل فسِلسلة جبال قاف مُحيطة بكامل الكرَة الأرضيّة ولكن لم يَستطِع أي بشريّ الدخول إليه من قَبل...

- ألم تقُل لي من قبل أننا في مملكة صقيع..؟

(آصف) بابتسامة:

- نعم وأنا لم أكذب في ذلك؛ مملكة صقيع إحدى مناطق جبل قاف المُمتدّة حول العالم، دَعني أشرَح لك بوَجهٍ أوسَع.. تخيّل أن جبل قاف دولة لكن دائريّة الشّكل مُمتدّة حول العالم أجمع، وبين كل تلك الجبال تُوجد مَمالك وبلدان وقُرى كثيرَة تَسكنها مخلوقات وكينونات مختلفة فيها غريبة حتى بالنّسبة لنا نحن الجنّ...

- إذا أنتم من الجن..؟

(آصف) بسُخرية:

- نعم بالطّبع.. أمتأكّد أنك كنت الرّقم واحد في المركز..؟

- بالحَديث عن المركز متى يُمكننا العودة إلى هناك فقد قَطعتُ عهدًا ويجب أن أفي به...؟

(آصف):

- المركز يقَع في القُطب الشّمالي وهو يبعد عنا مسافة تسعة أيام لذلك من الصّعب العودة الآن...

انبعثَ صوتٌ عَميق من الظّلام، صوت يحمل في طيّاته رَهبة وحِكمَة الماضي...

- (لا تكذب عليه يا آصف.).

قال الصوت، وكانت خطواته تتقدّم ببطء نحونا، كل خطوة تملأ المكان بصَدى غامض حتى ظهرَت مَعالم ذلك الرجل الذي كان قَصير القامة طاعنًا في السنّ والتّجاعيد ملأت وجهه تقدم وهو يَتعكّز على عصى خشبيّة مقبضها من حجَر الجمشت البنفسجي...

(آصف):

- لكنه ليسَ الوقت المُناسب أيها العم (طوس) أخشى أن يُصيبه مَكروه لو عَلم..!

(طوس):

- يجب أن تعلم يا آصف أن الصّدق بَياض القلب، وزَكاة الخِلقة، وثمرَة المُروءة، وشُعاع الضّمير فتحلّى به جيّدا...

- أخبرني يا عم ما الذي يُخفيه آصف عني ولم يُخبرني به..؟!

(طوس):

- أنك لن تَستَطيع الخروج إلا بعد خمسِ سنوات...

صُدمت وتجمّدت في مَكاني ولم أستطِع رفع صَوتي، لم أكن أتوقّع أن أجد نفسي مَحبوسًا في هذا المكان لخمس سنوات.. عيناي اتّسعَتا، وبدأت أنفاسي تتسارَع.. حاولت أن أستجمِع شَجاعتي لكني ولأوّل مرّة شعرتُ بالعَجز أمام هذا الحُكم الغامض...

"خمس سنوات!؟". همستُ لنفسي، بصوتٍ مَبحوح وكأن الكلمات كانت ثَقيلة على لِساني. "والعهد الذي قطعتُه لهما؟ هل سَوف يبقون أحياء طيله هذه المدّة!؟ وخططي بالرّجوع إلى أهلي كلّها أصبحَت هَباء وأحلامًا هفت بعيدا".

تقدم آصف نحوي وبدأ يُربت على كتفي بهدوء مُحاولا بثّ الأمل في قلبي وقال بصوت مُطمئِن:

- غدًا سيَجري دمعُ عينك فرحةً

وترَى السحائب بالأماني أمطرَت وظروف اليَوم صارت بلسمًا

وهي التي أعيتْك حين تعسّرَت وتقولُ سُبحان الذي رفع البَلاء

مِن بعد أن فُقد الرّجاء وتيَسّرت...

رفعتُ رأسي ونظرت إلى آصف وسألته بصوتٍ مَبحوح:

- لماذا عليّ البقاء هنا لخَمسَة أعوام..؟

(آصف):

- كي تُهيّئ روحك وجسمَك على الخُروج...

- ما الذي تقصِده وضّح أكثر...

(آصف):

- هل تتذكّر كيف أتيتُ بك إلى هنا..؟

- نعم عبر تلك البوابة الدائرية...

(آصف):

- اسمها (بوّابة نجميّة) ولا يمكنني فتحها إلّا مرّتين كل خمسة أعوام.. هذه البوابة هي الطّريقة الأكثر أمانًا كي نَتنقِل خفيَة دون أن يُلاحظنا (الأعوان)...

- الأعوان..؟

(آصف):

- نعم، (الأعوان) هم فُرقة من الشياطين يَتجسّسون

وينقلون المعلومات والتحرّكات لإبليس، مثل طليعة للاستِخبارات، من يُخبرونه بتحرّكات كلّ جني وشيطان على وجه الأرض...

- اعتقدتُّ أنّ إبليس مسؤول عن مُراقبة البشَر فقط لماذا يُوكل أشخاصًا كي يُراقبوكم أيضا..؟

(آصف):

- كي يَفرِض سلطتَه على العالم أجمع فقوّة المَعلومة تفرِض السّلطة، أضِف إلى ذلك أنّنا نحن سكان قاف بالأخصّ وضعَ لنا مُراقبَة مُشدّدة...

- لماذا ما المميّز بكم..؟

- لأنّنا من نُحارب مَراكزه مُباشرةً وباستِمرار..

- أتقصِد (المتنورين)..؟!!

- نعم فنحن نغلِبهم تارة ويَغلبونا تارة، وفي آخر حرب انتَصروا علينا وأسروا بعض الرهائن الذين سوف يَستِخدمونهم لإجراء تلك التّجارب والاختِبارات الشيطانية عليهم كي يَغسِلوا عقولهم ويُجنّدونهم لصالحهم أو حتى يُضحّوا بهم كقرابين...

- إذا في ذلك اليوم قد أتيتَ لتُحرّرهم من غُرفة التّأهيل..؟

- نعم فغُرفة التّأهيل الّتي التَقينا فيها هي في الحَقيقة غرفة التّنويم الّتي يغَسلون فيها أدمِغة الضّحايا سواء كانوا من البشَر أو غيرهم...

- إذا (المُتنوّرين) هم حُلفاء لإبليس..؟

- بل هم عُبّاد إبليس..

شعرتُ بالغضَب العارم يشتعِل في صدري، كأنها نار لا تُريد أن تنطفِئ، تتغذّى على ذكريات الظلم والألم الذي تعرّضت له أنا وزُملائي في المَركز تبعه شعور بثقل الظّلم على صدري، وكأنّ كل نفَس آخذه يذكّرني بما حدث لي..

تبعَت ذلك رغبةٌ تَدفعني للبَحث عن العدالة بطريقتي الخاصة.. في نفس الوقت، شعرتُ بالحُزن العميق والألم الذي يعصِر قلبي بسبب الظلم الذي تعرّضت له أنا والذين كانوا في ذلك المَركز اللعين، ممّا جعلني أتساءل هل هي ضَريبَة التميّز..؟

تضارب معه شُعور باليأس والإحباط، حيث شعرتُ أن العالم غير عادل وأنه لا يوجد من يَنصفنا.. تَكالبَت المشاعر بداخلي وشَددت قبضَتي بقوّة وأقسمتُ حينها أن أنتقِم أشدّ الانتقام وأكون الشّوكة في نُحور أولئك (المتنوّرين)...

ضربَ العمّ (طوس) بعكّازه على الأرض مصدرا صَدى قويًّا في تلك القاعة..

(طوس) بحكمَة:

- اعلَم يا بني أنّه لا يحمِل الحقدَ من تَعلو به الرُّتب ولا ينال العُلا من طبعه الغضبُ. عليك أن تتحلّى بالصّبر كي تنال مُرادك ولا تعجَل فليسَ الرّزق بالعَجَلِ الرّزق في اللّوح مَكتوب مع الأجلِ. فلو صَبرنا لكان الرّزقُ يَطلبنا لكنكم أنتم يا معشَر الإنس خُلقتم من عجَلِ..

قلت بغضَب وأنا أصرخ ممتلئًا بالغيظ؛

- عذّبونا وحبَسونا وقتلوا أعزّ الناس لي بدَم بارد دون أن يَرتد لهم طَرف، وأخذوا مني سَنين طُفولتي التي لا تُعوّض، ومن يعلم كم من الأطفال والأشخاص

دُمّرت حياتهم بسبب خِطَطهم الشيطانيّة المَقيتَة الذي تتَمحوَر على أنانيّتهم ورغباتهم المريضة.. تبًّا ثم تبًّا ثم تبًّا لهم! ووالله لن يَهنأ لي بال حتى تكون الغلبة للحقّ ويَضمحِل الباطل طال الزمن أم قصر...!!

(آصف):

- نحنُ ومَمالكنا كلّها معك وفي صفك ولن نتركك لكن أوّلا يجِب عليك أن تتعلّم كيف تستخدِم قوتك الروحية المميزة وأن تتعلّم كيف تُخفي هالتك المُفعّلة كي تخفي نفسك جيّدا عنهم فالموضوع من ناحيتك أصعب وأسهَل في نفس الوقت...

- هالتي..؟ قوّتي الروحيّة..؟ أَتحسَبني جنيًّا مثلك حتى أمتلك ما تتكلّم عنه..؟

(آصف) وهو يضحك:

- أنتم أيّها البشَر تَجهلون أنفسكم ولا تعلمون قُدراتكم الكامنة في داخلكم...

- هل يُمكنك أن تتوقف عن أخذ الأمور بسُخرية وأن تشرَح لي بجديّة.؟!

(آصف) بسخرية:

- حسنًا سوف أشرح لك أيها الكئيب...

- تفضّل...

(آصف):

- الهالة هي مَجال طاقة أثيري يُحيط بكامل حيّز الشيء سواء كان مخلوقا حيًّا أو جمادا، وتختلف ألوانها وقوّتها من شخص لآخر وهناك درجات من الهالات تبدأ بالضّعيفة، متوسّطة، قويّة، نادرة.. وبالطبع أغلب البشَر لا يَستَطيعون رؤيتها لذلك يُنكرون وجودها من الأساس أما نحن الجن فنراها بوَجهٍ طبيعيّ واعتِيادي لذلك وجود شخص بهالة نادرَة وقويّة في مكان ما يَجعله مُعرّضا للضّرَر أكثر

من غيره بسبب قوّة ظهور هالته الّتي تُحيط بالمكان الذي هو فيه، فهو يُصبح مثل الشّمعة الّتي تُضيء في وسط الغرفة المُظلمة...

- ولماذا يتَضرّر إذا كانت هالتُه قويّة أو نادرة من الأساس، أليس من المُفترَض أن يُعطيَه ذلك أَفضليّة..؟

(آصف) بابتسامة:

- سؤال جميل.. تخيّل معي أن طفلًا يَمتلك أحدَث لعبة في السّوق وذهب إلى المدرسة وبدأ يلعب بتِلك الدّميَة أمام الجميع.. ما سوف يحدث التالي.. سوف يَجتمع عليه بعض الأطفال مُحاولين اللّعب معه وقد يُحاول البعض سَلب تلك الدّميَة بالقوّة وقد يقِف بعض الأطفال بعيدا يُشاهدون ما يحدث ويتمنّى بعضهم لو كان يملك تلك الدميَة المميّزَة وقد يَتمنّى البعض لو كان يَملك تلك اللعبة كي يَحظى بتلك الشّعبيّة السّريعة والقُبول بين الناس..

- ما أقصِده هنا أن أصحاب الهالات القويّة والنادرَة مُعرّضون أكثر من غيرهم للحسَد والسّحر بسَبب بُروزهم في مُحيطهم بوجهٍ لافِت ومُميّز ممّا قد يُسبّب الغيرة من الأشخاص الذين حولهم...

- وكيف يَستطيعون حِماية أنفسهم..؟

(آصف):

- هناك أكثر من طريقة، لكن نحن كمسلمين يجِب علينا أن نلتزم بأذكار الصّباح والمَساء فهي دِرع مَنيع وحاجب قويّ يمنَع التِقاطنا بالعين والحسَد والطاقات السّلبيّة...

- إذن أنتم من الجنّ المسلم..؟

(آصف) بسُخرية:

- أتُريد منّي أن أنطقَ الشّهادة حتى تتأكّد..؟!

- كان مجرّد سؤال فقط، الآن أخبرني ما هي درجة هالتي..؟

(آصف):

- نادرة بالطّبع وإلا لما أمكنَك الدّخول إلى هنا..

- لذلك تقصِد أنه من السّهل عليهم كَشف مكاني بسَبب قوّة هالتي..؟

- نعم ولا...

- ما الذي تقصِده..؟

- هناك شيء آخَر مُميّز فيك، شيء لا يملكه في عصرنا هذا إنسيّ أو جِنيّ... وهو الخَتم النّوراني المَوجود في جَسدك الذي يُمكنك من رُؤية ما وراء الحجاب الذي يفصِل بين العوالم.. وتستطيع أن تَرى الأرواح الهائمة، وتسمَع هَمسات الأرواح في البَرازخ، وتشعُر بوجود الكائنات الخفيّة التي تسكُن بيننا.. هذا الخَتم يَمنحك أيضا القُدرة على الإسقاط النجميّ وأنت في اليَقظَة، ويُساعدك على فكّ الأسحار وإبطال الحسَد بطَريقة يَعجَز الجَميع عن إدراكها وفِعلها، وقراءة أفكارهم وأحداث حياتهم كأنهم كتاب أمامك وهذا ما يَجعلك المَطلوب رقم واحد لدى (المُتنوّرين) عالميًّا...

- يُمكنني فعل كل هذا بسَبب هذا الخَتم المَوجود على **...

قاطعَني (طوس) بغضَب:

- اصمت..!!!

- ما بك يا عم..؟

(طوس) بغضب:

- لا يجِب عليك أن تُخبر أيّ مَخلوق عن مَكان الخَتم وإلّا قد تُعرّض حياتك للخطر لا تَدري من قد يتجسّس علينا الآن فالأعوان كُثر...

(آصف) وهو يحُكّ رأسه:

- لقد نسيتُ أن أُخبرك بالجزء الأهم...

(طوس) بتَجهّم:

- لا وقت لحَماقتك يا آصف خُذ هذا الإنسيّ إلى (نبراس) كي يُباشر تَعليمَه من اليوم، يجب أن يُخفي هالتَه وإلا سوف يكون من السهّل العُثور عليه من قِبل (المتنوّرين) وقد يَكون من الأساس هدفًا لإبليس نفسه أتفهَم ما اقول..!!!

قلتُ وأنا أتلفّت حولي بقلَق:

- هل يَعني هذا أنني في خطَر دائم؟ كيف سأتعلّم التحكّم بكلّ هذه القدرات؟ كيف سأُخفي الهالة كما تقول؟

(طوس) بلَهجَة صارمَة:

- الأمر ليسَ بسيطًا يا فتى. هذا ليس تدريبًا عاديًا. كل خطوة تأخذها نحو إتقان هذه القوى ستكون مَحفوفَة بالخطَر. لكن مع نبراس ستتعلّم كيف تتحكّم، كيف تُخفي، وكيف تُحارب وكل ما يخصّ عالمنا.. أنت لستَ مجرّد إنسيّ الآن....

(آصف) وهو يُقاطع بابتسامَة:

- وأنت لا تعرف حتى نِصف القصّة بعد، يا أكحل.. الأمور التي ستتعلّمها ستجعلك ترى ما لم يكن بالإمكان حتى تخيّله. لكن تذكّر، كل خطوة تخطوها ستضعك في دائرة الضّوء أكثر...

(طوس) بنَبرَة أخفّ، ولكن مع توتّر واضح:

- وهذا هو السّبب في أننا يجِب أن نكون حَذرين. المُتنوّرون وإبليس، وكلّ تلك القوى الظلاميّة، سيُحاولون تَدميرك قبل أن تتمكّن حتى من فَهم قُدراتك...

قلت بصوتٍ مُتردّد:

- ولكن كيف سأبدأ؟ إلى أين أذهب الآن؟

(طوس) وهو يُشير بيده إلى ممرّ مظلم من النافذة المُطلّة على الجبل:

- اتبَع هذا الطّريق سوف يَقودك إلى نبراس، هو الوَحيد القادر على أن يعلمك كيف تتحكّم في الهالة وتُخفيها يجب أن تكون غير مَرئي بالنّسبة لهم حتى تصبح جاهزًا للمُواجهة الكبرى.. الوقت ليس في صالِحنا.

(آصف) بتَسليَة خفيفة:

- وستَكون مُفاجأة كبيرة عندما تكتشِف أوّل درسٍ له.

يضحَك قليلا:

- لا تقلَق يا أكحل، نبراس سيهتمّ بك، ولكن لا تتوقّع أن يكون لطيفًا...

(طوس) بحِدّة مرة أخرى:

- هذا ليس وقت المزاح يا آصف. الأمور الآن أكثر خطورة مما تتصوّر.. (المُتنوّرون) لن ينتظروا، والهجمات الطاقية بدأَت تتزايد من حَولنا خُذ الفتى بسُرعة نحو كهف (نبراس)..

فردَ آصف أجنحتَه السّوداء العملاقة وأشار أن أتشبّث بظهره.. تَشبّثت به وخرجنا من نافذة القَصر الكبيرة نحو كهف نبراس والذي ما إن وصلنا إليه حتى وجدت العم (طوس) ينتظِرنا هناك مُسبقًا...

نظرتُ إلى الممرّ المُظلم بقلق:

- هل يُمكنني حقًّا الوثوق بنبراس هذا؟

(آصف) بلَهجَة ساخرة:

- نبراس لا يَحتاج لثِقتك.. هو فقط سيُعلمك إذا كنت أهلا لذلك يجب أن تُثبِت أنك تستحقّ القوّة التي تمتلِكها من الأساس.. وعليك أن تتذكّر... الختم الذي على جسدك هو نِعمة ونِقمة في آنٍ واحد...

(طوس) بجِديّة:

- لا تسأل الكثير من الأسئلة الآن. الطريق أمامك طويل ومَليء بالمَخاطر. نبراس ليس معلمًا عاديًا كما تعتقد فهو أستاذ جبل قاف العظيم،

- إنه قديم ويَمتلك حكمتَه الخاصة، لكنه قاسٍ جدا ولن يتردّد في اختبارك بكلّ طريقة مُمكِنة...

قلتُ بنَبرَة حازمة، محاولا جمع شجاعتي:

- سأفعل ما يجب.. أنا لم أطلُب هذا المَصير، لكنه تحتّم عليّ، إذا كان عليّ أن أتعلّم التحكّم بهذه القوى لحماية نفسي ومن حولي سوف أبذل قُصارى جُهدي...

(طوس) وهو يضَع يدَه على كتفي:

- لا تدَع الكِبرياء يعميك، يا فتى. الطريق ليس سهلًا، وستُواجه نفسك قبل أن تُواجه أعداءك. لكنك لست وحدك... الخَتم ليس فقط أداة قوة، إنه صِلة بينك وبين عوالم لم يكُن لك أن تَراها من قبل لكنها سوف تُصبح جَليّةً لك الآن...

(آصف) بابتِسامة غامضَة:

- وستُدرك قريبًا أن العالم الذي نعيش فيه ليس كما يبدو. فما وراء الحِجاب الذي يفصِل العوالم ستكتِشف حقائق لا يُمكن لعقلك البشريّ أن يَستوعبها بسُهولة، الأرواح، الجُزء المخفيّ من الأرض، والكائنات التي تسكن الأراضي المُخفية ليست سوى جزء من هذه الحَقيقة...

(طوس) مقاطعًا بصرامة:

- يكفي يا آصف! اترُكه يذهب. لا نريد تأخيرًا أكثر.

ثم نظر إليّ بعينين مليئتين بالتّحذير:

- احرص على ألا تتحدّث عن الخَتم مع أحد.. لا تثِق بأيّ مَخلوق، حتى أولئك الذين يُظهرون لك الود. الكائنات التي ستُقابلها في طريقك قد يكون أحدهم من الأعوان، وليسَ كل ما يظهر لك هو كما يُخفي عنك...

أخذتُ نفسًا عميقًا، ثم نظرت إلى الممر:

- سأكون حذرًا.. ولن أُخدع بسُهولة...

(آصف) وهو يلوّح بيده مُودعًا:

- حسنًا، أتمنى أن تكون جاهزًا لما هو قادم.. رحلتك الحقيقية تبدأ الآن، يا صَديقي الصّغير....

(طوس) بنَبرَة حازمة:

- اذهب الآن، واتبَع الطريق حتى تصل إلى نبراس. لا تنظر إلى الوراء، ولا تدَع الخوف يتملّكك. الجبل سيَختبرك، والقُوى التي تسكُنه ستعرِف إن كنتُ ضعيفًا أم لا...

بدأت بالسّير نحو الممرّ المظلم، والظلام يَبتلعني ببطء.. كنت أعرف أن حياتي القديمة قد انتهَت، وأن عالمًا جديدًا، مليئًا بالأسرار والغُموض، ينتظرني. لكن في داخلي كان هناك إحساس آخر...

الفَصلُ الخامِس

(كهفُ نِبراس العَجيب) (سُكّان قاف)

بدأَت خطواتي تتردّد في ذلك الممرّ الضيّق، بينما كانت الجدران الصخرية تبدو وكأنها تقترب أكثر مع كل خطوة.. الظلام كان كثيفًا، ولم أستطِع رؤية سوى بضع خطوات أمامي. لكنني كنت أشعر بشَيء غريب؛ إحساس بأن هذا المكان ليس مجرّد كهف.. كنت أشعر بوجود كيانات أخرى، كيانات تُراقبني من وراء الحجاب، هَمساتها الخافتة تتَلاعب بأذني، وكأنها تُحاول إخافتي أو تحذيري....

بينما كنت أتقدّم، بدأت أشعر بأن قدميّ تثقُلان. كأن الأرض نفسها تحاول إيقافي. لكنني لم أتراجَع. تذكرت كلمات طوس: "لا تدع الخوف يتملّكك". واصلت السير، رغم شعوري بأن شيئًا ما يقترِب....

فجأة، ظهر أمامي ضوء خافت في نهاية الممر. كان يلمَع بغَرابة، وكأنه يناديني. اقتربتُ بحَذر، وعندما وصلت إلى مصدر الضوء، رأيت مشهدًا غير مُتوقع. كانت هناك غرفة دائرية، جدرانها مليئة بالرموز والنقوش القديمة. في وسط الغرفة، كان هناك رجل يجلس مُتربّعا على الأرض. كان يلبس ثيابًا قديمة ذات ألوان قاتمة، وعلى رأسه تاج صغير من العظام المتشابكة. عرفت فورًا أنه نبراس....

نظر إليّ بعيون حادّة وكأنها تخترِق روحي.. لم يتحرّك، ولم يتحدّث في البداية. فقط ظل ينظر، وكأن حضوري كان متوقعًا..

ثم تحدّث بصوت هادئ، لكن حِدّته جعلتني أشعر بتَوجّس:

- لقد وصلت. لكن الوصول ليس كافيًا. هنا تبدأ رِحلتك الحقيقية...

تردّدت لثوانٍ، ثم سألته بصوتٍ خافت:

- ما الذي عليّ فعله؟ وكيف يمكنني التحكّم في هذا الخَتم؟

- التحكم بالختم؟.

قال نبراس ببطء، وكأن الكلمة نفسها تحتوي على ثقل الزمن والعَواقب. وأضاف:

- الختم ليس شيئًا يُتحكّم به، إنه يختارك. وإذا لم تكن مستعدًا، فسوف يَلتهِمك...

لم أتمكّن من الردّ على الفور. كل كلمة نطَقها حملت شعورًا بالخطر والرّهبة. ولكن لم يكن هناك طريق للعودة. نظرت إلى الختم بجسدي، وشَعرت بالثقل الذي يمثّله. كنت أعلم أن هذا الختم هو مفتاح لمصير أكبر، لكني لم أفهم تمامًا ما كان ينتظرني....

- كيف يمكنني أن أكون مستعدًا؟

سألت، مُحاولًا أن أبدو واثقًا رغم الدّوامة التي كانت تَجتاح أفكاري.

ابتسامة نبراس تلاشَت، وأخذت عيناه تلمَعان بضوء خافت:

- لكلّ خَتمٍ حامل، ولكل حامل اختبار. أنت لم تصِل إلى هنا صدفةً، أيها الأكحَل. لقد اختاروك بعناية. لكن الآن، يَتعيّن عليك أن تُثبت أنك تستحقّ هذا المصير.

وقفَ نبراس فَجأة، وخطا نحو جِدار الغرفة المليء بالنّقوش بيده المُتعرّجة، لمسَ نقشًا قديمًا يرمز إلى شكل غريب، وكأنه بوّابة أو دوّامة.

- هذه هي بوابتك. ستدخُلها، ولكن كُن على علم بأنك إذا فشلت في الداخل، فلن تخرُج مرّة أخرى.

تردّدت للحظة، ثم سألت:

- ماذا يوجد في الداخل؟

- الاختبار الأخير. داخله، ستُواجه مَخاوفك، وستُختبر إرادتك. الختم سيَفتح لك أبواب القوّة، لكنه سيُجرّبك بأعمَق نقاط ضعفك. إذا لم تكن قويًا بما يكفي، فستَكون مُجرّد ضحيّة أخرى لهذا المكان...

لم يكن لديّ خيار.. تقدّمت ببطء نَحو الجدار، نحو النّقش الذي يرمز إلى البوابة. عندما اقتربت، بدأت الرموز تتوهّج بضوء أزرق باهِت، وكأنها استَجابت لوجودي.

وقفتُ أمام النّقش، ثم وضعتُ يَدي عليه للحظة واحدة شعرتُ كما لو أن الجدار نفسه كان يَنبِض بالحياة، ثم اختَفى ذلك النّبض....

وجدتُّ نفسي فَجأة في فَضاء شاسِع، لا جدران، لا أرض، فقط ظلام مُطلق ومع ذلك، لم أشعُر بالوحدة.

كنت أعرف أن هناك كيانات تنتظرني في هذا الفضاء، تُراقبني من بعيد....

سمعتُ صوتًا. لم يكن صوت نبراس هذه المرة. كان صوتًا داخليًا، صوتًا قديمًا وعميقًا، يقول:

- (مرحبًا بك في عالمنا).

وفي نفس الوقت من داخلي. شعرتُ بارتجافٍ يَسري في جسدي، لم يكن هذا المكان مثل أي شيء قد اختَبرته من قبل كان الختم على **** يشتعِل بنبضات ضوء غريبة، كما لو أنه استَجاب لهذا النّداء....

في البداية، كان الفضاء ساكنًا، ولكن سُرعان ما بدأت الأشكال تظهَر من العدَم كانت غامضة وغير واضحة، لكن كلما اقتربت، بدأت تأخُذ أشكالا مألوفة

كانت مخلوقات هُلامية، لها وجوه بلا ملامح، لكن بداخلها كانت تنبض بقوة غريبة أحسَستُ أنني أمام كينونات قديمة، تَجوبُ هذا العالم....

ثم خرجَت إحدى تلك الكيانات من بين الظلال، وكان حجمُها أكبر من الآخرين بدَت وكأنها تُجسّد شخصًا أعرفه إنه (علي) كان واقفًا هناك، لكن نظراته كانت مختلفة. لم تكن تلك النظرة الودية التي اعتَدت عليها.. كانت مُظلمة ومُرعبة، وكأنها تحمل كراهية عميقة....

- أنت ضعيف، يا سيّدي.

قال بصوتٍ مَشحون بالغضب، وأضاف:

- لماذا تظنّ أنك تستحقّ القوّة التي تبحَث عنها؟

كانت كلماته كالسّكاكين تخترِقني. شعرتُ بأن هذا الكيان يعرِف كل مَخاوفي وشُكوكي، ويُريد استخدامها ضدّي....

حاولت أن أُقاوِم الشعور بالخوف، تذكّرت كلمات نبراس: "ستُختبر إرادتك". علمتُ أنّه لم يكن (علي) الحقيقي، بل كان اختبارًا....

- هذا ليسَ حقيقيًا!.

صرختُ، محاولًا أن أتجاوز هذا الوهم

لكن (علي) تقدّم نحوي، وعيناه مُشتعلتان بالغضَب:

- أنت لن تتجاوَز هذا، لأنك تعرف في داخلك أنّني على حق أنت لستَ مستعدًا لست قويًا بما يكفي.

بدأ الظلام من حوله يتمدّد، وكأنه يَبتلِعني ببطء...

ترددتُ للحظة، أحسَستُ بأنني على وشك الانهيار لكن تذكرت كل شيء تعلّمته، كل الآلام التي عشتها لم أكن نفس الطّفل الذي دخل المَركز بفضول...

صرخت بقوة:

- أنا مستعد!

ودفعتُ بكلّ ما أملك من قوّة إرادة نحو الكيان فجأة، شعرتُ بأن يدي تتوهّج بقوّة غير مسبوقة، واندفعَ شعاع من الضوء من يدي نحو الظلام...

تلاشى علي الوَهميّ، ومعه انقَشعَ الظلام وجدت نفسي واقفًا في غرفة مُضيئة، جدرانها مغطّاة بالرّموز القديمة في وسطها كان هناك مرآة، ولكنها لم تكن مِرآةً عادية كان سطحها يعكس شيئًا أعمَق من مجرّد صورتي.

نظرتُ إليها، ورأيت نفسي لكن لِباسي تغيّر إلى لباس غَريب، اللّباس كان مزيجًا مُدهشًا، وكأنّه مُصمّم ليُناسبني تمامًا معطفًا طَويلا، مصنوعًا من فَروٍ كثيف بلون أسود داكن، يغطّي مُعظم جسدي، ويَمنحني دفئًا لا يوصف الأكمام كانت واسعة، مزيّنة بحَوافّ من الجلد المَدبوغ، تعكِس لون الفِراء لكنها أكثر خُشونة في الملمَس..

الجزء الخلفي من المِعطف كان مزخرفًا بجلد ذِئب، يمتدّ من كتفي إلى أسفل ظهري، ومن خَصري كان الحزام عريضًا، مصنوعًا من الجلد السّميك، يلتفّ حول خَصري بإحكام، ويضم في نهايتِه مشبكًا معدنيًا يُشبه أنياب الذئب الحادة...

حِذائي كان عاليًا، مصنوعًا من الجلد المتين المغطّى بالفَرو من الداخل، يصِل إلى منتصف ساقي، مَشدودًا بإحكام ليُحافظ على الحرارة ويَحمي قدمي من الأرض الصلبة والجليد..

سمعتُ الصّوت القديم مرة أخرى:

- (لقد نَجحتَ في أول اختبار لكن رحلتك لم تنتهِ بعد. الآن، عليك أن تتحكّم في ما اكتسبتَه، وأن تستخدمه بحكمة؛ فالختم جزء منك الآن، وقوّته بين يديك ولكن تذكّر... القوة وحدَها ليسَت كافية).

وفجأة، وجدتُّ نفسي مجددًا في الغرفة الدائرية حيث كان نبراس ينتظر عيناه لمعَتا بنَظرَة عِرفان خفيّة:

- لقد عَبرتَ البوابة، ولكن الطريق أمامك طويل استعد للأيام القادمة، يا أكحل الآن، تَبدأ الرحلة الحقيقيّة.

بعد أن أكملت الحَديث مع نبراس، خرجت من الغرفة الدائرية عبر ممرّ آخر لم ألاحِظه من قبل، كان هذا الممرّ مختلفًا عن السابق؛ الهواء فيه كان أخفّ، وكانت هناك رائحة عُشب ورُطوبة تخترق أنفي. تقدّمت خطواته حتى انتهى به المَطاف إلى فتحة تُؤدي إلى وادٍ واسع....

تأمّلت المشهَد أمامي بذهول على بعد خُطوات قليلة، كانت هناك بُحيرة صغيرة، مياهها شفّافة وبرّاقة تعكس الضوء بغرابة، أحسَست بجوعٍ عَميق في بطني منذ دخولي الوادي، دون تفكير، توجّهت نحو البحيرة....

جلستُ عند ضِفافها وأخذت أنظُر إلى الأسماك التي كانت تسبَح تحت السطح. كانت صغيرة وسريعة الحركة، أمسكت فرعًا من شجرة قريبة، اتّخذت منه رمحًا بسيطًا، ثم وقفت عند حافّة البحيرة منتظرًا اللحظة المناسبة....

لم يمُر وقت طويل حتى اقتربَت سمكة كبيرة من السّطح، وفي لحظة واحدة، غرزتُ الرّمح في الماء وأخرجت السمكة. غمرَني شعور بالنّصر، اجتاحَني وأنا أرفَع السمكة بين يدي، ولكن سرعان ما انقلبَ هذا الشعور إلى دهشَة ورُعب....

كانت السّمكة ذات جسم طبيعي، لكن ما صَدمني هو رأسها لم يكن رأس سمكة عادية، بل كان رأس أرنَب! عَينان واسعتان، وأذنان طَويلتان، وأنف صغير يتحرّك بسرعة. كانت تُرفرِف بزَعانفها في محاولة للإفلات، بينما ظَللتُ أُحدق بها دون تَصديق...

حاولت السّمكة الأرنبيّة إصدار أصوات غريبة، وكأنها تحتَج أو تُحذر، ممّا جعلني أرتبِك أكثر لم يكن هذا كائنًا من هذا العالم بدأت أفكّر في ما إذا كان ما أراه مجرّد وَهم، أو ربما جزءًا آخر من الاختبارات التي أخوضها...

تردّدتُ للَحظة كنت جائعًا، ولكن شعرت أن أكل هذا المَخلوق الغَريب قد يكون له عَواقب وبينما كنت أتَصارع مع نفسي، فتحت السمكة فمها لتُصدر هَمهمَة مُنخفضة تُشبه الكلام:

- لا تأكلني... ستندم!

تجمّدتُ في مكاني، وعَيناي متّسعتان بالطّبع لم أكن مستعدًا لسَماع سمكة برأس أرنب تتحدّث...

تراجعتُ خطوة إلى الوراء وأنا ما أزال مُمسكًا بالسّمكة ذات رأس الأرنب عَقلي كان يُحاول استيعاب ما يحدث لم يكن يتوقّع أن تُصدر هذه المخلوقة

الغريبة أي صوت، وبالتأكيد ليس تَحذيرًا...

- ماذا... من أنت؟

سألتُ بصوت مُتردّد، ناظرًا في عيني السّمكة التي كانت تُوحي بالخوف..

- أنا خلقٌ من خلق الله.

قالت السّمكة بصوت هادئ..

لم أعرف ماذا أقول؛ كان الجُوع ما يزال يَتزايد داخلي، ولكن الآن كان هناك شيء آخر يقف أمامي؛ قصّة غامضة وغريبة..

- ولماذا لا تُوجدي بعالمي؟

سألتُ بفُضول..

السّمكه الأرنبيّة:

- سلسله جبال قاف هي جزء من عالمك لكنكم مُغيّبون عنها بسبب القُوى الظلاميّة التي تملأ الأرض..

أخذتُ نفسًا عميقًا وأنا أنظر إلى ذلك المخلوق بين يدي بدأت أُدرك أن كلّ شيء في هذا الجبل مُرتبط بقوانين عالميّة غامضة...

تردّدت للَحظة لقد كنت جائعًا، ولكن كان في داخلي إحساس بالمسؤولية انحنَيت لأُعيد السّمكة الأرنبيّة إلى الماء...

عندما غاصَت السّمكة في الماء، بدأ جسدها يلمَع بضوء ساطع اختفَت السمكة في أعماق البحيرة، لكن الضوء لم يختفِ بل بدأ يتجمّع في شكل دوّامة في وسط البحيرة، ثم فجأة ارتفعَت موجة قوّية من الماء والضوء معًا..

في تلك اللحظة، ظهرَ أمامي كيان نوراني. كان شَكلُه غامضًا...

تحدّث بصَوتٍ عَميق ومَهيب:

- لقد أظهرتَ الرّحمة، وهذا ليس أمرًا سهلًا في هذا المكان المَليء بالمَخاطر بفعلتِك هذه، ستُمنح مُساعدة منا..

ثمّ تلاشى الكيان، وعادَت البحيرة إلى هُدوئها، وقفت هناك، مَذهولًا ممّا حدث للتوّ، شعرتُ أن طاقتي قد تجدّدت، وكأنّ الجوع الذي كنتُ أشعر به قد اختَفى بدأتُ أُدرِك أن كلّ اختيار في هذا الجَبل له تَداعيات أعمَق مما كنتُ أتصوّر...

بعدَ أن تركتُ البحيرة خلفي، واصلتُ رحلتي عبر الممرّات المُلتوية داخل سلسلة الجبال وكلّما تقدّمت، أشعر أن الأجواء تتغيّر من حولي، الهواء أصبح أثقل، والأشجار التي كانت تملأ الطريق بدأت تتراجَع تدريجيًا، لتحلّ محلّها أراضٍ قاحلة وصخور رمادية...

وبعد مَسيرة طويلة، لَمحتُ في الأفق مدينة غريبة، مُغطّاة بضباب خَفيف ولونها شاحب...

عندما اقتربتُ من بوّابة المدينة، لاحظتُ أن كل من يَعيش فيها كان لون جِلده رماديًا، وكأنهم جُزء من هذا المكان الذي بدا بلا حياة، كانت المدينة هادئة، والشّوارع مليئة بالبيوت الحجريّة، سِرت عَبر الأزقّة حتى وصلت إلى السوق الكبير، حيث كان الناس يتحرّكون ببطء وهدوء، وكأنهم مَسلوبو الإرادة...

عاد شعور الجُوع وقرّرت البَحث عن مطعم لأتناول شيئًا يسدّ جوعي. وبينما كنت أمشي في السوق، اصطدمَت قدمي بشيء صَغير وخشِن نظرت إلى الأسفل لأجد عجوزًا قزمًا، يرتدي رداءً قديمًا ومهترئًا، وشعره أبيض طويل ينسدِل على كتفَيه، كان العجوز جالسًا على الأرض، يحدّق بي بطريقة غريبة...

- آسف، لم أراك!

قلتُ بسرعة وانحَنيت لمساعدة العجوز على الوُقوف..

العجوز ضحك ضحكة خفيفة وقال بصوت غريب:

- لا بأس، أيها الشاب الوسيم لقد كنت أراقبك منذ أن دخلتَ المدينة يبدو أن القدرَ جمَعنا هنا..

تَفاجأت من هذه الكلمات، لكني قرّرت ألا أُظهر دهشَتي:

- من أنت؟ ولماذا تُراقبني؟

سألتُه بفُضول.

- اسمي (عزقف)، وأنا معلّم قديم في هذه المدينة لكن قل لي، أيها الشاب الوسيم، ما الذي جَلبَك إلى هذه البقاع الغامضة وكيف تخطّيت الحَواجز؟

رويتُ باختصار رحلتي وكيف وصلت إلى هنا..

بدا (عزقف) مهتمًا للغاية:

- إذا أنت تبحث عن القوة والمعرفة، أليس كذلك؟

قال بابتِسامة ماكرة، وأضاف:

- لديك الطُموح العَظيم والإمكانات اللازمة، وأنا يمكنني مساعدتك لديّ علوم قديمة يمكنها أن تجعل منك شخصًا قويًا وتتحكّم وتُضيف ختمًا إضافيًّا إلى ختمك..

شعرتُ بالحاجة إلى تعلّم المزيد من العلوم، ورأيت في (عزقف) الشّغف لتَعليمي اتّفق معي على أن يعلّمني في الأيام التالية...

في اليوم الأول، أخذَني عزقف إلى منزله، الذي بدا غريبًا ومثيرًا للاهتمام منذ اللحظة التي عبرتُ فيها عتَبة باب كوخه الصغير... كل شيء كان مبعثرًا بوَجهٍ يُثير الحيرة زجاجات من أحجام مختلفة متناثرة على الأرض، وكتب مفتوحة بأوضاع غريبة، بينما الأوراق المبعثرة كانت تُغطّي الأرضية وكأنها اقتباسات مُشوّهة...

بدا لي أن هذه الفوضى ليسَت نتيجة إهمال، بل هي تجسيد لعقل مَشغول، الرسومات الغريبة على الأوراق التي كانت متناثرة هنا وهناك بدت وكأنها أجزاء مُستجزَئة من كتب مجهولة كل خط وكل نقش كان يَحمل في طيّاته أسرارا لم أكن بعد قادرًا على فكّ رُموزها...

لكن ما لفتَ انتباهي بشدّة كانت ورقة تحت رفّ بزاوية الكوخ، التقطْتها من على الأرض بحذَر، وكانت تحمل رسومات غير مَفهومة تمامًا، مجموعة من الأشكال الهندسية المُتداخلة التي تبدو وكأنها تحمل سرًا دفينًا حاولت أن أركّز في تلك الخطوط المتشابكة، ربما أجد تفسيرًا، لكن دون جدوى بدا وكأنها خريطة لعالم غير مرئي، عالم مختلف تمامًا عن الّذي أعرفه.

بعض الأشكال بدَت لي كرموز قديمة، تعود لعصور غابرة، فيما الأخرى تشبه مخلوقات غريبة أو كيانات لم أرَ مثلها من قبل وبينما كنت أتأمل تلك الرسومات، شعرت بتيّار غريب يَسري في جسدي، وكأن الورقة تحمل قوة خفية، أو ربما الرسوم كانت نوعًا من السحر...

فجأة، قطع حبلَ أفكاري صوتُ عزقف من خلفي:

- أنت مهتم بما وجدت؟

استَدرتُ بسرعة، ولم أكن أدري إن كان يجب أن أشعر بالحرَج لأنني كنت أعبَث في أوراقه دون إذنه، أم أُبقي على فُضولي وأساله...

نظرتُ إليه وحملت الورقة نحوه، وسألته:

- ما هذه الرّسومات؟

ابتسمَ عزقف تلك الابتسامة المُريبة التي لم أفهمها بعد، لكنه لم يأخذ الورقة مني. بدلًا من ذلك، جلس على الأرض بين الأوراق والكتب المبعثرة، وأشار لي أن أجلس بجانبه:

- هذه، يا بني، ليسَت مجرد رسومات إنها بقايا من عوالم مُوازية، أماكن لا يستطيع الجميع رؤيتها أو إدراك وجودها فقط أولئك الذين يملكون عينًا تستطيع اختراق الحِجاب يُمكنهم أن يفهموا شيئًا منها..

أخذتُ نفسًا عميقًا، ولم أفهم تمامًا ما يعنيه، لكنني شعرت بأن هناك شيئًا أكبر ينتظرني..

"كيف يمكنني رؤية تلك العوالم؟" سألتُ في نفسي..

أجاب عزقف بصوتٍ هادئ، كأنه يقرأ أفكاري:

- هناك طرق كثيرة، لكن أولا، عليك أن تتعلّم كيفية استخدام قوتك القوة التي اكتسَبتها من الختم ليست فقط لتَحمي الضعفاء، بل لتفتح لك أبواب تلك العوالم وعليك أن تتعلم بعض مُمارسات السّحر الأسود..

انتابَني شعورٌ بالقلق، ولكنني كنت مصممًا على فهم ما يجري:

- لكن لماذا يجِب أن أتعلّم السّحر الأسود؟

سألت، وكنتُ أُدرك أن هناك شيئًا مَدسوسًا في كلامه

ابتسمَ عزقف مرّة أخرى، لكن هذه المرة كانت

ابتسامته مُريبة:

- السّحر الأسود ليس إلا وسيلة، يا أكحل يمكنك استخدامه للخير أو الشر، حسب اختيارك لكنك بحاجة إلى القوة لفهم الحقائق العميقه الذي تدور حولك والاختيار لك ولكن تذكر، ما تفعله بهذه القوّة هو ما سيُحدد مصيرك

تدورُ الأفكار في رأسي، وشعور بأنني على أعتاب شيء سيّئ لم يُفارقني، ولكن في ذات الوقت، كانت رائحة الخطر تَنبعِث من كلّ زاوية...

قلت:

- سأتعلّم كل شيء ولن أترك باب علم إلا وأخذت منه حاجتي لن أدَع المُتنوّرين يتقدّمون عليّ بأي خطوة أو معلومة مهما كانت...

بدأت أُمضي الساعات في التّدريب على التّعاويذ والطّقوس التي كان عزقف يعلّمها لي في البداية، بدت الأمور رائعة، حيث تعلمت الكثير من الأمور التي جعلتني أشعر بأنني في ذروة العلم والمعرفة، وكيف يتم عمَل السّحر من الأساس وكيف هي آليّتُه وطُرق إبطاله، كان عزقف يُظهر لي أن كل ما يعلّمه لي هو بدافع العلم والمعرفة لا أكثر...

لكن مع مرور الوقت، بدأت ألاحظ أمورًا غريبة، وفي إحدى الطقوس التي أمرَني عزقف بتنفيذها، حدث ما لم يكن في الحُسبان. ظهر أمامي كيان غريب، كان أسود بالكامل، بلا ملامح واضحة، فقط عين حمراء واحدة تلمَع في منتصف رأسه...

قال بصوتٍ عَميق ومَهيب:

- مرّ أكثر من 3653 عامًا على آخر استِدعاء لي من أنت أيها الشاب؟ ومن الذي أمركَ باستِدعائي؟

تَفاجأتُ تمامًا من هذا الظهور المفاجئ وأجبته ببرود:

- عزقف هو من طلبَ مني ذلك..

ضحكَ الكيان ضحكة خافتة:

- ذلك العَجوز الخَبيث! لم يتوقف عن مُحاولاته الفاشلة حتى أوقعَ نورانيًا مثلك في مَصيَدتِه..

شعرتُ بأنني مُحاصر في دوّامة من الأسئلة:

- مصيَدة؟! مصيَدة ماذا؟

قال الكيان بصوتٍ هادئ لكنه مَليء بالحقيقة:

- هناك طقوس وأنواع معينة من التّحضيرات لا يستَطيع أي مخلوق تأديَتها، إلا نوع مميز من البشر لهم تلك القابليّة، هؤلاء البشر يحملون أختامًا خاصّة تسمَح لهم بكَسر أي حاجز للتّحضير، وتجعل المُستحضَر يأتي رغمًا عنه وأنت من هذه القلّة النادرة في هذا العالم، لذلك كان يُحاول ذلك العجوز القزم عزقف جاهدًا العثور على شخص مثلك، ليَسلب طاقتك ويُنفّذ الطقوس التي لا يَستَطيع هو تأديتها ولا حتى أعتى السّحرَة في العالم...

شعرتُ بالغضَب يتَصاعد في داخلي مع كل كلمة:

- ولماذا يُريد تنفيذ تلك الطّقوس؟

سألت وأنا أفكر كيف أنتقمُ من ذلك القزم الرمادي...

أجاب الكيان بنَبرَة مِلؤها الازدِراء:

- ذلك الجَشِع يُريد أن يحكمَ مدينتَه لقد مارس أخطر أنواع السحر الأسود ليتمكن من الاستِحواذ على إرادة سكان مدينته، ويجعلهم ينقلبون على الحاكم الحالي ليأخذ هو مكانه.

وبينما كنت مشغولًا بمحاولة فهم ما قاله الكيان، دخل عزقف فجأة إلى الغرفة، مقاطعًا حواري معه وبلَمح البصر، اختفى الكيان الغريب عند دخوله وتَلاشى في العدَم...

- ما الذي يحدث هنا؟

سأل عزقف، محاولًا إخفاء القلَق الذي بدا واضحًا في صوته..

نظرت إلى عزقف، وعقلي مَشغول بما سمعته من الكيان الغريب شعرتُ بثقل الحقيقة التي بدأت تتكشّف أمامي فلم أُجِبه...

- ما الذي يجري هنا؟

كرّر سؤاله بنَبرَة أكثر حدّة، محاولًا السيطرة على المَوقف...

وقفتُ أمامه، وقد اجتاحَني الغضَب:

- أريد أن أفهمَ الآن ما هذا الكيان الذي ظهر لي؟ وما هذه الطّقوس التي جعلتني أؤدّيها؟!!

حاول عزقف أن يُخفي ارتِباكه بابتسامة زائفة، لكنه فشل في إخفاء القلق الذي انعكسَ في عينَيه:

- لا تقلق يا أكحَل؛ الكيان الذي رأيته هو مجرد جزء من عَملية التعلم، أحيانًا تظهر كيانات لتَختبر المُتدرّبين لا شيء أكثر من ذلك...

لم أقتنِع بكلماته السّطحية وقلت:

- اختبار؟ هذا ما تسمّيه؟ أنت تَستغلّني لتَنفيذ طقوس لا تستطيع أنت القيام بها..! أخبرني الحقيقة الآن أو لن أرحمَك...

تغيّرت ملامح وجهِه فجأة، وسَقط القناع الذي كان يَرتديه، وظهر وجهه الحقيقي: وجهٌ مليء بالجشَع والطّمع والخُبث:

- أنت أذكى ممّا توقّعت أيها الشاب الوسيم نعم، أردتُّ قوتك، تلك القوة النادرة التي تمتلكها لقد بحثتُ طويلًا عن مخلوق مثلك ليُكمل الطّقوس التي ستجعلني الحاكم بلا مُنازع...

تقدّمت خطوة للأمام، مَدهوشًا من صراحته الوَقِحة:

- كل هذا كان مَحض خدعة؟! كل ما تعلمته، كل ما مررت به، كان من أجل خطّتك الأنانية وجَشعك!!

تقدّم عزقف خطوة نحوي، وبدأ يقول بجنون:

- نعم أنا أستحقّ أن أكون الحاكم، العالم ليس كما تعتقده إما أن تكون الأقوى أو تُسحَق، وكنت أحتاجك لتكون مفتاحي إلى السيطرة الكاملة على الرّماديّين...

لم أتمالَك نفسي أكثر، شعرت بالغضب يغلي في داخلي رفعت يدي، وشعرت بالطاقة التي تدفّقت في جسدي، تلك القوة التي اكتسَبتها من تَدريباتي معه...

قلت:

- وهل هذا سَبب يَجعلك تَستغلّني..؟! لن أكون دُميَتك بعد الآن، لقد تعلّمت ما يَكفيني...

ابتسمَ عزقف بسُخرية، وقال:

- إذا كنت تعتقِد أنك تستطيع هزيمتي، فأنت واهِم لقد صنعتُ منك ما أنت عليه اليوم، والآن حان الوقت لتُصبح خادمي المُطيع!

قلت:

- هل تعرف المثل السّائر: "انقلبَ السّحر على الساحر"؟

بدأت أستخدم أحد التّقنيات التي تعلمتها وأُدفّق الطاقة داخل جسدي وعينايّ تُحدّقان في عزقف، القزم العجوز، المُتعطّش للسّلطة...

- ظَننتَ أنّك تستطيع التّلاعب بي؟!

قلتُ بغضَب:

- والآن ستَدفع الثّمن...

لم يَرد عزقف، بل اكتفى برَفع يَده، وفي لحظة، تشكّلت بين أصابعه حيّة، تلتفّ وتتمدّد، أرسلها نحوي بسُرعة والتفّت حول رقبتي بقوّة شَديدة حتى خنَقتْني...

(عزقف) وهو يضحك ساخرا:

- أعتقد أنه حان الوقت لأتخلّص منك يا أداتي المميّزة..

بدأت أقرأ المعوّذات وآية الكرسي بصوتٍ مَبحوح وما هي إلا لحظات حتى تلاشَت الحيّة..

تقدّمت نحو عزقف الذي بدأ يرتجِف عندما سمعَ قراءتي للقُرآن، رفعتُ يَدي وبدأت أخنُقه وأنا أقول:

- والآن انتهَت أَلاعيبك أيّها الخَبيث...

بدأ يُحرّك يدَيه بعشوائيّة حتى أمسك عصى كانت على الأرض مَصنوعة من عظام قديمة، وبدأ يُتمتِم بطلاسم وفجأةً امتلأَت الغرفة بالضّباب الأسود الذي بدأ يَحرِق عَيني...

- سأجعلك تَندَم على ذلك يوما ما!

قال (عزقف) بينما أحسَستُ أنه يتفلّت من قبضتي وما هي إلا لحظات وانقشَع الدّخان من الكوخ واختَفى...

أدركتُ حينها أن المعركة قد انتهَت بهُروب ذلك الخَبيث...

أخذت أغراضي وخرجتُ من الكوخ وبينما كنتُ أستعد لمغادرة المدينة، بعد تلك المعركة التي قلبَت مُجريات حياتي، بدأتُ ألاحظ تغيّرًا واضحًا في الجو، همَسات تنتشِر بين الناس، نظرات مليئة بالإعجاب والتّقدير بدا لي أن ما حدثَ بيني وبين(عزقف) لم يكن شيئا مَجهولًا كما ظننت، أهل المدينة، أولئك الذين كان لون جلدهم رماديًا وأعينهم خافتة، بدؤوا يُظهِرون حياة لم أرَها فيهم من قبل كأنّ هَزيمتي لعزقف قد أعادَت لهم شيئًا فقدوه منذ زمن...

كنت أتقدّم نحو بوابة المدينة، محاولًا مغادرتها دون إثارة الكثير من الانتِباه لكن قبل أن أخرج، قاطعَني صوتٌ قادم من خلفي:

- أيها الأكحل!

التفتُّ لأجد فارسًا ممتطيًا جوادًا أسود، دِرعُه لامعة وعَيناه تركزان عليّ بحزم، أضاف:

- الحاكم يطلُب رُؤيتك..

تفاجأتُ للَحظة:

- الحاكم؟ ولماذا يُريدني؟

تَرجّل الفارس من جَواده واقتربَ مني بخطوات ثابتة:

- لقد سَمعَ بما فعلتَه، انتِصارك على عزقف لم يكُن أمرًا بسيطًا، هذه المدينة كانت تحت لَعنتِه الشرّيرة لسنوات، ولطالما أخاف عزقف الجميع هنا وبفضل ما فعلته، ساد الأمان من جديد لذلك الحاكم يرغب في استِضافتك وتَكريمك...

شَعرتُ بالغرابة.. لم أكن أبحث عن المجد أو التقدير، لكن بدا لي أن مغادرتي دون مُقابلة الحاكم قد تكون إهانة:

- حسنًا، سأذهَب..

قادني الفارس عبر المدينة التي كانت تبدو مختلفة تمامًا الآن، الناس الذين كانوا يَسيرون ببطء ويبدون كأنهم مَشلولون بالعَجز، أصبَحوا الآن أكثر حيويّة، يبتسمون ويهمسون لبعضهم البعض، وأنا أمُر بعضهم رفعَ يده محيّيًا، وآخرون وقفوا ينظرون إلي بعيون مليئة بالامتنان...

وصلنا إلى القصر في قلب المدينة، كان قصرًا قديمًا لكنه ما يزال يحتفظ بعظمته، جُدرانه مرصّعة بالنقوش المعقدة والأبواب الضّخمة، الفارس قادني إلى الداخل، حيث استُقبلت من قبل مجموعة من الجنود والخدم تقدم واحد من الخدم وقال:

- الحاكم بانتِظارك في الداخل..

دخلت القاعة الكبرى، وكان الحاكم يجلس على عرش من الذهب والخشب المُزخرَف، شكله يُعطي طابعَ شخصيّة قوية ووقارًا يُحيط به، كان يَرتدي عبـــاءة فاخرة، وله لِحيـــة بيضاء طويلة، وعيناه تلمَعان بحِكمَة..

- أهلا بالبطَل!

قال الحاكم بصوت مليء بالقوّة والاحترام... وأضاف:

- لقد سمعتُ بما فعلتَه، عزقف كان لعنةً على هذه المدينة منذ زمن طويل، ولم نكن نَجرُؤ على مواجهته لكنك، بجُرأتك وقوتك، حرّرتنا من ظلمِه، إن ما فعلته لن يُنسى أبدًا..

شعرت ببعض الحرَج، فلم أكن معتادًا على تلقّي الثّناء بهذه الطّريقة:

- لقد فعلت ما كان يجِب عليّ فعله لم أكن أبحث عن المَجد..

ابتسمَ الحاكم وأومَأ برأسِه:

- هذه هي كلمات الأبطال الحقيقيين ولكن رغم تَواضعك، نحن نرى أن ما فعلته يَستحقّ أكثر من مجرد الشّكر، لديّ هدية لك، تعبيرًا عن امتِناننا...

صفّقَ الحاكم بيَديه، فدخل خدمٌ يَحملون صندوقًا كبيرًا، فتح الحاكم الصندوق بنفسه، وكشفَ عن خاتم براق، في وسطه حجَر بنيّ يتلألأ بضوء خافت، الحجَر بدا وكأنه ينبِض بالحياة، وكأن داخله طاقة خفيّة...

- هذا الخاتم ليس لمُجرّد الزّينة..

أضافَ الحاكم، وهو يرفَع الخاتم ويقدّمه لي:

- إنه جزء من عُلومنا القديمة، نحن هنا في (جبل قاف العظيم) كلٌّ منا يحمِل خاتمَه الخاص والذي يرمِز إلى هوية المملكة... يحمِل هذا الحجَر البنيّ أسرارًا وعلومًا قديمة تَنتقِل لمالكِه عبر الأثير، عندما تَرتدِيه، ستبدأ في تلقّي هذه العلوم إنه مِيراث أجدادنا، وهو الآن لك أيها البطل..

نظرتُ إلى الخاتم في دهشة، متسائلًا عن قوّة هذا الحجر وما يمكن أن ينتقِل لي عَبره...

- كيف يمكنني استخدامه؟

- عليك فقط ارتِداؤه..

وأضاف الحاكِم:

- بمجرّد أن يكون على إصبعك، سيَبدأ في التّواصل معك عبر الأثير ستَشعُر به، وستبدأ المعرفة بالتدفّق إلى عقلك لكن حَذار، فهذه المعرفة ليسَت لكلّ أحد يجب أن تستخدمها بحكمة، لأنها يُمكن أن تكون سلاحًا ذا حدّين...

أخذتُ الخاتم من يَده، وشعرتُ بثِقله بين أصابعي كان الحجر البنيّ يلمَع كما لو كان يعكس أفكارًا قديمة، عَميقة ومُتجذّرة في الزمان...

وضعتُ الخاتم على إصبعي، وعلى الفور شعرتُ بشيء غَريب يَسري في جسدي، لم يكن شعورًا جسديًا، بل كان أشبه بنبض عقلي، وكأن أبوابًا فتحت في داخلي...

- ستَبدأ ببطء في استِيعاب المعرفة أضاف الحاكم بصوتٍ هادئ:

- عبرَ الأثير ستتعلم لُغاتنا القديمة، تقنيّاتنا، وعلومنا التي لن تجدها في أي مكان آخر لكن عليك أن تتذكر أن هذه المعرفة يجب أن تُستخدم بحذَر...

أومأتُ برأسي وأنا أدرسُ هذا الشعور الغريب الذي يتَغلغَل في ذهني:

- سأستخدمها بحكمة، يا سيّدي شكراً لك على هذه الهديّة...

ابتسمَ الحاكم وقال:

- اعلم أن هذه ليسَت نهاية رحلتك، بل بدايتها فقط سيأتي اليوم الذي ستَحتاج فيه إلى هذه العلوم لتَتغلّب على تحديات أكبر بكثير من عزقف...

بعد ذلك، قَضيتُ الليلة في القصر، وتناولت الطعام مع الحاكم ورجاله كانت الأجواء مليئة بالفرح والاحتِفال بزوال لعنة عزقف، لكن عقلي كان مَشغولًا بالخاتم وما يمكن أن يُقدّمه لي من أسرار...

وفي صباح اليوم التالي، عندما وقفت عند بوابة المدينة، شعرتُ بثِقل جديد على كتفي، لم يكن عبئًا بالمعنى السلبي، بل كان شعورًا بالمَسؤوليّة...

غادرتُ المدينة وأنا أشعر بأنني على أعتاب فصلٍ جديد من حياتي، فصل مليء بالعلوم القديمة والتحديات التي لم أكن مستعدًا لها بعد، لكنني كنت

واثقًا أنني سأكون قادرًا على مواجهة ما سَيأتي.

الفَصلُ السّادس

(عِلمُ الصّوت) (مَدينةُ الشُّعراء)

بينما كنتُ أسير عبر تلك الأرض المُترامية الأطراف، وقد شتّتت ذهني الأفكار حول الخاتم وما يَحمله من علوم، لمحتُ فجأةً من زاوية عيني شيئًا يتحرّك بسرعة لا تُصدق...

في البداية، ظننتُ أنني أتوهّم، لكنني رأيت بوُضوح مخلوقًا غريبًا يركض على الأرض الوَعِرة، نصفُه العلوي كان لإنسان، بينما نِصفُه السّفلي يُشبه النعامة، كان يركض بخفّة وسُرعة لا يمكن للمخلوقات العادية مُجاراته...

توقفتُ للحظة، غير مُصدّق لما أرى "هل يُمكن أن يكون هذا وهمًا؟" تَمتمتُ لنفسي، لكنني لم أستطع تجاهل ما رأيته دون تفكير طويل، بدأتُ بالجَري في مُحاولة للّحاق به كانت خطواته سريعة، وتركت آثارًا على الأرض الوَعِرة، لكنني تتبّعت تلك الآثار بحَذر

وفضول...

بعد مسافة ليست بالقصيرة، وجدت نفسي أقترب من أرض رمليّة غريبَة كانت هذه الأرض مختلفة عن أيّ شيء رأيتُه من قبل، الرمال لونها أسود تمتد إلى الأفق، وفي كل مكان حولي، كانت هناك مخلوقات مُشابهة لذلك الذي رأيته سابقًا، لكن كل منها كان يختلف في شكله...

بعضهم كان نصفه السّفلي حصانًا، وبعضهم جملًا، وآخرون كان نصفُهم الآخر ثورًا أو بقرة كان مشهدًا عجيبًا، أثار دهشَتي..

بينما كنتُ أتأمل تلك المخلوقات الغريبة، غمرَني شعور بالدّهشة والحيرة لم أكن أعرف كيف أفسّر هذا المكان أو هذه الكائنات أمامي، بينما كنت غارقًا في تأمّل هذه المَخلوقات وتلك الحقائق الغامضة التي بدأت تتكشّف أمامي، قاطع تأمّلي صوت قافلة قادمة بسُرعة من خلفي...

كانت أصوات الخيل والجمال تقترب نحوي بقوة، فتوجّهت بنظري نحو مصدر الضجيج وما إن التفتّ حتى رأيت قافلة كبيرة تمتد أمامي، ويقودها رجل على ظَهر حصان...

ما إن وقعَت عيناه عليّ، بدأ يصرُخ بفرح:

- نوراني! نوراني!

لم أكن أفهَم ما يقصد، لكن القافلة كلها توقّفت وبدأ الجميع يردّدون:

- الحمد لله! الحمد لله!

وكأنّ رؤيتي كانت إشارة لشَـيء عظيم. تقدّم الرجل الذي كان يمتطي الحصان نحوي، وجهُه مُشرق وبدا عليه السّرور العَميق:

- من أنت أيّها النوراني؟ وكيف وصلت إلى هنا؟

سألني بصَوت يحمل مَزيجًا من الدّهشة والاحترام...

نظرتُ إليه وحاولت أن أجِد الكلمات المناسبة:

- أنا الأكحَل.

بَدا وكأنه شعرَ براحة أكبر بعد سماعي، وابتسم قائلا:

- أنا (ظافر)، من الجن المُسلم من مدينة الشعراء تحديدا، لقد سمعتُ عن النورانيين أمثالك، ولم أتوقّع أن أرى أحدهم في سلسلة قاف، تفضّل معنا، نحن في طريقنا إلى واحة الحِكمة، وهناك الكثير من الأشخاص سوف يَسعَدون بقُدومك...

شعرتُ بالفضول والارتِياح في نفس الوقت، لم أكن قد خطّطت للانضمام إلى قافلة من قبل، ولكن شيئًا ما في (ظافر) وفي كلمة "مدينة الشّعراء" و"واحة الحكمة" جذبَني، كانت هَذه الرّحلة تبدو وكأنها جزء آخر من اللّغز الذي بدأت في اكتِشافه...

ركبتُ بجانب ظافر، وأنا أفكر في الكلمات التي سمعتُها منه، كان يبدو أن كل خطوة أخطوها في هذا العالم تأخذني إلى مُستوى جَديد من المعرفة...

وصلنا إلى مدينة الشعراء، توقفَت القافلة أمام بوّابة ضخمَة مصنوعة من الخشب المُتشابك، وكأن الطبيعة نفسها هي التي نَسجَتها بعناية كانت البوابة مغطّاة بالنباتات المزهرة التي تنمو بوَجهٍ طبيعي، تعطي المكان جمالًا وأصالة، كان على جانبي البوابة حارسان طويلان، مُلتحفَين بعباءات خضراء تتَماشى مع لون المدينة...

عندما وقعَت أعينهم على ظافر، ابتسموا ورفعوا أيديهم للتّحية..

- السّلام عليك يا ظافر، أهلًا بعودتك!

قال أحدهم بصوتٍ عَميق، بينما فتح الآخر البوابة ببطء...

دخلنا إلى المدينة، وما إن وقعت أعيُنهم على (ظافر)، بدأ الناس في التجمّع حول القافلة. كانوا يُهلّلون ويَهتفون باسمه:

- ظافر! ظافر!

ووجوههم مَملوءة بالسّعادة والراحة لرؤيته، بدا أنهم كانوا ينتظرون هذا الموكب بلَهفة، النّساء، الرّجال، والأطفال، كلهم كانوا يُحيّونه بحرارة وكأنه بطلٌ عائد من معركة طويلة بعضهم كانوا يمدّون أيديهم بالسلام، وآخرون يُوزّعون الزهور ويرشّونها فوق القافلة...

لاحظتُ الابتسامة الراضية على وجه ظافر، لكنه كان متواضعًا في رُدودِه، يُحيّي الجميع بصوت هادئ وحركة سريعة من يده، كان واضحًا أن له مكانة عالية في هذه المدينة، وربما في قلوبهم أيضًا...

لكن ما لفتَ انتباهي أكثر من الحَفاوة هو المنازل، كانت البيوت هنا مختلفة تمامًا عن أي شيء رأيته من قبل. لم تكن مَبنيّة من الحجر أو الطوب، بل كانت نحتًا حيًا من الشّجر والنباتات...

أشجار ضخمة تشكّلت لتكون جدرانًا وسقوفًا، ونباتات متسلّقة تُغطي كل شيء بالزهور الملونة بدا وكأن المدينة بأكملها عبارة عن حديقة كبيرة مزدهرة، تزهر في كلّ زاوية وتفوح منها روائح الزهور...

حتى الهواء هنا كان نقيًا ومُنعشًا، ممزوجًا بعِطر الزهور، كل منزل كان متداخلًا بعُمق مع الطّبيعة، كانت الأشجار العالية تُلقي بظلالها على الشوارع، بينما الطيور تغرّد فوق رؤوسنا، شعرت وكأنني دخلت إلى عالم مختلف تمامًا، عالم يعيش فيه الناس بسَلام مع الطّبيعة...

لفتَني شيءٌ غريب في طريقتهم في الحديث. لم تكن كلماتهم مجرد كلمات عادية، بل كانت كالشعر، كأن كل حرف ينبض بإيقاع مُوسيقي خاص...

أحد الرجال، طويل القامة، ذو لِحية بيضاء وشعر مُتطاير كالرياح، اقترب منا وهو يُنشد بصوتٍ عذب:

- أهلًا بظافر، يا حامل المُؤن أتيت حاملًا معنى السّرور

في هذه الأرض التي تَحيا بالشّعر

حيث الجمال يَحكم والفِكر يَدور.

ابتسمَ ظافر له، وردّ عليه بنَغمَة هادئة:

- يا أهل الشّعراء، يا رمزَ الوَفاء

جئتكم بالمؤن والخير والعطاء

فلتسعد القلوب في هذا المَساء

ونجعل من اللّيل يومًا للصفاء.

بدأَ الجَميع يردّدون بأصوات متناغمة، وكأنهم في جوقة موحّدة:

- ظافر عاد إلينا كما تعود الطّيور

يحمل الحِكمة في قلبه مثل البُذور

والأكحَل معه، بَريق في سَماء

شخصٌ نورانيّ جاء بعد عَناء.

اقتربَت امرأة مُسنّة، عيناها تُشع بالحكمة، وقالت لي بشعر هادئ:

- أنت يا أكحَل، يا غريب المكان

أتينا لنراك تزرَع بينَنا الأمان

في واحة الحِكمة، ستَجد ما تَرجوه

وتفهَم أن الشّعر هو ما تعلوه.

شعرتُ بأن كل كلمة تتردّد في داخلي، كأنها تتسلّل إلى أعماقي. لم يكن الحديث هنا عاديًا، بل كان أشبه برسالة تجسّد فيها الشعر ليكون لُغة حياتهم اليومية...

تلفتُ حولي، رأيت الأطفال ينشدون بين الأشجار، والأزهار تتفتّح مع كل بيت شعري، شعرت أنني في عالم حي، حيث اللغة ليسَت مجرد وَسيلة للتواصل، بل فنّ يتدفّق في الهواء...

- هل تتحدّثون دائمًا بالشّعر؟.

سألت ظافر بدهشة.

ضحك بلُطف وقال:

- هنا في مدينة الشّعراء، كل نفسٍ هو إيقاع

نعيش بين الأبيات، ولا نعرف إلا الارتِياح

فالشّعر هو الحياة، ونحن معه في انسِجام

في هذا المكان، يَتناغم القَلب والكلام.

بدأنا السّير مُبتعدين عن الساحة المركزية، حيث استمرّت الجُموع بالتجمع حولنا، منشغلين بأحاديثهم الشعرية...

سرنا بين الشوارع المليئة بالزهور، رأيت المزيد من المنازل التي تُشبه التُّحف الفنيّة الطبيعيّة، كل بيت كان يتميّز بجماله الخاص وتَكوينه العضوي المتناغم مع

البيئة الأشجار المتشابكة والنباتات المُزهرة التي تلتف حول الأعمِدة والجدران فأعطَت المكان إحساسًا بالدّفء والسلام...

أشار ظافر إلى منزل على جانب الطريق، وقال وهو يبتسم:

- هذا منزلي، المُتواضع...

كان المنزل مُدهشًا في بَساطتِه وجماله، مكونًا من شجرة ضَخمَة تمتد أغصانها لتُشكّل سقفًا طبيعيًا، والجدران كانت عبارة عن نباتات متسلّقة كثيفة مُتشابكة بإتقان، بينما الزهور تُزيّن المدخَل بألوانها الزاهيّة كان الهواء هنا أكثر نقاءً، وكأنّ المنزل بحدّ ذاته ينبِض بالحياة...

فتح ظافر الباب الخشبيّ المَصنوع من أغصان ملتوية، ودَعاني للدخول...

دخلت إلى الداخل وشعرت وكأنني أخطو إلى قلب الطبيعة نفسها، كان المنزل مضاءً بضوء طبيعي يَتسلّل من بين الأوراق المتشابكة في السقف والأثاث كان مصنوعًا من الخشب الطبيعي، منسجمًا مع الأجواء الهادئة...

قال ظافر وهو يُشير إلى مقعدٍ مُريح مصنوع من الأغصان والجِلد:

- اجلِس واسترِح، سأجهّز لنا بعض الشاي الخاص بنا هنا، الشاي مصنوع من أعشاب نادرة، له تأثير مُهدئ على الجسَد والعقل".

جلستُ وشعور الراحة انتشَر في جسدي، كانت الجدران مليئة بالكتب القديمة والمخطوطات، وكل زاوية في المنزل تحمل شيئًا من الحكمة التي يعيش بها ظافر...

عاد ظافر بعد لحظات يحمل معه إبريقًا من الفخّار مليئًا بالشاي الساخن، وصبّ لي كوبًا وقال:

- هذا الشاي سيُساعدك على الاستِرخاء...

أخذت رَشفةً من الشاي، وكان له طعم عميق، مَزيج من الأعشاب التي لا تُشبه أي شيء ذُقته من قبل، شعرت بتأثيره الفوري، وكأنّ كل الآلام في جسدي بدأت تتلاشى ببُطء...

عندما جلست في الداخل، لم أستطع أن أقاوم سؤالي لظافر:

- كيف يَستمدّ هذا البيت قوّته؟ كيف يعيش بهذه الطريقة؟

نظر إليّ ظافر بابتسامة هادئة قبل أن يسألني:

- هل تعرف ما هو علم الصّوت...؟

استَغربتُ من السّؤال..

- علم الصوت؟

كرّرتُ باندِهاش...

ضحك ظافر بخفّة وهو يقول:

- نعم، علم الصوت. كل كلمة، كل نغمة، لها تأثير على العالم من حولنا عندما تتحدّث بشيء، فإنك لا تُؤثر فقط في الهواء أو الأشخاص من حولك، بل حتى في الأشياء الجامدة، مثل هذا البيت، حتى الماء، إذا قرأت عليه القرآن أو كلمات طيبة، فإنه يتأثر بطريقة إيجابية ويُصبح مفيدًا للشفاء وللرّوح.

تأمّلت كلماته للحظة، مُحاولا استيعاب الفكرة...

- أتعني أن الأصوات والكلمات يُمكنها تغيير فعليّة الأشياء من حولنا..؟

أومأَ ظافر برأسِه وقال:

- بالضّبط، في مدينة الشّعراء، نحن نؤمن أن كل شيء في الكون يتفاعل مع الأصوات، نحن نعيش في تناغم مع الطبيعة من خلال الكلمات، هذا البيت مثلا، يتغذّى على الطاقة التي تتولّد من الشعر الذي نتحدّث به، من الكلمات الإيجابية التي ننطقها يوميًّا.

نظرتُ حولي مجددا، وكان كل شيء يبدو نابضًا بالحياة، وكأن كلماته أضافت بُعدًا جَديدًا لهذا المكان الغريب...

بدأت أفكّر في قوّة الكلمات التي أنطقها وكيف يمكن أن يكون لها تأثير أكبر مما كنت أعتقِد في هذا العالم، أدركتُ أن الكلمات ليسَت مجرد وسيلة للتّواصل، بل هي أداة حقيقية للتّغيير..

بعد أن أوضح لي ظافر كيف تُؤثّر الكلمات والأصوات على الأشياء من حولنا، شعرت بأنني أمام علم جديد تمامًا...

لم يكن الأمر مجرد كلمات تُنطق وتختفي، بل بدا وكأن لكلّ صوت تَردُّدًا خاصًا يؤثر في الكون بطرق غير مرئيّة...

تذكرت حينها حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم:

((مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيصْمُتْ)).

ظافر ابتسَم لي وقال:

- أعتقِد أن الوقت قد حان لتتعلّم كيف تستخدِم هذا العلم بنَفسك، لن تستطيع أن تفهم قوة الأصوات والتردّدات إلا إذا شعرتَ بها بنفسك.

اقتربَ مني وأشار إلى نَبتَة صغيرة بجانبه:

- لنَبدأ بهذه النّبتة، ركّز جيدًا على كلماتك، وحاول أن تشعر بالتردّد الذي تصدِره...

أخذتُ نفسًا عميقًا، محاولًا التخلّص من أيّ تَشتّت ذِهني، جلست أمام النبتة، وقد كانت تفاصيلها الدقيقة تنجذب إليّ، وكأنها تحمل رسالة خاصة انحنَيت قليلا لأُدقّق في جمالها، ثم نظرت إلى ظافر الذي كان يُراقبني باهتِمام...

قال بلُطف:

- كلّ كلمة تُلفظ لها طاقة معيّنة، كل حرف يحمل ترددًا يمكن أن يُؤثر على كل شيء من حَولك جرّب أن تُنشِد بعض الأبيات، ولكن كن دَقيقًا في نواياك.

وضعتُ يدي فوق النّبتة، وأخذت أردّد بصوتٍ منخفض:

- أنتِ نبتةٌ ناعمة، تَنبضين الحياة تحت نور الشمس، وفي قَلب الهواء.

عند انتهيتُ شعرتُ بشيء غَريب يتدفّق من أعماقي، كان هناك اهتزاز لَطيف ينطلق من كلماتي، وكأنها تُلامس النّبتة برِفق، فتحت عيني لأرى النّبتة تنمو بوَجهٍ طَفيف، وكأنها تَستَجيب لكلماتي...

- أحسنت!

وأضاف ظافر بفَخر:

- الآن، حاول أن تُركز على مشاعرك، واستخدم نبرَة صوتك لتَفعيل التردّد.

أعدتّ ترتيب نفسي، ثم نطقتُ بأبيات أكثر قوّة:

- أنتِ روحٌ حية، في عالم مليء بالظّلام

مُضيئة كالشّمس، تنشُرين السّلام.

شعرتُ بتردّد أقوى يخرج من صوتي، وكأن النّبتة كانت تتفاعل مع كل كلمة أقولها، بدأت تتلألأ ببريق أخضر، وتبدو أكثر ازدهارًا، كأنها تتغذّى على الطاقة التي أطلقَها شعري...

- عظيم!

وأضاف ظافر:

- أنت تشعُر بالتّردد، الآن يُمكنك استخدام الكلمات لتَغيير الواقع من حولك، لكن تذكّر، القوة تكمُن في النيّة...

تابعتُ تَدريباتي، محاولًا استِشعار الطاقة في كل كلمة، تزايد استِشعاري مع كل بيت شعري، وأصبح بإمكاني رؤية التأثير المباشر على النّبتَة، التي أصبحت تنمو بسُرعة وحَيويّة أكثر..

قال ظافر:

- الآن، جرّب أن تتحدّث إلى النبتة، أعِد صياغة كلماتك بطريقة تجعلها تشعر بحبّك ورعايتك.

أخذتُ نفسًا عميقًا، وقلت برفق:

- أنتِ زهرتي الصّغيرة، مُعجزة بين النّبتات، أعدك بحمايتك، وبالخير والوفاء.

في تلك اللّحظة، شعرتُ بشيء مُميّز يحدث، النّبتة بدأت تتفتّح أزهارها، وتتراقَص بفعل نَسيم لَطيف، كما لو كانت ترد على كلماتي، وكأنها تفتَح لي بابًا جديدًا من الإدراك...

ابتسمَ ظافر، وقال:

- لقد بدأت تفهَم يا أكحل، تذكّر، هذه القوة ليسَت للسيطرة، بل للانسِجام مع كل ما حولك.

شعرتُ بالفَخر يَجتاحني، ومع كل تَدريب، أُدرك أنني كنت أكتشِف جزءًا من نفسي لم أكن أعلم بوجوده من قبل، لقد بدأت رِحلتي في هذه المدينة الجديدَة، حيث كانت الكلمات قادرة على تشكيل الحياة، وإدراكها...

أخذت تلك اللحظة لأستوعِب ما تعلّمته، فهمت أن كل كلمة، كل صوت، يَحمل معه تأثيرًا أكبر ممّا كنّا نتخيّله...

في تلك اللحظة، أيقَنتُ أن رِحلتي في هذا العالم ليست فقط لاكتِشاف أسراره، بل أيضًا لاكتِشاف القوّة الكامنة في كلماتي، في تردّدي، وفي اختياراتي للكلمة، أخذت لحظة لأَستوعب ذلك، وشعرت بتَغيّر داخلي وكأنني أدركت شيئًا كان مخفيًا عني طوال حياتي، لم تكن الكلمات التي نستخدمها مجرد أصوات، بل مفاتيح للقوى التي تُشكّل واقعنا وبتلك الفكرة، شعرت بمسؤولية جديدة تِجاه كل ما أقوله وأفكّر فيه...

ظافر لاحظ شُرودي وقال:

- لقد بدأت ترى الحَقيقة بوُضوح الآن، كل كلمة تحمل وزنًا وتأثيرًا، سواء على الآخرين أو على نفسك لهذا السبب في مَدينتنا لا نتحدّث إلا بالشعر؛ لأنه ليس مجرد كلمات جميلة، بل هو وسيلة لضبط التردّدات وتَوجيه الطاقة نحو الخير...

سألته بحماس مُتجدّد:

- هل يُمكنني استِخدام هذه القوّة لتَغيير نفسي؟ لتَغيير المُحيط من حولي؟

ابتسمَ ظافر وأومَأ برأسِه:

- بالطّبع يُمكنك، كلّما فهمتَ كيف تتحكّم في صوتك، وكيف تُوازن بين مشاعرك وأفكارك، ستكتسِب قدرة أكبر على التّأثير، لكن عليك أن تتذكّر دائمًا: القوّة الحقيقية تأتي من النّيّة الصافية، إذا كانت نيّتك خالصة، فإن الكلمات التي تَنطِقها ستُنير دربَك وتفتح لك الأبواب المُغلقَة بإذن الله...

ثم أخذَني ظافر إلى خارج البيت النباتي، حيث كانت الطبيعة حولنا تنبِض بالحياة وقال لي:

- هنا هو المكان المثالي لتجرِبة قوّة علم الصوت والتّردّدات، حاول أن تتواصل مع الطبيعة من حولك، استخدِم الكلمات بعناية، وأطلق نواياك الطيبة مع كل كلمة تنطقها.

وقفتُ في وسط الشارع الجميل حيث تتوزّع فيه الألوان الزاهية بين الأزهار والنباتات المختلفة، كل شيء كان ينبض بالحياة، وكأنني كنت في قلب لوحة فنّية حيّة، أغمضتُ عينيّ للحظة، مستشعرًا كل الأصوات من حولي؛ زقزقة العصافير، خَرير المياه القريبة، وحتى همَسات الرياح في الأشجار...

بدأت أنطِق بعض الكلمات برِفق:

- يا رياح، احمِلي نواياي، إلى الأفق البعيد، حيث يسكُن العَطاء".

عندما انتهيتُ من كلماتي، شعرتُ بهدوء ينتشِر في الأجواء، كنت ألاحظ كيف أن النّسيم أصبح أكثر هُدوءًا وكأنّ الطبيعة كانت تستمِع إليّ، فتحت عينيّ لأرى الأشجار تتَمايل بلُطف، وكأنها ترد على شُعوري...

قال ظافر بابتسامة:

- عظيم، ولكن حاول أن تتعمّق أكثر وتخيّل صورًا في ذِهنك، واستشعر تأثير كلماتك مع الصور.

كرّرتُ المُحاولة، وقلت بصوتٍ أكثر قوّة:

- يا شجرَة الأمل، اسمَعيني، أنتِ جُذوري، وعطاؤكِ لي، سرُّ الصّفاء.

في تلك اللحظة، شعرتُ بشيء غَريب يحدُث، كانت الشّجرة تزداد قوة، وكأن أغصانها ترتفع في السّماء، وتكتسب لونًا أكثر إشراقًا، كانت كل وَرَقة تتلألأ، وكأنها تَستَجيب للطاقة التي أطلقتُها...

أخذتُ نفسًا عميقًا، وحاولتُ أن أُعمّق مَشاعري:

- يا زهورًا متفتّحة، أرسلوا عبيرَكم في الهواء

لمن يَحتاج إلى الأمل، ولمن يطلب من الله النّجاة.

عند هذه الكلمات، بدأتْ الأزهار في الحديقة تتفتّح أكثر، وتنبعِث منها روائح ساحرة، ملأت الهواء بمَشاعر السّعادة والهدوء شعرت بأنني أتحوّل إلى جزء من هذا المشهَد، كأنني أمشي في تناغم مع الطّبيعة...

قال ظافر، مُعبرًا عن فَخرِه:

- أنت تتعلّم بسُرعة يا أكحل، تذكّر، كل كلمة تنطقها تحمِل طاقة. كن حذرًا في نواياك، لأنها ستُؤثّر على كل ما حولك فيما بعد..

تقدّمت بخطوات جديدة نَحو زهور جديدة، وأخذت أُراقب كيف تتفاعَل مع كلماتي. شعرت بأنني أكتشف لغة جديدة، لغة من الحُب والاحترام، التي تعبر عن العلاقات بيني وبين الطبيعة.

مع كل نغمة كنت أنطِقها، كنت أرى كيف أنني أستطيع تَحويل مشاعري إلى كلمات حيُّة تُؤثر في كل ما حولي...

بينما كنتُ لا أزال أتأمّل تأثير كلماتي على الطبيعة من حولي، اقترب منا شخص على حصانه كان يبدو عليه الاحترام والوقار، وكان يَرتدي رداءً بسيطًا بلون الرّمال، بمجرد أن وصل إلينا، نزلَ عن حصانه وسلّم على ظافر بحرارة...

- السلام عليكم يا ظافر، كيف حالك يا صديقي؟

قال الرجل وهو يبتسِم...

ظافر ردّ التّحية بحَفاوَة:

- وعليكم السلام ورحمة الله، (أشيم)! كيف تَسير الأمور في المدينة؟.

(أشيم) بدا وكأنّه يَحمل بعض الأخبار وقال:

- الأمور بخير، الحمدُ لله، لكن الجميع كانوا ينتظرون عودتك، كيف كانت رحلتك في البحث عن المَحاصيل؟

سمعت أن الطريق كان صعبًا هذا المَوسم...

ظافر أومأ برأسِه وأجاب:

- نعم، كانت الرحلة شاقّة، لكننا وجدنا ما نَحتاجه في النّهاية، المَحاصيل في طريقها إلى المدينة الآن.

ثم تذكّر أشيم شيئًا هامًا وقال بنَبرَة جادة:

- لا تنسَ اجتماع اليوم، يا ظافر، أصحاب اللّحى الزّرقاء يُريدون سؤالك عن النوراني وكيف أتى إلى جَبل قاف...

نظرتُ إلى ظافر باستِغراب عند سماعي لهذا الحديث، سألتُ نفسي: "من هم أصحاب اللّحى الزّرقاء؟ ولماذا يُريدون معرفة المزيد عني؟".

ظافر التفتَ إليّ مبتسمًا قبل أن يُجيب أشيم:

- أجل، لن أنسى، سأكون هناك لقد أرسلتُ لهم بالفعل بما أعرف، لكن يبدو أن لديهم أسئلة إضافية.

أشيم أومأ ثمّ نظر نَحوي باهتِمام، وكأنّه يُدرك أنني الشخص المعنيّ بالحديث وقال:

- إذن، أنت النوراني الذي يتحدّث عنه الجميع؟ لا عجب أن أصحاب اللّحى الزّرقاء مُهتمّون بأمرك...

شعرتُ بأن شيئًا مهمًا على وشك الحدوث، من الواضح أن وجودي في جبل قاف يحمل أكثر من مجرّد مُدة أقضيها لطلب العلم، هناك قُوى وأسرار أكبر مما كنت أتخيّلها، وها أنا أصبحت جزءًا منها...

ظافر وضع يدَه على كتفي وقال:

- لا تقلَق يا أكحَل، أصحاب اللّحى الزّرقاء ليسوا أعداء. هم حُماة المعرفة في جبل قاف، ويُحاولون فهم كل شيء حوله، قد يكون لِقاء اليوم نقطة تحوّل في رحلتك...

(أشيم) همّ بالرّحيل بعدما أتمّ رسالتَه، تاركًا وراءه المزيد من التساؤلات في ذهني. كنت أعرف أن هذه الرحلة لم تعُد فقط لمُواجهة (المُتنوّرين) بل أصبحَت مليئة بالتحدّيات والاختبارات...

ندعوك للانضمام إلى قناتنا الرسمية على التلغرام

حيث نضع بين يديك مكتبة متجددة من المعرفة.

للإنضمام اضغط هنا

الفَصلُ السّابع

(رِجال اللّحى الزّرقاء)

أسدلَ الليل سِتارَه وكنت جالسًا في بيت ظافر النباتي، دخل ظافر وقال:

- هيّا يا أكحل، حان وقت الاجتماع.

قمتُ فورًا ورافقته إلى الخارج، حيث كان هناك حصان مُجنّح ينتظرنا، استغربتُ لوهلَة عندما شاهدت هذا الكائن لكنّي لم أسأل ظافر عنه بسَبب عَجلتِه...

ركبتُ بجانبه، وانطلقنا نحو إحدى قِمم سلسلة جبل قاف بسرعة، محلّقين فوق المناظر الطبيعيّة المُضيئة تحت ضوء القمر...

هبَطنا عند قمّة جبل، حيث وجدت المكان مملوءًا بأعواد مُشتعلَة بنيران هادئة كانت الأضواء المُتراقصة تخلُق مشهدًا دراميًا، وكأنها تُنير اللّيل بألوان دافئة...

تقدّمنا إلى وسط هذه النيران، حيث كان يجلِس سبعة رِجال كبار في السن، كانوا يَرتدون عَمائم بيضاء ولِحاهم تشِعّ بهالة لونها أزرَق، كانت أعينهم مُغمَضة، وكأنهم في حالة تأمّل عميقة...

عندما وصلنا، فتحوا أعينهم في تَناغم تام، وقالوا بصوت واحد:

- أهلًا بالنّوراني.

تقدّمت خطوة نحوهم، وشعرتُ بشيء من التوتّر، ولكنني كنت مُصممًا على مَعرفة هدف هذا الاجتماع، طلبوا مني الجلوس في مكان مُعد خصيصًا لي، ثم بدؤوا بطَرح أسئلتهم...

قال أحدهم بصوتٍ عَميق ومُتوازن:

- نحنُ نعلم أنك قد وصلتَ إلى جبل قاف من قارة البشر، لكنّنا نُريد أن نفهم كيف كانت آلية وصولك، وما الذي تبحَث عنه هنا وما هي نواياك؟

أجبتُ بصوتٍ هادئ، وبدأت أسرُد لهم كيف انتهى بي المَطاف هنا، وأخبرتُهم أنني كنت مُحتجزًا من قبل (المتنوّرين)، والذي ما إن سَمعوا ذلك الاسم حتى فتَحوا أعينهم بعُمق، وكأنّهم يتفحّصون كلّ كلمة أنطقها، بدا عليهم التّوتّر، وبدأت نظراتهم تتبادل بينها كأنهم يَتبادلون مَعلومات صامتة...

قال أحدهم بنَبرَة جادّة:

- (المُتنوّرين)... كانوا دائمًا مَصدرًا للظلم بين العالمين، لا شك أنهم يُحاولون إخفاء وجودنا وعلومنا عنكم، وقد يكون وجودك هنا هو خلاص لبَني جلدتك وإحقاقٌ للتّوازن بينَ العالمين...

واصلتُ بوضوح:

- نعم، لقد كانوا يَحتجِزون صفوَة من البَشر والمخلوقات الغريبة...

أردفتُ بسؤال:

- كيف يُمكنني استخدام ما تعلّمته بوَجهٍ صَحيح، وكيف يُمكنني المساعدة في تَحقيق هذا التّوازن الذي تتحدّثون عنه؟

أحد الرّجال الكبار في السّن، والذي بدا أكثر هدوءًا من الآخرين، قال:

- لقد اخترتَ الطّريق الصّعب، لكنّك على الحقّ وأنت لن تكون مجرّد أداة، بل هي مَسؤولية سوف تقَع عليك طالما أنت حيّ...

ثمّ أضاف:

- نُريد أن نُساعدك، لكن هناك شيء يجِب عليك أن تعرِفه، كل مُرشد هنا في قاف عندما ينقُل علمه لك سوف تستقبله منه بوَجهٍ واعٍ ولا واعٍ وسوف يكون نَقل العلم لك عبر (سيّد العلوم) ألا وهو الأثير...

أكمل من كان بجانبه وقال:

- ويجِب أن يلبَث الطالب مع المُرشد ما يقلّ عن سنة، لكن يوجد أناس نادرون يَكونون مُتعدّدي الاستقبالات فهم يَستَطيعون الرّبط مع عدّة مرشدين بنفس الوقت وتلقّي العلوم المَطلوبة من عدّة معلّمين وأنت أحد النّادرين أيّها الأكحَل...

ثم أضاف:

- كل مُرشد تَختاره سيُعلمك ليس فقط بوَجهٍ واعٍ، بل حتى في أحلامك وفي لحظات السّكون، وستتلقّى منه العلوم بوَجهٍ أثيريّ، في عالم لا يَراه إلا قليلون ويجب أن تَبقى...

شعرتُ بثقل الكلمات وقلت:

- هل حقًا أستَطيع أن أربطَ مع أكثر من مُرشد؟

وأكملَ أحدُهم قائلا:

- عندما تُكمل علمك مع كل مرشد، سيَمنحك خاتمًا، هذا الخاتم هو بمَثابة شَهادة على اجتِيازك لذلك العلم، وكل خاتم يختلف عن الآخر بلَونِه وحَجرِه، حيث يرمز إلى مُرشد وعِلم مُعين... هذه الخواتم لن تكون مجرّد زينة، بل ستُساعدك فيما

بعد في رحلتك، ستتلقّى عبرها المَزيد من الدّعم عبر الأثير، وستكون جسرًا بينك وبين العوالم التي لا يَراها أحد...

نظرتُ إلى الخاتم في يدي، وتساءلت عن باقي الخواتم التي قد أرتَديها يومًا ما...

بينما كنتُ أتأمّل الخاتم، شعرت بطاقة غريبة تتدفّق منه، كأنها تنبض بالحياة كان هناك شيء لا أستَطيع تَفسيره، لكنني شعرت بوجود ذلك الملك الرمادي إلى جانبي، وكأن الخاتم يَحمل جزءًا من روحه...

سألتُ بفُضول:

- كيف يُمكن لهذه الخواتم أن تُساعدني؟

ابتسم وقال:

- كل خاتم يربطك بعلم معيّن وبمُرشد ذلك العلم، في اللحظات التي تَحتاج فيها إلى تَوجيه، ستجِد القوّة والإرشاد يتدفّقان عبر الأثير، وسَتتلقّى الدعم الذي تحتاجه، هذا الدّعم ليس مجرّد كلمات، بل قوّة حقيقية، طاقة تُساعدك في اتّخاذ القرارات، وفي مُواجهة المَخاطر التي ستَعترِض طريقك...

تساءلتُ بنَبرَة تملؤها الحيرَة:

- هل سأتمكّن من حَمل أكثر من خاتم..؟

أجاب أحدهم قائلا:

- أنتَ يا أكحل، كما قلت سابقًا، مميّز، لديك القدرة على الربط مع عدّة مُرشدين في آنٍ واحد، لذا ستتمكّن من ارتداء أكثر من خاتم، وهذا سيَجعل قوتك تَتعاظَم، لكن تذكّر، كل علم تَجتازه يجلب معه مسؤولية فهذه الخواتم ليسَت مجرد أدوات، بل ستكون أمانة عندك إلى يوم القيامة...

أكمل الرّجل حديثَه بنَبرَة أكثر جديّة:

- لكن احذَر يا أكحل، فكما تُوجد الأختام النورانية التي تستمِد طاقتها من الخير والنور، هناك أيضًا بما يُعرف بالأختام الشّيطانية وهي ليست قليلة بينكم يا معشَر البشر...

نظرتُ إليه بذُهول وسألتُه:

- أختام شيطانيّة؟ ما هي وكيف تعمل؟

تابع الرجل بصوتٍ حَذر:

- الأختام الشيطانية هي قُوى مُظلمة تكون في بعض البشر أو الكينونات للتّأثير على الناس بوَجهٍ خَفيّ، إنها تعمل على استِنزاف الطاقات النقيّة، وتجعل من يَحملها عُرضة للضّياع أو السقوط في الظلمات. قد تجد أشخاصًا يظهرون بمظهر حسَن، لكنهم يحملون تلك الأختام الملعونة على أجسادهم التي تربطهم بقُوى الشرّ وقد يقومون بعَمل الشّيطان نفسه...

أحسَستُ بقَشعريرَة تَسري في جسدي، فهذه كانت أول مرة أسمع عن وجود شيء بهذه الخُطورة بين البشر...

أكمل الرّجل بنبرَة صارمَة:

- تلك الأختام قادرة على تَشويهِ الرّوح والطاقة، وتخلُق روابط خَبيثَة بين حاملها والكينونات الظلامية ومن يَحمل هذه الأختام يُصبح في كثير من الأحيان عبدًا للقوى الشيطانية دون أن يُدرك ذلك، ويَتسبّب في نَشر الفساد في الأرض...

نظرتُ إلى الرّجل وسألت:

- كيف يُمكنني أن أميّز بين الأختام النّورانية والأختام الشيطانية؟ وكيف يُمكنني حماية نفسي منها ومن تَأثيرِها؟

أجاب الرجل:

- هناك طرق لتعلّم التّمييز بينهما، ستتعلّم مع الوقت كيف تستشعِر طاقة النور وتفرّقها عن طاقة الظلام، عليك أن تبقى مُخلصَ النيّة لله وصافي القلب، فالنّقاء الداخلي هو دِرعُك الأقوى ضدّ تلك الأختام لكن لا تنسَ أن المعرفة وحدها ليست كافية، يجب أن تستخدِمها بحذر، ولا تسمَح لنفسك بالانجِرار وراء الطّمع أو الكبرياء، لأن هذه هي الثّغرات التي من خلالها تتَسلّل تلك الأختام إليك...

أحسَستُ أن تَحذيرَه واضحٌ، ومعناه عميق، كنت بحاجة إلى اليَقَظة والحَذر في كل خطوة أخطوها في هذا العالم المليء بالقُوى المُتضادّة...

أحد الرجال، الذي كان يجلِس بهدوء بين البقية، مدّ يده فجأة وأخرج خاتمًا بفصّ أزرَق لامع، رفع الخاتم نحوي، وقال بصوتٍ هادئ ولكنه حازم:

- هذا الخاتم، يا أكحَل، سيَربِطك بنا، نحن علماء قاف السّبعة، سيَكون بمَثابة الجسر الذي ينقل لك علومنا تدريجيًا، ويُعزّز قُدراتك.

نظرتُ إلى الخاتم، وانعِكاس الضوء الأزرق في عيني كان يَبدو وكأنه يحمل في داخله طاقة غامضة...

تابع الرّجل:

- من خلال هذا الخاتم، ستَستمِر علوم قاف بالتّدفّق إليك حتى بعد عودتك إلى قارة البشر ستتعلّم أسرارًا وتكتسِب معرفة كلما ازدَدتّ تفاعلًا مع طاقة الجبل والكون من حولك، إذا واجهت أيّ مشكلة أو خطر داخل جبل قاف، فما عليك سوى

إظهار هذا الخاتم، وسترى كيف سيُساعدك سكان الجبل والكيانات المُرتبطة بنا...

مَددتُ يدي لأخذ الخاتم، لكن شعرتُ بعِبء المسؤولية الّتي يحملها هذا الخاتم، كان هو الرمز لالتِزامي بما ينتظرني من تحدّيات ومعرفة، وضعت الخاتم في إصبعي، وشعرتُ على الفور بتيّار خَفيف من الطاقة يَسري في جسدي، وكأن هذا الخاتم كان يتفاعَل معي بوَجهٍ غَريب...

أحد الرّجال الآخرين قال:

- هذا الخاتم سيُعطيك القوّة والتّوجيه، لكنه أيضًا اختبار، يجِب عليك أن تظلّ نقيّ القلب، كما قلت لك سابقًا، إذا استَغللتَ القوة التي ستَكتسِبها لأغراض أنانيّة أو غير نَزيهَة، ستَنقلِب عليك...

أومأتُ برأسي، وعَيناي ما تَزالان تُركّزان على الخاتم الذي بيدي، أدركتُ حينها أن رحلتي لم تعُد مجرّد بَحث عن المعرفة، بل أصبحَت مَسؤولية أكبر بكثير، أصبحتُ الآن مُرتبطًا بعلماء قاف، وأن أكون قادرًا على استِخدام هذه المعرفة في عالم البشر...

سألتُه عن سؤال كان يَدور في ذِهني طيلة الحديث:

- ما هو علم الأثير..؟

أجابَ الرّجل الهادئ، وقد بدا عليه التأمّل:

- علم الأثير أو كما يلقّب (سيد العلوم) هو مَجال يتعامَل مع الطبقات غير المرئية التي تُحيط بنا، والتي تعتبر جزءًا من الواقع غير المادي، الأثير هو ما يُطلق عليه أحيانًا "الجوهر غير الماديّ" أو "الطاقة المُحيطية"، وهو يُعتبر الوَسيط بين العالم الماديّ والعالم الرّوحي...

واصل تَوضيحَه:

- الأثير هو أساس التّواصل بين الأبعاد المُختلفة، ويسمح بانتِقال الطاقة وتخاطُر الأفكار بين الأشخاص والأماكن، في علم الأثير ندرُس كيفيّة تفاعل هذا الجَوهر غير المرئيّ مع عناصر أخرى من الواقع وكيف يُمكننا استِخدامه لتَوجيه الطاقة، وتَعزيز الشّفاء، وتَحقيق التّوازُن...

أضاف:

- يُمكنك التّفكير في الأثير كشبَكة خفيّة تربِط بين كلّ شيء في الكون، من خلال فهم علم الأثير، يُمكنك تعلّم كيفية التأثير على هذه الشبكة بإيجابيّة، مما يُعزّز قُدرتك على التفاعل مع العالم الرّوحي والمادي بطريقة مُتكاملة بإذن الله...

شعرتُ بأنّ مَفهوم الأثير كان معقدًا، لكنه مليء بالإمكانات..

- كيف يُمكنني تعلّم المزيد عن هذا العلم وكيفية استخدامه بفعاليّة؟

سألت، راغبًا في معرفة المَزيد عن كيفية تَوظيف هذه المَعرفة في رحلتي...

أجابَ الرّجل الهادئ:

- أولا يجِب عليك أن تكون مُحصّنًا عبر قراءتك للأذكار والقرآن الكَريم، لكن تذكر نحن لا نفعل تلك العبادات لتعلّم تلك العلوم بل بدافِع التقرّب من الله عزّ وجل... بعدها حاول أن تفهَم الأثير بوجهٍ كامل وسوف يكون الأمر سهلا، يتضمّن ذلك العمل مع تردّدات الطاقة والتفاعل مع العناصر الرّوحية، سنُوفّر لك التّوجيه والدّعم اللّازمين، وسنُساعدك في تعلّم كيفية استِخدام الأثير كأداة لتَحقيق التّوازن والتّواصل بين العالمين...

أدركتُ حينها أن تعلّم علم الأثير سيكون جزءًا أساسيًا من مَسيرتي، وسأحتاج إلى الاستمرار في استِكشاف هذا المَجال الجَديد وتطوير قدراتي للتّعامل معه بفَعالية أكبر..

وفجأة، تحرّك السّبعة أصحاب اللّحى الزرقاء وكأنّهم كانوا ينتظرون هذه اللّحظة، وقفوا بوَجهٍ دائري، وأصواتهم اتّحدَت قائلة:

- "بسم الله الرّحمن الرّحيم والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، منذ اليوم، أنت منا ونحنُ منك، دربنا واحد وهدفنا واحد، الله أكبر، الله أعلم، الله أرحَم، الله أحفَظ.

شعرتُ بشَيء غريب يَسري في الأجواء، نوع من الخفّة والراحة الذي لا تُرى ولكنّها مَحسوسة..

تقدّموا نحو بعضهم ووضعوا أيديهم فوق بعضها البعض، ثم نظر أحدُهم نحوي وقال:

- ضَع يَدك معنا، ليتم الحَلْف...

مَددت يدي بتردّد، لكنني شعرت بقوّة تدفعني لوَضعها فوق أيديهم وحالما لامسَت يدي أيديهم، خرج وميضٌ بنور أزرق، كأنّه طاقة تجمّعت فجأة، وشكّلت كرة مُتوهّجة انطلقَت بسرعة نحو السماء، نظرت إلى الأعلى، أتابع ذلك الوَميض الذي توقف في السماء، معلقًا هناك كأنه نَجمة جَديدة...

قال أحدهم بصَوتٍ عَميق:

- الآن، ميثاقنا مُعلّق في الأعلى وأنت يا أكحل، أهل لهذا المِيثاق بإذن الله.

شعرتُ بقَلبي يَخفِق بسُرعة، وكانت اللّحظة مليئة بالشّعور بالعظمة والهَيبة، نظرت إلى كُرة النور التي تلمَع في السّماء، وكأنها شهاب مُعلّق في السماء...

أضاف أحد أصحاب اللّحى الزّرقاء قائلا:

- هذا الميثاق ليس مجرّد وَعد، بل هو عَهد مقدّس بيننا، كل خطوة تخطوها، وكل قرار تُقرّره، سيكون هذا الوَميض ملازمًا لك في كل مرّة تحتاج فيها إلى الإرشاد، ستجِد هذا الضوء مُرشدًا لك، يذكرك بأنك لست وحدك في رحلتك، وأننا نحن أصحاب اللّحى الزّرقاء وكل من يَتبَعنا في قاف معك وفي ظهرِك...

ثم أضافَ آخر:

- أنت الآن جُزء من هذا السّلك الروحي، جزء من قوّة تتجاوز حدودك، احمِل هذا الميثاق في قلبك، وتذكر دائمًا أن الدّرب الذي تسلُكه ليس دربًا عاديًا، بل هو درب يحمل معه مسؤولية وتحدّيات سوف تتصدّى له

بإذن الرحمن.

شعرتُ بمَزيج من الفَخر والخَوف، لكنني كنت مُصممًا على المُضيّ قدمًا. تذكرت كلمات أحد السبعة حول الخواتم والدّعم الأثيري، وأدركتُ أن هذه اللحظة هي بداية مرحلة جديدة في رحلتي، نظرت إلى الوَميض المعلّق في السماء، وأقسمتُ في نفسي أنني سأكون على قدر هذا الميثاق، وأنني سأبذل قُصارى جهدي لتَحقيق الأهداف التي وُضعت أمامي...

أثناء انصِرافي مع ظافر بعد أن شكرتُ أصحاب اللّحى الزّرقاء وسلّمت عليهم، شعرتُ بأنني على وشك أن أبدأ فصلًا جديدًا في رحلتي ولكن، عندما ابتعدنا عنهم قليلًا، ناداني أحدهم بابتِسامة عريضة وقال:

- هناك شيء نَسيناه!

توقّفنا ونظرنا إليه بفضول، ثم طلب مني أن أقترب وأجلس..

جلست، وسألتُه:

- ماذا نسِينا...؟

أجاب بابتِسامة هادئة:

- هناك شيء يتعلّق بهالتك المميّزة، لقد قُمنا سَلفًا عند ولادتك بتَفعيلها جزئيًّا، ولكن ليس بالكامل بعد دَعني أُكمِل هذا الآن...

صُدمتُ من كلامِه وقلت:

- أتقصِد أنكم تعلمون بأمري منذ ولادتي..؟

لم يُجبني أحد وأكمل قائلا وهو يقترب:

- سأُكمل عملية التّفعيل لك الآن، لتَتمكّن من استِخدام قدراتك بوَجهٍ كامل..

اقترب أحد أصحاب اللّحى الزّرقاء، وهو يُركز على ما يفعله، وبدأ يمرّر يده بحركات مُتموّجة حولي، شعرت بأثر لطيف، كأن طاقة غير مرئيّة تدور من حولي وتُغلّفني، بدأتُ ألاحظ تغيرًا في الجوّ حولي، كما لو أن كلّ شيء أصبحَ أكثر وضوحًا، وحركات الهواء أكثر سَلاسة...

قال:

- هذه العملية ستُتيح لك الاتّصال بعُمق مع الأثير، وستُعزّز قدرتك على تلقّي الإرشادات والطاقة من المُرشدين ومن العالم الرّوحي، سوف تشعُر الآن بأنك أكثر ارتباطًا بكل ما حولك، وستكون لديك القدرة على فَهم الأمور بطُرق لم تكن مُمكنة من قبل.

بدأت أشعُر بأن شيئًا ما يتغيّر داخلي، نظرت حولي ووجدت أن الألوان بدَت أكثر إشراقًا، والأصوات أكثر وضوحًا كان الأمر كما لو أنّني قد انتقلتُ إلى مُستوى جَديد من الإدراك...

بعد أن انتهى، نظر إليّ بابتسامة وقال:

- الآن، يُمكنك استِخدام هذه الهالة المفعّلة لتَوجيهك ودعمك في كل ما تحتاجه. تذكر، هذه الهالة ليست مجرّد طاقة، بل هي جزء منك...

شَكرتُه بصِدق، وشعرتُ بامتِنان عَميق، بدأت أُدرك أن هذه اللحظة كانت أكثر من مجرّد عملية تفعيل؛ بل كانت نَقلَة نوعيّة في قُدرتي على الفهم والتّفاعل مع العالم من حولي، استَدرتُ لأواصل رحلتي مع "ظافر"، حاملًا معي هذا التّغيير الكبير في داخلي...

بعد انتهاء التفعيل، رافقتُ ظافر إلى حافّة الجبل، كنت مشغولًا حينها بتَفكيري في ما حدث للتوّ، قال ظافر فجأة:

- سأجلِب حِصاني المُجنّح، فهو سيُساعدنا في الوصول بسرعة.

واصل ظافر المشيَ وبدأ يُصفّر بصوت عال، حتى أتى حصانه المجنّح، كان الحصان رائعًا، بألوان زاهية وأجنِحة لامعة تمتدّ من جانبيه، نظرت إلى الحصان بدَهشَة وتساؤُل وقلت:

- الأحصِنة هنا أكثر جمالًا ولديها أجنِحة!

ابتسمَ ظافر وقال:

- نعم، أحصِنتنا هنا تتميّز بقدرات خاصة سأُعطيك واحدًا ليكون مساعدك في التّنقّل..

ركبتُ الحصان المُجنّح، الذي رَفرفَت أجنحتُه وبدأنا في التّحليق بسُرعة، متّجهين نحو مَدينة الشّعراء، الرياح كانت تعصِف في وجهي، وكان المنظر من الأعلى ساحرًا، وأمام هذا المنظر المدهش، لم أستطِع إلا أن أشعر بحَماس كبير لما هو قادم...

ابتسم ظافر وقال:

- بمناسبة تَفعيل هالتك، لدي هديّة لك.

أخرج ظافر خاتمًا من الفضّة، بلا فصّ، ومدّه نحوي وهو يقول:

- هذا الخاتم المُتواضِع هو هدية من مدينة الشّعراء سيُساعدك في حفظ وإلقاء الشّعر بطلاقة، وسيَدعمك أيضًا في علم الصوت وكيفية التحكّم به بوجهٍ أفضل.

أخذت الخاتم بيدي، وشعرتُ ببرودة الفضّة التي تُلامس بشرتي، بدا الخاتم بسيطًا ولكنه كان يَحمل مَعنى عميقًا...

شكرتُ ظافر بصدق، وقلت:

- أنا مُمتنّ جدًا لهذه الهدية!

ما إن وضعتُ الخاتم في إصبعي حتى اندفعَت حرارة في جسدي بسُرعة لم أستطع معها السّيطرة على نفسي، شعرت بنبضات قلبي تتَسارع، وبدَأت أشعر أني أسقُط نحو الأرض، بينما تَزايدت الحرارة حتى غَمرَتني بالكامل...

بَدأت الرّؤية أمامي تتَشوّش، وبدأت الأشياء المُحيطة بي تتلاشى ببُطء كانت الصور تمتزِج معًا كأنني أنظر عبر زُجاج ضبابي. حاولت أن أقول شيئًا، أن أسأل ظافر عمّا يحدُث، لكن صوتي كان مَحبوسًا في حلقي، وكأن الكلمات عجزَت عن الخُروج...

ثم سمعتُ صوت ظافر، لكنّه لم يكن كما اعتَدت أن أسمعَه؛ كان مليئًا بالحُزن والنّدم قال بصوت مليء بالأسى:

- أنا آسف...

الفَصلُ الثّامِن

(آمون راع)(الإسقاطُ النّجميّ)

استَيقظتُ في صباح اليوم التالي على صوت شَخص يقرأ القرآن بنَبرَة حُزن واضحة، كانت الكلمات تتردّد في أُذني، وفيها نوع من الطّمأنينة رغم ما كنت أشعُر به من ثِقل في جسدي، فتحتُ عينيّ ورفعتُ رأسي بسرعة من على السّرير، نظرت حولي لأجد أنني في بيت ظافر النّباتي، كان هو من يقرأ القرآن، جالسًا على كرسي خشبيّ قرب النافذة، بدا وكأنّ الحُزن يَعتصِره...

نظرتُ إليه بارتباك، وصوتي جاء متقطعًا من الدّهشَة:

- ما الذي فعلتَه بي، ظافر..!؟

أغلقَ ظافر المصحَف بهُدوء، وقال:

- صدق الله العظيم.

ثم أنزل رأسَه نحو الأرض وتابعَ بصوتٍ خافت:

- الخاتم الذي أعطيتُك إيّاه... كان مَسمومًا.

وقفتُ فجأة وكأن الصّدمة ضربَتني في صدري وقلت:

- مَسموم؟! لماذا تسمّمني ما الذي فعلتُه لك؟!

رفع ظافر عينَيه بحُزن شديد، وكأنه عاجز عن النّظر مُباشرة في عيني:

- أنا آسِف يا أكحل... لم يكُن لديّ خيار، كانوا سيَقتلونني ويُبيدون مَدينتي بالكامل عن بَكرَة أبيها إن لم أفعَل ما أمروني به!

صُدمت من كلماته وقلت:

- ماذا تعني؟ من الذي كان سيَقتلك؟

ابتلعَ ظافر ريقَه بتَوتّر واضح وقال:

- إنهم مَرَدَة جبل قاف العشرة. لقد علموا بقُدوم نوراني مثلك إلى سلسلة قاف وعلموا بأمر اجتِماعك مع أصحاب اللّحى الزّرقاء...

نظرتُ إليه بارتِباك أكبر:

- المَردَة العشرة؟ ومن هم؟ وما الذي يُريدونَه مني..!؟

ظافر أخذ نفسًا عميقًا وهو يحاول تَهدئة تَوتّره:

- يُريدون دماءك... دماءك نادرة جدًا بالنسبة لهم، دماؤك تختلف عن باقي البشر، فهي تمدّهم بقوة عظيمة وتُساعد في إطالة أعمارهم.

سألتُ بقلَق:

- هل أخذوا مني شيئًا..؟

هزّ ظافر رأسَه بحُزن وقال:

- لقد أخذوا كميّة من دمِك بالفعل وكانوا مصرّين على أن يأخذوك معهم، لكنني رفضتُ وأصرّيت على أن تبقى معي لعلّ ذلك يُكفّر عن خَطئي.

شعرتُ بغضَب يَختلط مع حيرة، وقفتُ وتوجّهت نحو ظافر ببطء، مُترددًا بين عتابه ومُحاولة فهم مَوقفه لكن ما إن وصلت إليه حتى شعرتُ بدوار شديد، تمسّكت بالكرسي الخشبيّ الذي كان يجلس عليه ظافر كي لا أسقُط...

قال ظافر وهو يقِف بجانبي ليُمسك بكتفي:

- اهدأ يا أكحَل، لقد سَحبوا منك كميّة كبيرة من الدم يجب أن تأخذ قسطًا كافيًا من الراحة.

قلتُ بإصرار رَغم شُعوري بالضّعف:

- يجِب أن أرحلَ من هنا قبل أن أجلب لكم المزيد من المَتاعب.

ظافر ردّ وهو يُحاول تَهدئَتي:

- إلى أين ستذهب؟ أنت مُتعب للغاية، ويجب أن تستعيد قوتك أولا.

نظرتُ إلى خاتمي البُنيّ الذي كان لا يَزال في إصبعي، وقلت بينما أفكر في حلٍّ سريع:

- هل تَزرَعون هنا نَبتَة الهندباء الخضراء؟

نظرَ إليّ ظافر بدَهشَة وقال:

- نعم، لماذا تَسأَل؟

قلتُ بثَبات:

- اجلب لي القليل منها وامزِجها في كوب من الماء السّاخن.

استَغربَ ظافر من طَلبي وقال:

- حسنًا، سأفعَل لكن لماذا؟

أجبتُه وأنا أتنفّس بصُعوبة:

- سأُخبرك عندما تَجلِبها...

ظافر نهضَ من مَكانه، وما زال يبدو عليه الحُزن والتوتّر، وذهب ليَجلب لي النّبتة التي طلبتها، كان من الواضح أن الشُعور بالذّنب يُثقل عليه، لكنني كنت بحاجة إلى التّركيز على استِعادة قوّتي قبل مُواجهة المَزيد من الحَقائق التي أجهَلها...

بينما انتظرتُ عودته، نظرتُ إلى الخاتم البنيّ في إصبعي، كنت أعلم أن للخاتم أسرارًا، لكن لم أكن أتوقّع أن يمتلك تأثيرًا جسديًا قويًا بهذا الوَجه، عندما عاد ظافر حاملًا كوب الماء الساخن وفيه بضعة أوراق من الهندباء الخضراء، جلسَ على الكرسي الخشبي مجددًا، وهو لا يزال مترددًا في سُؤالي عن السّبب...

- ها هو الكوب.

قال وهو يُقدّمه لي...

أخذتُ الكوب، وأخذت نفسًا عميقًا قبل أن أشرحَ له السّبب:

- الهندباء الخضراء ليسَت مجرّد نبتة عادية، فهي تمتلك خَصائص علاجيّة فريدة عندما تُغلى، تُساهم في تَنظيف الدّم من السّموم وتُساعد في استعادة القوة لقد تعلّمت هذا من مُرشد هذا الخاتم البُنيّ.

ظافر كان يَستمِع بانتباه، وكأنّه يبحث عن أيّ أمل في إصلاح ما حدث وقال:

- هل ستُساعدك حقًا..؟

أومأتُ برأسي بينما شربتُ من الكوب ببطء، شعرت بالدّفء ينتشِر في جسدي، وكان تَأثير الهندباء يبدأ بالفعل بعد بضع لحظات، شعرتُ بأنني أكثر وعيًا، وأنّ طاقتي بدأت تعود تَدريجيًا...

- ظافر.

التفتَ لي، فوضعتُ الكوب جانبًا، وأردفت:

- أنا أفهم أنّك كُنت مجبرًا على ما فعلته، لكن يجب علينا التفكير في الخطوة التالية، أعتقد أن هؤلاء المَردَة العشرة لن يتوقّفوا عند هذا الحد إن كانوا يَسعون وراء دمائي، فهذا يَعني أنني في خطَر دائم...

ظافر أومأ برأسِه ببطء، وقال:

- أعلم، وأنا مُستعد لمُساعدتك بأيّ طريقة أستَطيع، لكن يجب أن نكون حَذرين، المَردَة العشرة يَمتلكون قوة كبيرة، ولا يتردّدون في تَدمير أي شيء أو أي شخص يقف في طريقهم.

صمتُّ للَحظة، أفكّر في الخيارات المُتاحة أمامي وقلت:

- نحنُ بحاجة إلى خطّة، لن أهرُب منهم إلى الأبد، يجِب أن أواجههم، لكن ليس الآن، يجِب أن أستعيد كامل قوّتي وأتعلّم المَزيد عنهم وعن نَواياهم.

ظافر وافقَني الرّأي وقال:

- هناك من يعرف المَزيد عن المرَدة العشرة، يجب علينا الوصول إلى مدينة (آمون راع) فيها حَكيم هو الوَحيد من لَديه مَعرفة قديمة عن هؤلاء المرَدة وقد يُساعدنا في اكتِشاف طريقة للتّصدّي لهم.

أومأتُ بتَفهّم، وأدركتُ أن الوقت قد حان للتّحرّك بحَذَر، الطّريق أمامنا لن يكون سَهلًا، لكنني شعرتُ أني لن أُواجِه هذا التّحدي وَحدي...

نهضتُ ببُطء، متأكدًا من أنني قد استَعدت بعض القوة، وقلت:

- هيّا لنَنطلِق.

خرجنا من البيت وتوجّهنا نحو الفناء الخلفي حيث كان الحِصان المُجنّح الذي ما إن رأيتُه حتى وقفتُ مأخوذًا بجماله. كان هذه المرّة حصانًا ضخمًا، أبيضَ ناصعَ البياض، وريشه المُتدلّي من جناحيه يُشبِه الحَرير الذي يلمَع تحت ضوء الشمس. تقدم نحوي بثِقة وهدوء، وكأنه يَعلم أنّني سأكون راكِبه...

نظر إليّ ظافر بابتسامة مليئة بالتفهّم وقال:

- هذا هو حِصانك الآن أيّها الأكحل، اعتبِرها هدية اعتِذار عمّا بدرَ مني ولتكن هذه الرّوح المُجنّحة خير رفيق لك في رِحلاتك القادمة بإذن الله...

وضعتُ يدي على عُنقه، فشعرتُ بدِفء عَجيب يَملؤني من الداخل، وكأن هناك قوّة تربط بيني وبينَه، شعرتُ في تلك اللّحظة أني أصبحتُ جزءًا من هذا العالم الجديد، ليس كغريب أو زائر، بل كواحد منهم، لم أكن أعلم أن امتِلاك حِصانٍ مُجنّح يعني أكثر من مجرد التنقّل السّريع، فقد كان جزءًا من علاقة صداقة قويّة...

- كيفَ أركَبه؟

سألتُ ظافر وأنا أحدّق في الحصان الذي بدا وكأنّه يُبادلني النّظرات...

ضحك ظافر وقال:

- اتبَع حدسَك وسوف تعرِف، هذه الأحصنة ترتبِط بأصحابها بطريقة روحية، وسوف يتَجاوب معك كما لو كنتُما تتحدّثان بنفس اللّغة.

تقدّمت نحوَ الحصان أكثر، ثم وضعتُ يَدي على ظهره، وعندما قفزتُ لأركبه، فتحَ جناحَيه الضّخمين ببطء، ورَفرفَ بهما وكأنهما يَستعدّان للإقلاع...

شعرتُ بجسدي يخفّ تدريجيًّا، وكأن الأرض تبتعد عني شيئًا فشيئًا ثم انطلقنا في الهواء بخفّة وسُرعة، وكأننا نَطير منذ الأزَل...

بينما كنت محلّقًا مع ظافر في السماء، نظرت إلى الأسفل، حيث بدأت المعالم تتلاشى شيئًا فشيئًا، وتحوّلت الأرض إلى لوحة فنيّة مَنسوجَة بالجبال والوديان والأنهار كنا نتّجه نحو مدينة

(آمون راع)، المكان الذي كان يلفّه الكثير من الغُموض بالنّسبة لي...

- (آمون راع).

قال ظافر بصوتٍ مُرتفع وهو يحلّق بجانبي، وأضاف:

- هناك قوة كامِنة داخل الأهرامات التي يَسكُنونها، يُقال إنّ كلّ بيت يُشيّد هناك يمتلك قدرة على تغيير مَجرى الزمن، أو ربما حتى تغيير مَسار العالم عبر تلك الهندسة العَجيبَة...

لم أتمكّن من استِيعاب تلك الكلمات بسهولة، كنت أعلم أن العالم الذي دخلته مَليء بالأسرار، لكن فكرة أن مَباني يمكن أن تكون بهذه القوة أضافت طبقة جديدة من التّعقيد لكلّ شيء حولي...

حلّ الليل وهبَطنا بسَلاسة على أرض مدينة (آمون راع)، التي كانت سماؤها تتزيّن بنجوم "أوريون" اللامعة، حينما لامسَت قدماي الأرض، شعرت بطاقة

غريبة تَسري في جسدي، وكأنني أَستمِد قُواي من التّربة نفسها، كان الجوّ مُفعمًا بروائح الأعشاب والعُطور الغريبة، بينما الأهرامات العالية تشعّ بضوء هادئ لا مَصدر واضح له، تأمّلتها عن كثَب؛ كانت تلمَع بألوان ذهبية وخضراء، وكأنها تشعّ حياة من داخلها، كأنها كائنٌ حيّ يُحيي المكان بهالتِه المَهيبَة...

فجأة، تقدّم نحونا شخص بجِسم بشريّ ورأس كلب، بَدا طاعنًا في السن، لكنه حملَ في عينَيه حِكمة آلاف السّنين، ابتسم ابتسامة هادئة وقال:

- كنّا نعلم أنك ستِصل، أيها الأكحل، نورك كان واضحًا في الأثير منذ مدّة.

سألتُه بحَذَر:

- تعلمون؟ من أنتم..؟

ابتسم بلُطف وأشار بيَده إلى الأهرامات من حولنا وقال:

- نحن حرّاس الأهرامات ومُؤسّسوها، يُطلق علينا عَمالقة الزّمن، مهمّتنا هي الحفاظ على تَوازن هذا العالم، وخاصّة مدينة (آمون راع)، هذه المدينة ليست مجرد أهرامات، بل هي مركز للطاقة المتجدّدة حيث تتقاطع الخطوط الروحية لكل الكائنات هنا، يمكن للمَرء أن يرى الماضي ويتفاعل مع أبعاد المُستقبل الموضوع أكبر ممّا تتخيّله يا أكحل.

نظرتُ نحو ظافر، الذي كان صامتًا، وعيناه تتجوّلان في الأُفق كأنه يُحاول قراءة أفكاري سألته:

- ظافر، لماذا لم تُخبرني عن هذا المَكان؟

أجابَ بصوتٍ هادئ:

- لم يكُن الوقت مُناسبًا يا أكحل، هذا المَكان مليء بالأسرار التي حتى أنا لا أعرف بعضها لكني أعتقد الآن أنّك مُستعِد، بعد ما مَررت به.

تقدّم الشّخص الغريب وعرّف عن نفسه قائلا:

- أنا (أنوبيس).

دعانا أنوبيس إلى داخل أحد الأهرامات، وقادَنا عبر ممرّ ضيّق بين اثنَين منها أثناء سيرنا قال:

- هناك شيء يجِب أن تعرفَه قبل أن نُكمل... قوّة مدينة آمون راع تعتمِد على اتّحاد العقل والقلب، وعلى النيّة الصافية كلما تقدّمت في المعرفة هنا، ازدادَ تأثيرها على رُوحك وعلى مُحيطك.

تابعنا السّير حتى وصلنا إلى قاعة ضَخمة، مليئة بالتّوابيت والمَخطوطات القديمة، كانت الجدران مليئة برموز غامضة، وكنت أستشعِر الطاقة المُحيطة بالمكان الّتي كانت قوية بوَجهٍ غريب، كأن المكان يَنبِض بالحياة...

وقفَ أنوبيس أمام إحدى المَخطوطات وأخذ نفسًا عميقًا، ثم التفت إليّ قائلا:

- أيّها الأكحَل، أنت هنا لتُواجه أعظم الحقائق، هذه المَدينة يُمكن أن تمنحَك القدرة على كَشف حقيقة العالم بالكامل، لكنها قد تدفعك إلى الجنون إن لم تكن مستعدًا لذلك...

شعرتُ بتَوتّر يَسري في داخلي، لكنني أجبتُ بثِقة:

- لقد قطعت شوطًا طويلًا، ولن أتراجع الآن مهما حصل فهناك من يأمَلون عودتي.

ابتسمَ أنوبيس وقال:

- إذن، فلنَبدأ.

فتحَ المَخطوطَة ببطء، وكأنها تحمِل سرًا عظيمًا، بدأت الحُروف تضيء بهُدوء، وشعرت بطاقة غامرَة تتدفّق إلى داخلي قال أنوبيس:

- اقرأ هذه الكلمات، وتذكّر أن ما ستراه قد يُغيّر كل ما تعرفه عن نفسك وعن العالم.

بدأت أقرأ النصّ، وكلما نطقتُ بكلمات منه، شعرت بتدفّق هائل من الطاقة وبدأت الصور تتَشكّل أمامي...

رأيت كيف ولماذا بُنيَت الأهرامات، وأسرارها الدفينة التي لم يعرِفها أحد، والطريقة التي تشابكَت فيها الأبعاد المُختلفة عند بنائها...

ثم رأيت سدًّا مَصنوعًا من نُحاس وحَديد، كان كبيرا وممتدًّا عبر الجِبال بطريقة غريبة، بعدها رأيت عشرة ظِلال داكنة وعلمتُ أنها للمَردَة العشرَة تقف أمام ذلك السد العملاق...

خلفَ السد، كانت هناك مَخلوقات بشِعَة تصرُخ وتُحاول الهَرَب، المشهد كان مُرعبًا ومُذهلًا في آنٍ واحد...

بعدها، ظهرت أمامي مشاهد لأصدقائي وعائلتي، وشعرت بألمِهم لفَقدي، كانت قلوبهم ممتلئة بالخوف والأمل معًا شعرت بأنني أستطيع التّواصل معهم، كأنني هناك أقِف معهم...

هَمستُ لنفسي: "ما هذا؟". بينما بدأت الدموع تنهمِر من عيني...

أجاب أنوبيس:

- هذا هو الإسقاط النّجمي روحك الآن تتجاوز الأبعاد، وتتّصل بمن تحب، عليك أن تستخدم هذه القوة بحكمة واعلم أنه بإمكانك استِخدامها حتى وأنت مُستيقظ.

- (الإسقاط النجمي).

كرّرت بصوت خافت، أحاول استِيعاب ما يحدث...

كانت رؤيتي تَتلاشى بين المَشاهد المُروّعة خلف السد وبين أحبّتي الذين يبكون على غيابي. شعرت بتَداخل غريب بين العالمين، وكأنني مُمزّق بينهما...

بعدها رأيتُ الفتى والفتاة اللّذين كانا معي في الزنزانة، راقبتُ الألم والخوف في أعينهما، وعرفت أنني لم أعد مجرّد مراقب من بَعيد، بل كنت أشعر بكل نبضة من قلوبهم، كل دمعَة تتساقط كانت تغمُرني بحزن عميق لكن في نفس الوقت، كان هناك شيء آخر، شعور القُدرة على مُشاهدة الواقع والاتّصال بمن أُريد كان ذلك ثقيلا، لكنّه حملَ معه طيفًا من الأمل...

سألت أنوبيس، وقد بدأت أستَعيد توازني:

- وكيف أستَطيع استِخدام هذه القوة؟ وهل أستطيع مساعدتهم دون أن أفقدَ نفسي بين عالم الأثير؟

أجابني بنَبرَة جادّة ولكن مشجّعة:

- الإسقاط النجمي ليسَ مجرّد هروب من الواقع، إنه فرصة لتجاوز الحدود والتواصل على مستوى أعمق، استخدِمه لتقديم الدّعم لمن تُحب عبر نَشر هالتك حولهم، ولكن تذكر دائمًا، أن لا تتعلق كثيرًا بالعالم الآخر، فهناك خيط رفيع بين التّوازُن والضّياع...

أدركتُ أنني أمام اختبار جديد، اختبار ليس بالأسلحة أو القوة الجسدية، بل بقوة الروح والإرادة، كان عليّ أن أتعلم كيف أستخدم هذه القدرة بحكمة، دون أن أغرق في بَحر الأبعاد المَجهولة...

مسحتُ دموعي، وبدأت أستجمِع قُواي وقلت:

- سأكون حذرًا، وأعدك بذلك.

بصوت يحمِل في طيّاته عزمًا جديدًا، تابعت مشاهد أحبّتي مرة أخرى، ولكن هذه المرة، كنت مستعدًا للتحرك، مستعدًا لمواجهة ما سيأتي، ولحماية من أحبّهم، حتى وإن كنت بعيدا عنهم...

في تلك اللحظة، أدركتُ أنني بدأت أفهم شيئًا فشيئًا ما يَعنيه أن تكون مَسؤولا عن قُوى لا يملكها سوى القليلون، وأنّ الحكمة تأتي من قدرتك على توجيه تلك القوى نَحو الخير...

بعدما أدركت أهمية الإسقاط النّجمي وما يمكن أن يُقدّمه لي ولمن أحب، شعرتُ برغبة قوية في معرفة المزيد عن هذا العالم الخفي الذي بدأت للتوّ في استِكشافه يحمل في طيّاته أسرارًا لا تُحصى، وكنت مصممًا على اكتشافها...

التفت إلى أنوبيس بعينَين مليئتَين بالعَزم وقلت:

- علّمني المزيد، لا أريد أن أكون مجرد متعلّم عابر عندك أريد أن أسيطر على هذه القوى وأفهمها بعُمق حتى لو تطلُّب مني المُكوث هنا برهة من الزمن...

ابتسم (أنوبيس)، وكأنه كان يتوقع ذلك ثم قادني بهدوء نحو أحد أركان الهرَم حيث كان يوجد صندوق ذهبي لامع تُحيط به هالة من القوة القديمة رفع يده ببطء، وعندما لمسَ الصندوق، انفتحَ دون صوت وهفّت معه نسائم باردة، ليكشف عن خمسة كتب كل واحد منها بلون مختلف: أخضر، أزرق، أصفر، أبيض،

وأحمر. كان المشهد مهيبًا، وكل كتاب يشعّ بنور خافت كأنّه يحمل معه طاقة خاصة...

أخذ أنوبيس نفسًا عميقًا، وقال بصوت مِلؤه التّعظيم:

- هذه الكتب هي مَفاتيح لأبواب علوم مختلفة، كل لون يرمز إلى علم معين، وكل كتاب يحمل داخله معرفة عميقة تحتاج إلى الحكمة والصبر لاكتشافها.

أشار إلى الكتاب الأخضَر وقال:

- هذا هو علم الأهرامات وكل ما يخصها، سيُمكنك من فهم أكثر عن سبب إنشائها...

ثم أشار إلى الأزرق:

- هذا الكتاب يَحتوي على علم البحار والأثير، من هنا يُمكنك تعلم ما يُخفيه البحر والكائنات الذي تسكنه وكيف تتواصل معها...

ثم الأصفر:

- هذا علم الفلك والنّجوم، سيفتح لك أبوابَ عِلم ما يدور في الفلك وسيُمكنك من فهم مَسارات النجوم.

ثم الأبيض:

- هذا علم الروح والنّقاء، ستتعلم من خلاله كيفية تنقيَة روحك وروح الآخرين، وتطهير النفوس من الظلام، وسوف تفهم أكثر عن أنواع الأنفس السّبع...

وأخيرًا الأحمر:

- هذا هو علم النار والدّماء، ولكن عليك الحذر، فهذا العلم يحمل معه خطرًا كبيرًا إذا أُسيء استخدامه.

تقدّمت نحو الكتب بخطوات ثابتة، وقلبي ينبض بشدّة كان عليّ اختيار الطريق الذي سأبدأ منه، ولكنني كنت أعلم في داخلي أن كل كتاب هو جزء من رحلتي نحو السيطرة على قُواي نظرت إلى أنوبيس وسألته:

- هل يُمكنني تعلّم كل هذه العلوم..؟

ابتسمَ أنوبيس وقال:

- إنك شاب مُميّز يا أكحل، ليس الجميع يمكنهم دراسة كل هذه العلوم ولكن أنت لديك القدرة، فقط عليك أن تتبَع طريق الحكمة وتكون صبورًا، لا تتعجّل في اكتساب القوة، بل اترُكها تنمو داخلك بوَجهٍ طبيعي.

أخذتُ نفسًا عميقًا، ثم مَددتُّ يدي نحو الكتب، وأنا مملوء بالعزيمة لاكتشاف هذه العلوم واستِخدامها بحكمة لتَحقيق أهدافي وحماية من أحب وعندما فتحتُ أوّل صفحة من الكتاب (الأخضر) علمتُ أني سوف أمكُث في (آمون راع) مدّة أكثر مما كنت أتوقع...

أدركتُ أن معرفتي تحتاج إلى تعمّق أكبر بدلًا من الاكتفاء بما تعلّمته، قررت أن أمضي مزيدًا من الوقت في (آمون راع)، مستفيدًا من الفرصة التي مَنحَها لي (أنوبيس) الذي وافق على رغبتي في الاستمرار بالتعلم، وبدأنا معًا رحلة جديدة استغرقَت خمسة أشهر...

الفَصلُ التّاسِع

(حُرّاس السّدّ العشَرَة)(مَطلوب قاف الأوّل)

في قاعة مظلمة، كان ضوء الشّموع الخافت يتراقَص على جدرانها، اجتمعَت فرقة (الأعوان) الشّيطانية حول طاولة حجريّة ضَخمة الأوراق القديمة كانت متناثرة عليها، والهواء كان ثقيلًا برائحة الشمع المُحترق، الجميع كان يترقّب كلمة من القائد، الذي وقف في نهاية الطاولة بوجهٍ مُظلم ومَملوء بالغضَب...

أخذ القائد ورقة كان عليها اسم (الأكحل) مكتوب بخط غليظ، ورفعها أمام الجميع قائلاً بلهجَة صارمة:

- هذا الإنسيّ البغيض، منذ أن دخل سلسلة جبل قاف العظيم، وهو يجمع الحلفاء الأقوياء من حوله..! هذا ليس مجرد تهديد لنا، بل هو بداية لخَلل خَطير بين العالمين...!!

تردّد همسُ الشياطين في القاعة، بينما أكمل القائد بغضب مُتزايد:

- إذا لم نتحرّك بسرعة، فإن الخبر قد يصل إلى (مثلّث المحيط المقدّس) وعندها، ستكون حياتنا جميعًا على المحك... لا مجال للفشل! يجب أن نُوقفه قبل أن يزداد قوّة ويُدمّر كل ما عملنا من أجله...

الخوف كان واضحًا في أعين الشياطين، كانوا يعرفون أن الوقت قد حان للتحرك، وأن الأكحل ليس عدوًا يمكنهم الاستِهانة به...

القائد، الذي كان يطغى على وجهِه الغضب والترقّب، رفع يدَه لإسكات همسات الشياطين المتزايدة بلَهجَة أكثر حدّة وجديّة، قال:

- هذا الإنسيّ ليس مجرّد تَهديد عابر، إنه الآن مطلوب قاف الأول نعم، مطلوب قاف الأول..!

الذُّهول ارتسمَ على وجوه الجميع هَمهَمات الدّهشَة والخوف بدأت تنتشِر بين أعضاء فرقة (الأعوان) لم يكن لقب (مطلوب قاف الأول) يُمنح بسهولة، وكان الجميع يعلمون ذلك،

القائد توقف لبرهة، ليعطيهم وقتًا لاستيعاب ما قاله، ثم أكمل بصوت منخفض لكنه يحمل وزن الحقيقة:

- آخر من حَصلَ على هذا اللقب كان قبل ألفين وخمسمائة عام وكان المطلوب حينها أحد أقوى ملوك الجنّ المسلم ومع ذلك، نحن نعلم جميعًا ما حدث له في النهاية.

تحوّلت الهَمسات إلى صمتٍ ثقيل، بينما استوعبَ الشياطين حقيقة الموقف، القائد واصل قائلا:

- القبض على الأكحل ليست مجرد مهمّة عادية إنه يُشكّل تهديدًا حقيقيًا، ليس فقط على قوّتنا، بل على التَّوازن الذي بين العالمين، يجب عليكم جميعًا التركيز عليه بكل ما أوتيتم من قوة ودَهاء، الفشل في هذه المهمة ليس خيارًا..!!

الجميع أدركوا الآن أن المهمة أمامهم ليسَت مجرد تحدٍ، بل هي معركة من أجل البقاء، الفرقة كانت مستعدة للتحرك، ولكن في أعماقهم، كان هناك خوف من مواجهة شخص بلقب

(مطلوب قاف الأول)، اللقب الذي يحمل في طيّاته قصص الدّمار ومصير أسود لكلّ من واجه صاحبَه...

(رُؤوس الثّور)

في الشّهر الأوّل:

كنتُ أستيقِظ قبل شُروق الشّمس وأصلي الفَجر بعدها أتّجه نحو الأهرامات لأتأمّلها، كنت أشعر بتلك الطاقة التي تُحيط بالمكان، وكأنها تنبض بالحياة شيئًا فشيئًا، بدأت أفهم عبر قرائتي أن هذه الأهرامات لم تكن مجرد مقابر مهيبة، بل كانت هياكل عظيمة صُمّمت لتَوليد طاقة حيويّة متجددة في العالم...

قرأت كثيرًا عن هذا الموضوع ووجدت أن هذه الطاقة الحيّة التي تُولّدها الأهرامات ليست فقط لتَعزيز الحياة الروحية، بل لها تأثير مباشر على الجسَد البشري اكتشفتُ أن هذه الطاقة تساعد في تجديد خلايا الجسم، ممّا يفسّر لماذا اختار الفراعنة الأهرامات كأماكن لتَحنيط موتاهم...

آلية التّحنيط ليست كما اعتقدناها مجرد طقوس للحفاظ على الجُثث كما كانت في الواقع بل أكثر تعقيدًا وذكاءً مما تخيّلنا، فأدوات التحنيط لم تكن مجرد وسائل للحفاظ على الجسد، بل كانت أجهزة لاستقبال هذه الطاقة المتولّدة من الأهرامات وهكذا، كانت أجساد الفراعنة تتغذى باستمرار بهذه الطاقة، ممّا منعَ تحلّلها وحافظ على سلامة هيكلها لآلاف السّنين...

كلّما تعمّقت في هذه المعرفة، شعرتُ بأنني أفهم بوَجهٍ أفضل كيف استطاع الفراعنة تَخزين الفواكه والخضروات دون أن تفسد لمدّة طويلة...

كان هذا الفهم الجديد يُلهمني كلّ يوم، ويدفعني للاستمرار في تعلم هذه العلوم الغامضة والقويّة....

في الشّهر الثّاني:

تفرّغت لعِلم البِحار والأثير، قضيت وقتًا طويلًا عند بركة مياه كانت أمام أحد الأهرامات، حيث كانت توجد بِرَك مياه تعكس أضواء غامضة، تعلّمت كيف أتعامل مع التيارات المائية والبحرية، وكيف أستخدم الأثير في تحريك الأشياء من دون لمسِها، بدأت أفهم كيفية التنقّل عبر الأبعاد واستِخدام الأثير كوسيلة للاتصال...

في الشّهر الثّالث:

ركّزت دراستي على علم النجوم وتعلمت كيفية قراءة السماء ليلاً، وكيفية استخدام مواقع النجوم في تحديد الاتجاهات واتخاذ القرارات عبر تأثّر بعض المخلوقات من حولها، أصبحت قادرًا على ربط الأحداث الفلكيّة بالتغيّرات الأرضية، وفهم كيف تؤثر حركات النجوم على الروابط الأثيرية ساعدني ذلك لفهم لماذا السّحرة يَقومون بعمل السّحر في أيام محددة...

في الشّهر الرابع:

غصتُ في علم الروح والنقاء، تعلّمت كيفية التعامل مع الأرواح المُضطرِبة بمجرد أن أرى الشّخص المُصاب، حيث تعلّمت كيف أُساعده على الوصول إلى السلام الداخلي وأصبحتُ أقدِر على تَهدئة النفوس الغاضبة وإعادة التّوازن إلى الأرواح المُظلمة، كان هذا العلم الأكثر حساسية، كانت القدرة على تهدئة النفوس الغاضبة وإعادة التّوازن إلى الأرواح المظلمة تحديًا، لكنني تمكّنت من فهم أن وراء كلّ اضطراب روحاني تكمُن وراءه أسباب دفينَة...

حيث تكشّف أمامي أن هناك سبع طبقات من الأنفس، لكنني سأكتفي بذكر ثلاث منها...

الأولى - النّفس الأمّارة بالسّوء:

هذه الطّبقة هي الأكثر اضطرابًا، حيث تدفع الشخص نحو الرّغبات والغَرائز السلبية، كانت الأصعب في التعامل معها، لكنها تمنَحني فهمًا عميقًا لطبيعة الصّراع الداخلي الذي يُعاني منه الكثيرون...

الثانية - النّفس اللّوامة:

هذه النفس تعكِس الشّعور بالنّدم والتّوبة، التعامل مع هذه الطبقة كان بمَثابة تَوازُن حسّاس بين التشجيع على التّحسين وبين تَقديم الدّعم الروحي للتغلّب على الشعور بالذنب...

الثالثة - النّفس المُطمئنّة:

هذه النفس هي التي وصلت إلى حالة من السّلام الداخلي والتّوافق مع الذات، تعلّمت كيف أستمِد منها القوة والنقاء، وكيف أُساعد الأرواح الأخرى في الوصول إلى هذه الحالة المِثالية، كان علم الرّوح والنّقاء الأكثر حساسيّة بين العلوم التي تعلّمتها، لأنه يتطلّب فهمًا دقيقًا وتفاعلًا عميقًا مع طبيعة الإنسان الرّوحية، هذه المعرفة لم تكن مجرد دروس، بل كانت تَجارب غيّرتني من الداخل وأعادت تَشكيل فَهمي للعالم من حولي...

وأخيرًا، في الشّهر الخامِس:

قضيتُ وقتي في تعلّم علم النار والدماء، اكتسبتُ قدرة كبيرَة على فهم طبيعة النار حيث أدركت فيما بعد أن فهم هذا العلم يرتبط بفهم جسد الجن وعلى ماذا يتّكئون من خصائص تمنحهم قدرة التّشكّل والتّلبّس..

مع نهاية هذه الأشهر الخمسة، شعرتُ بأنني قد تغيّرت. لم أعد نفس الشاب الذي دخل هذا الهرم، أصبحت أكثر حكمة، وأكثر توازنًا في فهمي للعلوم والقوى التي

بين يدي (أنوبيس) كان بجانبي طوال تلك الفترة، يُرشدني ويوجّهني، ولكن في النهاية، كان علي أن أعتمد على نفسي لأتجاوَز التّحديات التي واجهتُها...

الآن، بعد خمسة أشهر من الدراسة والتأمل، كنت مستعدًا للخروج من الهرم، ولكن ليس قبل أن يَختبر أنوبيس ما تعلّمته بالفعل كنت أعلم أن هذه الاختبارات كانت فرصة لإثبات أنني قد أصبحت قادرًا على تحمل المسؤولية الكبيرة التي تأتي مع هذه العلوم...

أنوبيس ابتسمَ بتلك الابتسامة الغامضة التي تعوّدت عليها، ثم قال:

- الاختبار سيَكون من سؤال واحد، لكن هذا السؤال لم يكن موجودًا في أي كتاب...

شعرتُ ببعض الاستِغراب، فقلت بهدوء:

- سؤال واحد؟ حسنًا، لنَبدأ.

أنوبيس نظر إليّ بتَحدٍّ واضح في عينيه وقال:

- حسنًا أيها الواثق، هل يُمكنك أن تُخبرني ما هي الإحداثيات الجغرافية للهرَم الأكبر الذي يقع في مصر، تحديدًا في الجيزة؟ وما هو الرابط بينها وبين سُرعة الضّوء..؟

ابتَسمتُ بثِقة وقلت:

- موقع الأهرامات، وتحديدًا الهرم الأكبر، يقع عند الإحداثيات الجغرافية:

(29. 9792458°) شمالًا أما سرعة الضوء فهي (299,792,458) مترًا في الثانية...

صُدم أنوبيس وتراجع قليلًا، وقال بدَهشَة:

- كيف أدركتَ ذلك؟ هل غشَشتَ وقرأت أفكاري..!؟

ابتَسمتُ مجددًا وقلت بهدوء:

- أنا لم أغُش، لقد اكتشفتُ أن هذه العلاقة بين مَوقع الهرم الأكبر وسرعة الضوء ليسَت مجرد صدفة، بل هي رمز مَخفي يُشير إلى معرفة قديمة جدًا، الفراعنة كانوا أكثر تقدمًا ممّا نتخيّل، وهم بالتأكيد كانوا يعلمون شيئًا عن الكون ومَبادئه الأساسية، بما في ذلك سرعة الضوء لقد كانوا يدمِجون هذه المعرفة في بِناءاتهم وهياكلهم كنوع من الإرث.

ابتسمَ أنوبيس مجددًا بتلك الابتسامة الغامضة، التي كانت دائمًا تحمِل في طيّاتها معانٍ أكثر مما تبدو عليه. ثم قال بصوت مُفعَم بالاحتِرام:

- يا أكحل، لقد أثبتَّ لي أنك لست فقط قادرًا على حمل مسؤولية العلوم التي درستها، بل أيضًا على الربط بين المَعارف القديمة والحديثة بطريقة مُذهلة...

تقدّم نحوي بخطوات هادئة، وعيناه تلمعان بتلك النظرة التي تُدرك أنه قد وجد فيّ شيئًا يفوق توقّعاته وقال:

- لقد فهمتَ ما لم يستطِع الكثيرون فهمه على مرّ العصور، الفراعنة لم يَبنوا تلك الأهرامات كمجرد مُقابر، بل كجزء من منظومة متكاملة تربط بين المادة والطاقة، وعندما تُدرك مثل هذه الحقائق، تصبح جاهزًا لما هو أعظم بإذن الله.

توقّف للحظة، وكأنه يُفكّر في شيء ما، ثم أضاف:

- يا أكحَل، أنت الآن على أعتاب مراحل جديدة، العالم الذي كنت تعرفه من قبل لن يكون كما كان بعد الآن، هذه الاختبارات ليست سوى البداية ما زال هناك الكثير لتكتشِفه، والكثير من الأسرار التي تنتظرك لتَفتحها.

شعرتُ أن كلماته لم تكن مجرّد إشادة، بل كانت دَعوة لخَوض مغامرة جديدة، مغامرة مليئة بالتحديات التي ستَمتحِن كل ما تعلّمته وكل ما أنا عليه الآن..

أومأتُ برأسي، وأنا أُدرك أن هذه الرحلة لم تنتهِ بعد، بل إنها في الحقيقة بدأت للتّوّ...

ابتسمَ أنوبيس، ثم تابع حديثَه بحَزم:

- يَبدو أنك جاهز الآن للذّهاب نحو سدّ يأجوج ومأجوج فالمَردَة العشرة هم الحراس المُوكّلون لحماية هذا السّد، وستَحتاج إلى عَقد حِلف معهم إذا أردتّ المضي قدمًا، لأن التغلّب عليهم سيَكون من المُستحيل...

شعرتُ بزيادة توتّر في الأجواء، وكأن الكلمات كانت تُنبِئني بمهمّة خطيرة سألت:

- كيف يُمكنني عقد حلف معهم؟ ما الذي يتطلّبه الأمر؟

أجاب أنوبيس:

- المرَدة ليسوا كأيّ كائنات أخرى، فهم من أقوى الجنّ الكافر وقوتهم ذات طبيعة مُعقّدة وهم لا يَخافون شيئا، لذلك عليهم أن يَروا فيك القوة والنيّة الصادقة، وأن يشعروا بأنك تَستحقّ احترامهم، عليك أن تذهب إليهم وتُظهر لهم معرفتك، وقدرتك على التحكّم في القوى التي اكتسَبتها، ستَحتاج أيضًا أن تُقدّم شيئا ذا قِيمة لهم، لتُثبت لهم أنك تستحق أن تكون حليفًا، وليس عدوًا.

فكّرت في كل ما تعلّمته، وعرفت أن هذا التحدي يتطلّب أكثر من مجرّد المعرفة سألت:

- ما هي قيمَة الشيء الذي يجِب أن أقدّمه لهم؟

أجاب أنوبيس:

- يجِب أن يكون شيئًا يمثّل القوّة أو الحكمة، أو شيء له دلالة تاريخيّة، يُمكنك استِخدام ما تعلمته عن الروح والنّقاء، أو حتى الأسرار التي اكتشَفتها عن الأهرامات، تذكر، الحِلف معهم ليس مجرد اتّفاق، بل هو رابط قوي يُمكن أن يُغيّر مصيرك هنا في سلسلة جبل قاف العظيم.

تنفّستُ بعُمق، وأنا أستعدّ للخطوة التالية، سلّمت على أنوبيس، وشكرتُه بعُمق على كل ما قدّمه لي من معرفة وإرشاد كانت كلماته لا تَزال تتردّد في ذهني، وكانت تلك المعلومات سببًا في شعوري بالقوّة والثّقة...

بعد أن تركتُ الهرم، ظهرَ ظافر وهو يقود حصانَه المُجنّح نحوي قال ظافر بحماس:

- هيّا، الأكحل! حان الوقت لنَنطلِق..!

ركبتُ حصاني المجنّح، الذي كان أيضًا رائعًا في مظهره، وشعرتُ بنَسيم الهواء البارد يُداعب وجهي، كان الإحساس بالتّحليق فوق الأرض رائعًا، وكأنني أختبر شعور الحريّة الحقيقية....

انطلَقنا نحو المكان المَنشود، الذي دلّنا عليه أنوبيس، وكان الأفقُ يَتراءى أمامنا كأنه دعوة لمغامرة جديدة كنت أراقب المناظر الجميلة تحتَنا، الأهرامات والجبال التي تُزيّن الأرض لكن في أعماق قلبي، كانت هناك رغبة مُلحّة في تحقيق الهدف الذي وضعتُه لنفسي...

سألني ظافر، وهو يَبتسم بسُخرية:

- هل أنت مُستعد لمواجهة المَردَة العشرة؟

أجبتُ وأنا أشعر بالتّصميم يجتاحني:

- أكثر من أيّ وقت مَضى.

بينما كنّا نُواصل الطيران نحو السّد، كنت أفكر في كل ما تعلّمته، والأسرار التي اكتَشفتُها، أعلم أن هذه الرحلة لن تكون سهلة، ولكن مع كل تحدٍ، هناك فُرصة جديدة للنّموّ والتطوّر. وأخيرًا، بدأنا نقترب من السد، والجوّ بدأ يتغير، كأن هناك طاقة غامضة تُحيط بالمكان...

وصلنا إلى سلسلة من الجبال الشّاهقة الّتي كانت قريبة من سلسلة جبل قاف، والتي كانت تحتضن سدًا عظيمًا مَصنوعًا من مَزيج غَريب بين الحديد والنّحاس والحجَر، فاق حَجمُه الأنظار...

كان كأنّه صَرحٌ شامخ يتحدّى الزمن، يبعَث هَيبتَه في النفس بمجرّد النظر إليه، رافقنا صمتٌ مهيب، لكن خَلف السد، بدأت ترتفع أصوات صرخات غريبة، أصوات لم أسمَع مثلها من قبل، نَشاز مُزعج وكأنها آتيَة من عالم آخر، مليئة بالغضب والمُعاناة وهيَ تضرب جدار ذلك السدّ طالبةً الخُروج...

وقفتُ أنا وظافر على بُقعة قريبة من السد، نظراتنا معلّقة عليه، وقلوبنا مُثقلة بالترقّب، تقدّمت بخطوة إلى الأمام، وما إن فعلت ذلك حتى انطلقَت عاصفة رمليّة عَنيفَة أمامنا، كانت الرياح تحمل معها الرمال كأنها سِياط غاضبة تضرِب الهواء، اهتزّ الجبل من قوّة العاصفة، وشعرت أن كل شيء حولنا يتحرّك، وكأن الجبل نفسه قد استَيقظ من سُباته...

وسط تلك العاصفة القوية، سمعنا صوتًا هائلًا يتردّد في الأفق، كان الصوت عميقًا، يَحمل في طيّاته ثِقل العصور صدَح بصوت جَهوريّ:

- من الذي يَجرؤ على الاقتِراب من السدّ ونحن حرّاسه..!!

كانت الأرض تهتزّ من قوّة الصوت، وكان الهواء حولنا مليئًا بالرّهبة، نظرت إلى ظافر، ورأيت التّوتّر في عينيه، لكنه ظل صامتًا، كان يعلم أن هذه اللحظة تحتاج إلى جُرأَة مني أنا...

تقدّمت خطوة أخرى نحوَ العاصفة، رفعت رأسي وقلتُ بثَبات:

- أنا الأكحَل الذي تَحتاجون دماءه، وقد أتيتُ هنا ليس لأدخل هذا السدّ أو أُعادي حرّاسه، بل أتيت لأني أعلم أنكم تَحتاجونني...

هَدأت العاصفة قليلا، وكأن صوتي شقّ طريقَه عبر الرّياح، ثم خرج صوت آخر أقل حدّة، لكنه يَحمل القوة ذاتها:

- أنت تقول إنك الأكحَل، لكن الاسم وحده لا يعني شيئًا هنا، المرَدة لا يعترفون إلا بالقوّة، وبالإرادة أما أنت الآن مجرد نَكِرة ولن تعبُر مهما حاوَلت..!!!

أخرجتُ الخاتم الذي أعطاه لي أصحاب اللّحى الزّرقاء، والذي كان يمثل القوّة التي اكتَسبتُها من رحلتي. رفعتُ يدي وعرضت الخاتم نحو الحارس الذي كان على هيئَة عِملاق رملي:

- هذا الخاتم هو شَهادتي، هو الدّليل قدرتي على مُواجهة الحقائق الكبرى، لقد ربطَني بأكثر من مُرشد، وعلّمني الأسرار الّتي تكمن بين العالمين، أنا لستُ هنا للقتال كما قلت، كل ما أريده هو الوصول لحلّ وسط مع المرَدة العشَرة...

نظرَ العِملاق إلى الخاتم بعينَين مُتفاجئين، وكأنه يُدرك شيئًا عميقًا للحظة، كان كل شيء هادئًا. ثم انحَنى برأسه ببطء وقال:

- الخاتم يشهَد أنك قد عبرتَ دروبَ العلم والمعرفة، لكن ما تزال هناك اختبارات أمامك، لأن السد ليس مجرّد حجَر ومعدِن، إنه حاجز بين يأجوج ومأجوج وما

تراه الآن هو مجرّد الحاجز الأول أما في الطّرف الثاني هو ما يَحرُسه المرَدة العشَرة...

تراجعَ العِملاق إلى الخلف، ومعه هدأَت العاصفة بوَجهٍ كامل، فتُحت بوّابة كانت عملاقة وتتوّسط السد ببطء، كاشفًا عن ممرّ مُظلم يؤدّي إلى الداخل. الهواء الذي خرج من الداخل كان باردًا، كثيفًا، مليئًا برائحة النّتَن والطاقة السلبية تصدّرت الأجواء...

نظرتُ إلى ظافر، الذي ابتسمَ ابتسامة صغيرة وقال:

- الآن، ستُقابل الحرّاس الحقيقيّين (المرَدة العشَرة).

خطوتُ وحدي نحو الممرّ المُظلم، وكل خطوة كنت أخطوها كانت تُثقل كاهلي بثقل المهمّة التي تنتظرني، مع كل لحظة تمُر، كنت أزداد إدراكًا لأهمية المرَدة العشرة، أولئك الحراس الذين يحرسون سَدّ (يأجوج ومأجوج) يقِفون على مُفترق طُرق بين الأسطورة والحقيقة كانت أسماؤهم تُهمَس في الرياح، وقصصهم المَخفيّة بين طيّات الزمن...

أثناء سيري في الممرّ، شعرتُ بشيء غريب يحدُث، الهواء من حولي بدأ يثقل، وكأن الجدران نفسها تتنفّس، الرائحة النّتِنة التي كانت تملأ المكان بدأت تَتلاشى تدريجيًا، لتحل محلّها برودة غامضة كأنها تحذّرني من شيء عظيم ينتظرني في نهاية الطريق وعندما وصلت إلى النهاية، انفتحَ أمامي مشهدٌ مَهيب:

قاعة شاهقة السّقف، تملأها أعمِدة عملاقة، وتكاد العظام المتناثرة تغطّي الأرضية، شاهدة على الزمن القاسي الذي مرّ بهذا المكان...

فجأة، بينما كنت أتأمّل تلك القاعة المُرعبة، اشتعلَت مجموعة من الشّموع على الأطراف، لتُنير مشهدًا لم أكن أتوقّعه...

عشرة عروش من الرّخام المَنحوت بدقّة فائقة كانت مُرتّبة في دائرة، وكل عرش كان يَشغله مخلوقٌ عِملاق، أشبَه بالجَبل...

كان المرَدة يجلسون في صمتٍ مهيب، كل واحد منهم يَحمل رأس جُمجمة ثور على جَسد بشريّ ضَخم، رؤوسهم مغطّاة برداء أسود لا يظهر منه سوى أجزاء من تلك الجَماجم...

بصوت واحد، عميق وكأنه قادم من قلب الجبال، قالوا:

- أهلا بك في سدّ يأجوج ومأجوج، أيها النّوراني.

وقفت أمام المرَدة العشَرة، وقلبي ينبض بقوة تحديًا يَغمُرني وثِقة تتجاوز خوفي قلت بصوت ثابت وجَريء:

- أنا لستُ هنا لأطلب الرحمة أو أتوصّل لتَسويَة رخيصَة، فحياتي لا تهمّني، أيها الثّيران المغفلون، أتيتُ لأتحدّث عن دمائي النادرة، التي هي حاجتكم وخطركم في آنٍ واحد. أريد أن نَصلَ إلى اتّفاق يحفظني ومن معي من تَسلُّطكم وجَبروتكم...

تبادلَ المرَدة نظراتهم، غضبهم ظاهر كالجَمر المتأجّج، وكأنّ كلماتي اخترقَت كبرياءهم. أحدهم، بصوت عميق وغاضب، قال:

- تطلب منا اتّفاقًا؟ ومن تكون، أيها الصّعلوك، حتى تظنّ أنك تستطيع التّفاوض معنا..؟!

نظرتُ إليه بثبات، ومَددتُ يدي أمامهم، مُظهرا الخواتم التي أحملها، من رحلتي، وقلت بحَزم:

- أنا الوحيد في هذا الزمان المُعترَف به بين أصحاب اللّحى الزّرقاء. أنا الذي شربتُ من علوم جبل قاف حتى ارتوَيت، أنا الإنسيّ الوحيد الذي يملك حلفًا مع سلسلة ممالك الجن، لستَ أنت، ولا من بجانبك، يمكنه إنكار هذه الحقائق فمن هو الصّعلوك الآن..!؟

تجمّدت أنظارهم نحوي، وظهر في أعينهم الخوف الذي حاولوا إخفاءَه، كان واضحًا أنهم قد أدركوا حَجم قوّتي وحقيقة ما أملك، بعد لحظات من الصّمت المَهيب، نطقَ أحدهم بتَوجُّس:

- ما هي شروطك، أيها الإنسيّ..؟

نظرتُ إليهم بثِقة وقلت:

- شرطي بَسيط، أن تترُكوا من معي وشأنهم، وألا تتعرّضوا لهم بأيّ وَجه وأن تقِفوا إلى جانبي إن لزمَ الأمر، لا أطلُب أكثر.

صَمتوا للحظات، وكأنهم يفكّرون في ردّي. ثم قال أحدهم بصوت هادئ ولكن يحمِل في طيّاته قُبولًا غير معلن:

- لقد سَمِعنا شروطك سنفكّر فيها، أيّها الأكحل.

وما هي إلا لحظات قليلة من التّهامُس بينهم حتى رفع المرَدة العشرة أيديهم نحو السماء، تبع ذلك ظهور خَيط عنكبوتي يتدلّى من سقف القاعة الشاهقة، كان الخيط يَنزلِق ببطء، يمرّ عبره رأس أشبَه برأس غُول لونه أخضر داكن مغطّى بطبَقة سَميكة من البُثور والقُروح، بدأ الرأس بالنّزول تدريجيًا، مشعًا بوَهج غَريب حتى استقرّ على كومَة من العِظام المتناثرة على الأرض...

بهُدوء مُخيف، أنزلَ المرَدة أيديهم، وقال أحدهم بصوت هادئ لكنه مليء بالرّهبَة:

- افتَح فمَ الغول...

تقدّمت نحو الرأس الضّخم بجُرأة، رغم هَيبتِه وفتحتُ فم الغول بحذَر، رأيت داخل فمِه خاتمًا بفصّ أحمر، كان يَتوهّج بلون الدّماء مستقرًا على لسانه السّميك والمُخيف...

قال أحد المرَدة بصوتٍ هادئ ولكنه مليء بالثّقة:

- هذا الخاتم هو دليلُك على الحِلف معنا، ارتَدِه، ولن يتعرّض لك أحد منّا أو من أتباعنا بعد الآن...

أخذتُ الخاتم من فَم الغول، ورفعتُ يَدي لأرتديه، فور ارتِدائي له، شعرتُ بطاقة غريبة تَسري في جسدي، كانت ظلاميّة بعض الشّيء لكن كأنها تأكيد على ما تمّ الاتّفاق عليه، أدركتُ حينها أنني قد حقّقتُ ما جئت لأجله، خرجت من القاعة المُظلمة بخطوات ثابتة، عائدًا من حيث أتيت، كنت فخورًا بانتِصاري، على المرَدة وانزاحَ همّهم من على صَدري...

وأنا أسير خارج القاعة، شعرتُ بأن الهواء حولي قد تغيّر. كان الصّمت الذي أحاطني هذه المرة مختلفًا، لم يكن مليئًا بالرهبة كما كان عند دخولي، بل بدا كأنه احترامٌ مَكتوم، خرجتُ من بوابة السّدّ العِملاقة وإذا بظافر ينتظرني بابتسامة عريضة عندما اقتربتُ منه قال:

- حمدًا لله على السلامة أيّها الأكحل!

نظرتُ إليه بتهكّم وقلت مازحًا:

- لماذا لم تدخُل معي أيها الجَبان..؟

ابتسمَ وهو يحكّ رأسه وقال:

- أحبَبتُ أن أحرسك من الخارج، يا صديقي.

ضحكنا معًا، لكن ضِحكتي قطعتُها فجأة عندما رأيت خاتمي الأزرق يشعّ بوَميضٍ غريب، رفعتُ يدي، وعندما لمستُه، سمعتُ همَسات في أذني وقلت لظافر بجدّية:

- اسمَع، هناك شيء..

ظافر نظرَ إليّ وقال:

- ركّز، ماذا تسمَع..؟

أغمضتُ عينيّ، وبدأت أركّز على الهمَسات. فجأة، تردّد في عقلي صوت مألوف:

- السّلام عليكم يا أكحل نحن أصحاب اللّحى الزّرقاء نودّ أن نعقد اجتماعًا معك بسُرعة، فهناك أمر هام، سنَلتقي عند (الجُزر الدنيوية) قابِلنا هناك...

فتحتُ عيني ونظرتُ إلى ظافر وقلت:

- إنهم أصحاب اللّحى الزّرقاء، يُريدون الاجتماع بي في (الجُزر الدنيوية).

ظافر نظرَ إلي بتعجّب:

- "الجُزر الدنيوية؟ لماذا اختاروا هذا المكان بالتّحديد؟

رفعتُ حاجبي وقلت:

- لا أدري، لكن لا أريد أن أتأخّر هيّا لنَذهَب.

ظافر أومأ برأسِه بتوتّر وقال:

- حَسنًا.

رأينا أعوادًا خشبيّة مُشتعلة بالنار، معلنةً عن وجود أصحاب اللّحى الزّرقاء كالعادَة...

هبَطنا، وتقدّمنا أنا وظافر نحوهم كانوا يجلسون في حلقة دائرية، وعندما اقتربت وقفوا جميعًا وقالوا بصوت واحد:

- السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحدهم أشار بيَده قائلا:

- تفضّل بالجلوس أيها السيّد.

نظرتُ إليه باستِغراب شديد لكن لم أسأله كيف عرف بأمر هذا اللّقب...

جلستُ وسط الحلقة الدائرية، محاطًا بأصحاب اللّحى الزّرقاء، الذين كانوا ينظرون إليّ بنظرات مليئة بالاحترام والتقدير، كان الجوّ مشحونًا بطاقة غامضة، وأعواد الخشب المُشتعلة بالنار كانت ترسل ظلالًا مموّجة على وجوههم، أحدهم، بدا عليه الوَقار والخبرة، بدأ يتحدّث بصوتٍ عميق

وقال:

- أيها السّيد الأكحل، نحن لم نستدعِك هنا إلا لأمر بالغ الأهمية هناك خَبران يجب أن نُبلغك بهما...

توقّف قليلًا، ثم تابع:

- الخبر الأول هو أن هناك منطقة في سلسلة جبال قاف تُدعى (أسجارد) إنها ليست كأي منطقة، بل هي مكان مَلعون مليء بالشياطين، هؤلاء الشياطين أقاموا حاجزًا قويًا حول تلك المنطقة، واحتَجزوا بداخلها قبيلة من حُلفائنا من الجنّ

المسلمين وغيرهم من المخلوقات الطيبة، لقد حاولنا مرارًا وتكرارًا تحريرهم، لكن قُوى الشرّ التي تُحيط بتلك المنطقة كانت أقوى من أن نتمكّن من اختِراقها...

شعرتُ بالقلَق يتَسلّل إلى داخلي، ولكنني حافظت على هدوئي وسألت:

- ما الذي يجعل هذه المنطقة صعبةَ الاقتِحام إلى هذا الحد..؟

أجاب رجلٌ آخر كان جالسًا بالقرب مني:

- إنها ليسَت مجرّد قُوى الشياطين التي تحمي أسجارد، بل هي أيضًا طلاسم سِحرية قويّة فعّلها أعتى وأقوى الشياطين، تلك الطّلاسم تجذِب الشياطين القَريبة من المنطقة وتمنحهم قوة مُضاعفة لكننا نعلم أنك، بما تملِكه من قدرات وما تعلّمته خلال رحلتك، تستطيع أن تكون المفتاح الذي يَكسِر هذا الحصار.

قلتُ بتَفكير عَميق:

- إذا كانت هذه المنطقة بهذا التّعقيد، ما الذي تطلُبونه مني بالضبط؟

أجاب الرّجل الأول:

- نريد منك أن تذهب إلى (أسجارد)، وتحرّر حلفاءنا، نعلم أن المهمّة ليست سهلة، لكننا نؤمن بأنك قادر على ذلك، ستَحتاج إلى كل ما تعلّمته خلال رحلتك، وستحتاج أيضًا إلى التفاوُض مع الشياطين التي تحرُس المكان، لن يكون الأمر مجرّد مواجهة قوة بالقوة، بل ستحتاج إلى حكمة ودبلوماسيّة لتَجاوُز العقبات لأننا لا نُريد أن نُشعل نار الحرب الّتي كانت مُوقدة بيننا طيلةَ الأعوام الفائتة...

تابعَ الرجل بنَبرَة مليئة بالجدّية:

- ولكن هذا ليس كل شيء، نعلم أن هذه المهمّة تتطلّب قوة كبيرة، ولذلك، سَنضَع تحت إمرتِك مئة من قبائل الجن المسلمين منذ اليوم سيَكونون عونًا لك، وسيَتبَعون

أوامرك في كل ما تطلبه، لقد اختَرناهُم بعناية، فهم من بين أقوى وأمهَر المُحاربين في عالم الجن...

هذا الخبر جعلَني أُدرك أنني لستُ وحدي في هذه المهمة، لن أعتمِد على قدراتي الشّخصية فقط، بل كان لدي دعم من قوة هائلة تحت إمرتي، أدركتُ أيضًا أن هذه القوة الكبيرة تأتي مع مسؤولية ضَخمَة...

نظرتُ إليهم جميعًا وقلت بحَزم:

- أنا مستعد لتحمّل هذه المسؤولية، سأذهب إلى أسجارد وسأفعل كل ما بوسعي لتَحرير حُلفائنا.

ابتسمَ أحدهم وقال:

- نعلم أنك الشّخص المُناسب لهذه المهمة، يا أكحل. نسأل الله أن يَحميك ويرشدك في هذه الرحلة لكن ما هيَ خطّتك لتَحريرهم..؟

ابتسمت، وأجبت:

- أُحبّ أن تسمَعوا عن أفعالي بدلًا من إخباركم بها.

بَعدها سألتُ بصوتٍ هادئ:

- ما هو الخبر الثاني؟

تابع الرّجل الأوّل مجددًا، قائلا:

- لقد بلَغنا من أحد جَواسيسنا أن فرقة (الأعوان) اجتمعَت مؤخرًا، وكان الحديث يَدور حولك بوَجهٍ مكثّف، قائدهم الذي يُعرف بشَراستِه وذَكائه، قد قرّر أن يَمنحَك لقب (مطلوب قاف الأول).

انتابَني شعور بالقلق وسألت بفضول:

- (مطلوب قاف الأول) ما الذي يَعنيه هذا اللّقب..؟

أجاب الرجل بحذَر:

- هذا اللّقب ليس مجرّد لقب عادي، بل هو اعتِراف بقوتك ونُفوذك المُتزايد بين الكائنات في هذا العالم، إنه يُشكّل تحديًا لك وخطرًا جسيمًا، وفرقة (الأعوان) تُعتبر أن وجودك ونجاحك في جَمع الحُلفاء يُشكّل تهديدًا كبيرًا لمَصالحهم، ويجب عليهم القضاء على هذا التّهديد قبل أن يَصلَ إلى عرش إبليس نفسه...

أخذتُ نفسًا عميقًا، مُحاولًا استِيعاب الموقف، لم أكن أعتقد أنني سأُصبح هدفًا لمثل هذه الفرقة القويّة ولكنّني أدركتُ أيضًا أن هذا كان جزءًا من مَصيري قلت بجديّة:

- يبدو أنني سأَحتاج إلى اتّخاذ احتياطات إضافية سأكون حذرًا في كل خطوة أخطوها....

ردّ رجل آخر كان صامتا بلُطف:

- نحنُ هنا لمُساعدتك ليس لنُثقل عليك الحُمول، لذلك عليك أن تتجنّب المواجهات المُباشرة مع (الأعوان) في الوقت الحالي، وركّز على تَحرير حلفائنا من (أسجارد) سيكون لديك حلفاء أقوياء في قاف الذين سيَدعمونك في مواجهة المَصاعب حتى تعود إلى عالمك بسَلام...

ابتسمتُ وقلت:

- شكرًا لكم على هذه النّصيحة، وسأبذل قُصارى

جُهدي، الآن دعونا نستعِد للانطِلاق نحو (أسجارد)...

اقتربَ أصحاب اللّحى الزّرقاء حولي، ووضعوا أيديهم على كتفي كعلامة على الدّعم والتّضامن...

نهضتُ من مكاني، وألقيتُ نظرة أخيرة على وجوههم التي كانت تعكس الثّقة والتّقدير، كانت مهمّتي واضحة الآن، وكنت مُستعدًا لمواجهة أولئك الشّياطين المقبلة، توجّهت نحو ظافر، الذي كان ينتظرني بهدوء، وأومأ لي برأسه، إشارة إلى أنه هو الآخر جاهز للتحرّك....

صعدنا على ظهر حصانَينا المجنّحين، وانطلقنا نحو المكان المَنشود...

بينما اقتَربنا من مَدينة أسجارد، بدأت تتكشّف أمامي مَشاهد غامضة ومُثيرَة للقلق، كانت المدينة مُحاطة بسُور ضَخم من الصّخور الداكنة، الذي بدا وكأنه مُشكّل من العظام، كانت تلك الصخور تَبرُز بأشكال غريبة، كأنها تحمل آثارًا قديمة من مآسي وتضحيات أُقيمَت عليها، تحكي قصصًا عن أرواح عانَت كثيرًا...

عندما هبَطنا، كنّا أمام بوّابة ضَخمة، مُتعفّنة وعَتيقة، ومتى رأيناها انفتح أمامنا مشهد كابوسي، كانت الشّوارع ضيّقة ومُظلمة، تُضيئها هالة خافتة من ضوء القمر الذي كان يَخترق الغيوم المُتكاثفة، ممّا أعطى المكان شعورًا كئيبًا ومرعبًا، كان الضّباب الأسود يَملأ المكان والجُدران، المباني العالية تتلوّى، كأنها تبتلِع النور، وسقفها كان يُشبه رأس أفعى، مستعدًا لافتِراس كل ما حوله...

النّوافذ الضيّقة كانت تُومِض كعيون شَيطانية، تُراقبنا في كلّ زاوية، كانت هناك كائنات مُظلمة تتجوّل، عابرَة بين الظلال بنُعومة غَريبة، مع نظرات غامضة تحمل في طيّاتها وعودًا بالفزَع...

الهَواء كان مُشبّعًا برائحة الألم والتّعذيب، مع لمَحات من الدّخان والمَشروبات الغريبة التي كانت تتصاعَد من الأكشاك المُتهالكة، أصوات همَسات خافتة كانت

تدوّي، وكأن الأرواح المعذّبة تهمِس بأسرارها في آذان المارّة، تَحكي عن معاناتها وتجاربها الأليمة...

سمعتُ صرخات بعيدة، مَزيجًا من الفرح والحزن، وكأن المدينة تحتفل بذكرى قديمة من معارك مُروّعة، وسط ميدان المدينة الذي كان مُحاطًا بمباني عتيقة ذات أسقف متعرّجة وأبراج مَخروطية، تبرُز نحو السماء كأنها تسعى للوصول إلى النجوم، في حين كانت ترفع دعوات مُستغيثَة إلى العلوّ...

في وسط المَيدان، كان هناك تِمثال ضَخم يمثّل شيطانًا عتيقًا ذا أجنِحة مفتوحة، يُحدّق بنظرة مُخيفة، وكأن بصرَه النّفاث كان يَنفُذ إلى أعماق أرواح الحاضرين، يَدعوهم إلى تَسليم أنفسهم للخوف..

بينما كنت أسير، شعرتُ بشَيء غَريب يتَسلّل إلى عقلي، كانت أفكاري تتلاشى كالسّحب السّوداء، وكأن المدينة نفسها كانت تُحاول سلبَ استِيعابي أو التّأثير في إرادتي، أدركتُ أن أسجارد ليسَت مجرد مدينة عادية، بل هي كائن حيّ يتنفّس، يحمل في طيّاته أسرارًا مظلمة ومعاناة مرّ بها كل مُحتجز داخلها...

شعرتُ بشَيء يَشدّني، كأنني دخلتُ إلى كابوس حي، حيث الماضي والحاضر يَلتقيان في دائرة من العذاب، كنت في قلبِ ظلام يكتنِفه الغُموض، وعرفت أن رحلتي لم تكن مجرد مهمّة، بل كانت مغامرة على شَفا الانهِيار، مع كل خطوة تقرّبني أكثر من مصيرٍ غامض...

وفجأة، بينما كنت أتأمّل هذه المدينة المرعبة وأحاول فهم أسرارها المظلمة، شعرت بلمسَة باردة على ظهري، كان الإحساس مُفاجئًا، فالتفتُّ بسُرعة، انفتحَ أمامي مشهدٌ ملحميّ يجسّد مَفهوم الرّهبة...

جيوش من الجنّ المُسلمين، مُتسلّحة بأسلحة برّاقة تتلألأ في ضوء القَمر، تجمّعت أمامي في صُفوف متراصّة، كانت الأعلام تُرفرف فوقهم كعلامات عزّة وفخر، مُظهرين تنوّع القبائل وقوّة التّحالف الذي بينهم...

ملأ الأجواء صوتُ الهدوء، وكأن الأرض نفسها رضخَت لعَزمهم، بدَت السّيوف كالأشعة الفضيّة التي تنعكِس في السماء، بينما كانت الدّروع تَتلألأ بالزّخارف المُعقّدة التي تحكي قصصَ البطولات، كان كل جنديّ ينظر إليّ بعينَين تَفيض بالشّجاعة، والاحترام كأنهم قد تَعاهدوا على القتال من أجل الحق...

صرخ أحد القادة، وصوته يَصدَح في الهواء كصوت الرّعد:

- هذا هو قائدنا الأكحَل..!

أكمل القائد وقال:

- اجتمَعنا هنا لمُواجهة الظلم الذي خيّم على (أسجارد) ولتَحرير حُلفائنا المَحبوسين في الدّاخل...!

تقدّمتُ خطوة إلى الأمام، وشعرتُ بالقوة تتدفّق في عُروقي، كان الحماس يتصاعد، وصدى صيحاتهم تملأ السماء، مع كلّ نظرة إلى تلك الجيوش، كنت أشعر بارتباط عميق، وكأننا كنا جزءًا من كيانٍ واحد، مُستعدين لدخول معركة لن تُنسى...

صرختُ بصوتٍ عال وقلت:

- هيّا لنُحرّر (أسجارد) من ظلم هؤلاء الفُسّاق..!

تقدّم نحوي أحد القادة الذي تميّز بملامحه القويّة وعينَيه اللّتان تُشعّان بالحِكمة والشّجاعة..

كان يَرتدي درعًا مزخرفةً بألوان غامقة ويَحمل سيفًا كبيرًا يتلألأ في ضوء القمر، تقدّم بخطوات واثقة نحو المقدمة، حيث كنت أقف، وعندما وصل إليّ، ألقى نظرة حادّة نحو الجُموع ثم التفتَ إليّ وقال:

- ما هي خطتك، يا سيّدي؟

سألني بصوتٍ عميق يفيضُ بالقوّة كان صوته يجذِب انتِباه الجميع، إذ أوقفوا حديثهم واستعدّوا للاستماع إلي...

أضافَ قائد آخر، مشجّعًا الجميع على التركيز:

- الجميع الآن يصمُت ويستمِع إلى خطة السيّد.

ابتسمتُ بثِقة وقد علمتُ أنهم كانوا يتوقّعون خطّة تقليدية، لكنني كنت أعلم أن الموقف يتطلّب شيئًا غير مُعتاد...

قرّرت أن أجيب بطريقة تجسّد العُمق والتّعقيد المَطلوبين لهذه المعركة...

قلتُ بهدوء:

- تَحرير الحُلفاء لن يعتمِد على القوّة أو المُواجهة المباشرة، بل على استِغلال نقاط ضعفهم من الداخل، وتحويل قوّتهم ضدّهم...

نظرَ إليّ الجَميع وهم مُستغربون...

ثم تابعت:

- أوّلا، نحن بحاجــة إلى فهم طبيعــة السّجن الذي يُحتجَز فيــه حلفاؤنا، السّجون الشيطانية غالبًا ما تكون مُغلقَة بطلاسم قوية، مرتبطة برُوح السّجانين أنفسهم، لذلك ستكون خطوتنا الأولى هي إيجاد طريقة للتّسلّل إلى تلك الطلاسم الشيطانية والسّيطرة عليها...

أوضحتُ خطّتي أكثر:

- بدلًا من اختِراق السّجن من الخارج، سوف أتَسلّل بجسدي الأثيري إلى داخل أحد الشياطين الضّعفاء وسوف استخدم تقنيات قديمة تعلّمتها من أنوبيس لتُسيطِر على عقل هذا الشيطان وتجعله يعمل لصالِحنا دون أن يشعُر، عبر هذا الشيطان، سأزرَع أفكارًا وأوهامًا في أذهان الشياطين الآخرين، تجعلهم يُشكّكون في بعضهم البعض ويَبدؤون في تَقويض دفاعاتهم من الداخل.

تابعتُ:

- بينما يَتفاقم الشك بينهم، سأستخدِم قدراتي في التّحكم بالأرواح للتّلاعب بالطاقة التي تغذّي الطّلاسم التي تُحيط بالسّجن لأن الطّلاسم الشّيطانية تعتمِد على تَوازن دَقيق، فإذا حُرّف هذا التّوازن بحَذر، ستَبدأ تلك الطّلاسم بالتّآكل ببطء، دون أن يُلاحظ أحد.

أضفتُ بابتِسامة ماكرَة:

- وعندما تصِل الطلاسم إلى نُقطة الانهيار، ستظهر علامة داخل السّجن، إشارة للحلفاء.. في ذلك الوقت، سيَكونون قد فهموا ما يحدُث وسيَتصرّفون وفقًا للخطة وهنا سوف يأتي دوركم لتَنقضّوا إلى الداخل مُستغلّين الفَوضى التي أنشأتها داخل صُفوف الشياطين.

أكملت:

- وأخيرًا، لتَفادي أيّ شكوك لاحقة، سنترك خلفنا سلسلة من الأدلّة الزائفة التي تُشير إلى أنّ ما حدث كان نتيجَة خلافات داخلية بين الشياطين أنفسهم هذا سيَضمَن أنّ الشياطين سيَستمرّون في مُحاربة بعضهم البعض بعد رَحيلنا، ممّا يمنَح حُلفاءنا وقتًا كافيًا للهرَب بسَلام.

القائد بَدا مذهولًا وقال بصوت هادئ:

- لكن كيف يُمكن أن نضمَن أن الشياطين لن يشكّوا في تَدخّلنا..؟

أجبتُه بثِقة:

- لن يَشكّوا، لأنّ كل شيء سيَبدو كما لو كان نِتاج تصرّفاتهم الخاصة، المفتاح هنا هو أن نكون جزءًا من الظلّ، نتحرّك دون أن يُشعر بنا، ونترك الفوضى لتَتحدّث عن نفسها.

أومَأ القائد برأسِه ببُطء، وقال:

- لم أتوقّع مثل هذه الخطة، إنها تتطلّب الكثير من الدقّة والحذَر، ولكنها بالتأكيد غير مُتوقّعة وذكيّة.

ابتسمت وقلت:

- هذه هي الطّريقة الوحيدة لضمان النّجاح في مواجهة قوّة تَفوقنا عددًا...

تقدّمت نحوَ مدخل المَدينة المَهيب، وفجأة، هبّت ريح قوية تبعَتها صرخة حادّة قادمة من السماء، نظرتُ إلى الأعلى، فإذا بطائر عِملاق، لونه أحمر كالنار، يمرّ من أمامنا بسرعة هائلة، كان حجمه مخيفًا لدرجة أنني شعرتُ أن بإمكانه حَمل فيل بين قَبضتَيه بسُهولة...

وَقفنا مَذهولين للحظة، نُتابع حركة الطائر الضّخم وهو يُحلّق في سَماء أسجارد المُلبّدة بالغيوم الداكنة. ظافر، الذي عادة ما يكون هادئًا، بدا عليه القلَق وقال بصوت منخفض:

- لقد سَمعتُ عن هذا الطائر... يُقال إنه العَنقاء النّادر..

من دونِ سابق إنذار، هبّت ريح قويّة، تلَتها صَيحَة هائلة، الطائر الأحمر العِملاق عاد من جديد، لكن هذه المرّة لم يكن مجرّد مارٍ، بل كان متوجهًا نحوي بسُرعة لا تُصدّق...

قبل أن أُدرِك ما يحدث، انقضّت العنقاء العملاقة عليّ بأجنحتها الواسعة وقبضَت عليّ بمَخالبها القويّة...

رفعَتني من الأرض بسُرعة هائلة، ولم أتمكّن من الصّراخ أو المُقاومة، اختطفَني الطائر دون أن يمنَح ظافر أو الحشود فرصة للتّدخّل، نظرت للأسفل ورأيت الأرض تبتعد بسُرعة، وظافر يقف عاجزًا، وعيونه الواسعة تُراقبني وأنا أصعَد إلى السّماء مع هذا المَخلوق الأسطوري...

الفَصلُ العاشِر

(العابِدُ برصيصا) (العَنقاءُ الحَمراء)

بدأَت العنقاء تُحلّق بي بعيدًا عن الجبل، مُبتعدة عن أسجارد، نحو جِهة مَجهولة، الهواء كان كثيفًا وباردًا، وكنت أرى فقط السّماء والغيوم من حولي، كنت مُحتجزًا بين مَخالب الطائر الضّخم، لا أملك سوى التفكير في المَصير الغامض الذي يَنتظرني، من الواضح أنّ هذا الطائر لم يكن حارسًا للجبل، بل كان له غرَض آخر من خَطفي...

بعد ساعات من التّحليق، بدأت العنقاء في النّزول ببطء كانت وجهتنا جزيرة صغيرَة مُنعزلة مُحاطة ببَحر من الغيوم، عندما هبطت على الأرض، وضَعتني برِفق على تُربة صلبة، ثم حلّقت عاليًّا مرة أخرى، تاركةً إيّاي وحيدًا في هذا المكان الغريب...

نظرتُ من حولي، كانت الجزيرة مُظلمة، مليئة بالأشجار العالية والظلال الغريبة. في الأفق، لاحظتُ ضوءًا خافتًا ينبعِث من مكان بعيد، كان المكان غامضًا وهادئًا بوَجهٍ غريب، وكأن الزمن قد توقّف فيه، بدأت أشعُر بالقلَق والفضول في آن واحد...

قرّرت التّحرك نحو الضوء، فلربّما يحمل هذا المكان إجابة عن السّبب وراء اختِطافي...

تقدّمت نحو الضّوء الخافت الذي كان يلوّح في الأفق، وسط الأشجار العالية والظلال المتراقصة بفعل الرياح الباردة، كانت الأرض تحت قدمي تبدو غريبة، وكأنها غير ثابتة، وكأنني أسير على حافّة عالمَين استَمررتُ في المشي، وقلبي ينبض بشدة، غير متأكد ممّا ينتظرني...

مع اقترابي، بدأتُ أرى معالم أكثر وضوحًا، كان الضوء ينبعِث من كوخ قديم مَصنوع من خشب أسود مُتآكل، بدا وكأنه مَهجور منذ قرون. كان محاطًا بدائرة من الأحجار التي تشعّ بوَهج خافِت، كأنها تَعويذات قديمة مَنقوشَة لتحمي هذا المكان، الرياح حولي كانت تحمل همسات غامضة...

عندما وصلتُ إلى باب الكوخ، شعرتُ بقوّة خفيّة تدفعني للدخول، تردّدت للحظة، لكن فضولي دفعني لفَتح الباب وما إن دخلت، حتى وجدتُّ نفسي في مكان بدا أكبر بكَثير مما كان يبدو من الخارج، كانت الغرفة مليئة بأرفُف ممتلئة بالكتب والمخطوطات، وجدرانها مزيّنة برُموز قديمة غريبة...

في وسط الغرفة، كان يجلِس رجل طويل القامة

يَرتدي عباءة سوداء وعمامة صفراء، عيونه العميقة مشعّة بنور أزرق، وكأنه جزء من هذا المكان الغامض، رفع الرجل رأسَه ببطء عندما شعر بوجودي، وقال بصوتٍ عَميق ومَهيب:

- أهلاً بك أيّها السيد، كنت في انتظارك.

صُدمت للَحظَة:

- كيف تعرِف هذا اللّقب؟ ومن أنت؟

سألت بحذَر، مُحاولًا السّيطرة على دَهشَتي...

ابتسمَ الرّجل ببرود وقال:

- أنا جزء من الأساطير التي تَدور حول قاف، مثلك تمامًا لكنني لستُ هنا لأؤذيك، بل لأُرشدك، اختطافك لم يكن عبثًا، العنقاء هي مجرد وسيلة لنَقلك إلى هذا المكان، حيث ستعرِف المزيد عن مَصيرك.

- مَصيري؟

تَساءلتُ بحذَر...

- نعم، مصيرك الذي يتَجاوز ما تظنّه، أنت جزء من خطّة أكبر بكثير، هناك قُوى خفيّة تتحرّك حولك، بعضها لحمايتك، وبعضها لاستِغلالك وأنت في منتصف كل ذلك، بسبب دمائك النادرة وقدراتك الخاصّة.

شعرتُ بثِقل الكلمات وهي تتسرّب إلى داخلي...

- إذن لماذا أنا هنا؟ ما الذي تُريده مني؟

أجاب بصوتٍ أكثر جديّة:

- هذه الجزيرة، وهذا المكان، هما بوّابة لمعرفة أعمَق عن أسرار قاف لكن قبل أن تنطلق في رحلتك التالية، هناك تحدّيات أخرى يجب عليك مواجهتها. وأوّلها هو التّحرير.

- التّحرير؟

سألت...

- نعم، مُحتجزِي أسجارد لم تكن عَقبة عادية إنهم جزء من تَوازن قديم بين العالمين، وكانوا أساس علوم كبيرة، تحريرك لهم سيفتح بابًا نحو معرفة أكبر لكن لا تنسَ، التّحرير دائمًا يأتي بثَمن.

صمتَ الرّجل للَحظة قبل أن يُضيف:

- قبل أن تُغادر هذا المكان، عليك أن تتعلّم شيئًا جديدًا... شيئًا سيُغير مَجرى رحلتك.

نظرَ إليّ بتركيز، وكأنه يُحاول قراءة أفكاري ثم قال:

- ثِقتك بنفسك شيء جميل، لكن أن تثِق بنفسك دون تَخطيط مسبق يجعلك في حالة خطَر.

- ما الذي تقصِده بكلامك هذا؟

سألتُ بقلَق...

ابتسمَ الرّجل ببطء، ثم تنهّد وكأن الكلمات التي ستخرج كانت ثقيلة عليه قال بصوتٍ عميق ومَشحون بالمعاني:

- لكلّ خطوة عَواقب يا أكحل. لقد مَررت بالكثير، وخُضت اختبارات شاقّة وتعلّمت الكثير من العلوم، لكن يجِب أن تعلم أن كل قرار تتّخذه الآن سيترك أثرًا على مسار رحلتك، الثّقة وحدها لا تَكفي، تحتاج إلى الحكمة والتّفكير الاستِراتيجي ولا تظنّ أنك بَعيد كل البُعد عن الوقوع في الأخطاء... حتى لا يحدث لك مثل ما حدثَ للعابِد برصيصا.

رفعتُ رأسي مُتسائلًا:

- العابد برصيصا؟ من هو؟

تنهّد مرّة أخرى، بنَبرَة تحوي شيئًا من الحزن، وقال:

- سأروي لك قصّته، قد تكون أفضل طريقة لتفهَم ما أعنيه...

يُحكى أنّه كان هناك رجل يُدعى برصيصا، كان عابدً تقيًّا تفرّغ لعِبادة الله لمدّة سبعين سنة من عمره، وهو يَعبد الله على صومعة في أحد الجبال واعتزلَ الناس، وفي الجانب الآخر كان هناك شيطان يُريد أن يُضلّه فذهب إلى إبليس وقال له:

- دَعه لي أنا سوف أتصرّف مع هذا العابد.

(إبليس):

- وما الذي سوف تفعَله.

(الشيطان):

- سوف ترى.

ذهب الشيطان وتشكّل على هيئه بشَر، ولبس لباس الزّهّاد والعُبّاد، ثمّ بَنى صومعةً بجانب صَومعَة برصيصا في الجبل، وبقيَ يعبُد الله ليلًا ونهارا، واستمرّ هذا الحال لمدة عشرة أيام وفي اليوم العاشر خرجَ برصيصا من الصّومعة حتى يغيّر من حركته قليلا كي لا يملّ من العبادة، خرج ليرى الشيطان يسجُد ويتضرّع ويَبكي لله عزّ وجل فقال برصيصا في نفسه:

- ما هذه العبادة الثّقيلة؟

واستمرّ الحال وتتابعَت الأيام، وبطبيعة الإنسان تعبَ برصيصا في أحد الأيام من كثرة الصيام، فخرج ليجد الشيطان يبكي ويَتضرّع بإصرار شَديد دون كلَل أو تكاسُل، فوقَع في صَدر برصيصا أن هذا الشّيطان أحد كبار الصّالحين، وفي تلك الأثناء التفتَ الشيطان نحوَه وقال:

- أيّها العابد التّقيّ علّمني ممّا علّمك الله...

(برصيصا):

- هل أنا من أُعلّمك؟ أنت أصلَح وأعبَد مني وأنت من عليه أن يُعلّمني...

(الشيطان) بخُبث:

- حسنًا، سوف أعلّمك اسم الله الأعظم والذي ما إن تقرأه على أحد مَمسوس حتى يخرُج شيطان المسّ منه على الفَور...

وعلّم الشّيطان برصيصا اسمًا كاذبًا وتركه بعد ذلك ليكمل خطّته الخَبيثَة..

ذهب الشّيطان بعد ذلك إلى إبليس وقال:

- لقد أضعتُ الرّجل.

(إبليس) باستِغراب:

- كيف أضعتَه وهو ما زال يَصوم ويصلي في صَومعتِه..!!

(الشيطان) بمَكر:

- لقد ضاع وانتَهى أمر برصيصا...

(إبليس):

- وكيف ذلك؟

(الشيطان):

- لقد ابتلعَ الطّعم الذي نَصبتُه له...

بعد عدّة أيّام ذهب الشّيطان إلى القرية الّتي بجانب برصيصا ومسّ أحد الناس، فقال أحدهم:

- لنأخُذه إلى برصيصا فهو أعبَدنا وأكثرنا قربًا إلى الله...

أخذَ الناس المَمسوس إلى برصيصا والذي ما إن أخبروه أنه مَمسوس حتّى قرأ الاسم الذي علّمه له الشّيطان من قبل، والذي ما إن قرأه حتى خرجَ المسّ في نفس اللّحظة، تعجّب الناس ممّا حدث وكيف تشافى الرّجل بسُرعة على يد برصيصا وبدؤوا يهتِفون به ويعظّمونه حتى اغترّ برصيصا بنَفسِه.. ثمّ مَسّ الشّيطان رجلًا آخر وأخذَه النّاس إلى برصيصا وعالجَه بنَفس السّرعة، وتتابعَت حالات المسّ حتى مسّ الشّيطان أجمل فتاة في القرية فقال الناس خُذوها إلى برصيصا العابد..

وصلَت الفتاة إلى برصيصا فقرأ عليها الاسم للمرة الأولى ولكن دون جَدوى فقرأ الثانية ولكن دون جَدوى أيضا، ولا زالت الفتاة تُصرَع حتى أتاه الشّيطان بهَيئة العابد مرّة أخرى وقال له:

- يا برصيصا هذه الفتاة عاصيَة لله ولن يُؤثر بها الاسم الأعظم إلا لو تركتَها معك في الصّومعة تعبُد الله معك وترى عبادتك وتَتأثّر بك...

(برصيصا):

- وكيف أختَلي بها وحدنا في الصّومعة أيّها الصالح..؟

(الشيطان):

- أنت برصيصا، أنت العابد الصّالح، أنت لا تقَع في الخَطأ، أنت مُنزّه أيها التقيّ العابد، أنت لا تُفتَن، أنت أكبر من أنك تقَع في الخطأ، وهذه الفتاة ضَعيفة مُحتاجة لك وعندما تَتوب سوف تَقرأ عليها الاسم وتُشفى بسُرعة..

أخذ برصيصا مُوافقة أهل الفَتاة والذين بالطّبع وافقوا بسُرعة وهم على يَقين أنها بين أيادٍ أمينة، وظلّت معه في الصّومعة، وظلّ الشّيطان في كلّ فترَة يَصرعها

فتَتكشّف، ويصرَعها فتَتكشّف، حتى وقَع برصيصا في الخَطيئة وبعد مدّة حملَت الفتاة وأتاهُ الشّيطان وقال:

- يا برصيصا، سوف تقَع في مُصيبة إن علمَ أهل الفتاة وسكّان القرية ما فعلت، سوف تُفضَح وتُدنّس صُورتك...

(برصيصا) بتَوتّر:

- أخبِرني أرجوك ما الذي عليّ فعله الآن..؟!

(الشيطان) بخُبث:

- ببَساطة اقتُلها يا برصيصا ولن يَعلم أحد بما فَعلت..

(برصيصا) بتَوتّر:

- أقتُلها..!؟ أنا أقتُل..؟!

(الشّيطان):

- نعم اقتُلها لكي تُحافظ على سُمعتك، وأخبِر أهلها أنها أصابها الجُنون وهربَت...

بعد ذلك ذهبَ برصيصا العابد التّقيّ وقتَلها، وأخبرَ أهلها أنها هربَت من صَومعتِه، وبعد مدّة ذهب الشّيطان مُتنكّرا مُتشكّلا بلِباس العابِد وذهب إلى أهل الفتاة وقال لهم:

- لقد قتلَ برصيصا ابنتَكم والدّليل أنها مدفونة خلفَ الجَبل..

وعندما كُشفَ الأمر اجتمعَ أهل القرية وتوجّهوا نحوَ صَومعة برصيصا، الذي ما إن سمعَ أصوات صَرخاتهم حتى اختَبأ داخل صَومعتِه وأغلق على نفسه خوفا من أن يقتُلوه، أتاه الشيطان مرّة أخرى وقال وهو يضحَك بمكر:

- اجتَمعَ الناس بالخارج لقَتلك يا برصيصا.

(برصيصا) وهو يرتعِد من الخَوف:

- أنقِذني! ما الذي عليّ فعله..!!؟

(الشيطان) بمَكر:

- ليسَ لديّ إلّا حلّ واحد...

(برصيصا) بخَوف:

- ما هو بسُرعة.!!

(الشيطان) بمَكر:

- أن تسجُد لي أنا يا برصيصا..

(برصيصا) بعصبيّة:

- أسجُد لك.؟!! لقد أمرتَني بالكذب وكذبت، وقلتَ لي اقتُل وقتلْت، أمّا أن أكفر بالله فهذا مُستحيل..!!!

(الشّيطان) وهو يَضحَك بخُبث:

- اسجُد لي يا برصيصا وإلا سوف أسمَح لهم

بالدخول عليك الآن وقتلك بدمٍ بارد...

سجدَ برصيصا العابد للشّيطان، الّذي ما إن سَجدَ له حتى تركَه الشّيطان ودخل الناس وقَتلوه ومات كافرًا والعِياذ بالله...

نعم مات العابد برصيصا كافرًا في آخر أيّام حياته ساجدًا للشّيطان...

أكملَ الرّجل حديثَه بعد أن انتَهى من سرد القصة، ثم نظر إليّ بعينَين حادّتين وسأل:

- والآن، ما الذي فهمتَه من القصّة يا أكحَل؟

صمتُّ للَحظة، مُحاولًا استِيعاب الدرس العميق خلفَ الحِكاية. ثم أجبتُ بتردّد:

- يَبدو أنّ برصيصا لم يسقُط فجأة، بل كان ذلك نتيجة تَراكُم الأخطاء الصغيرة، بدأ بعَدم الاستِحسان لما رآه، لكنه سَمحَ للغرور بالتّسلّل إلى قلبه، وظنّ أنه مَنيع على الفتَن في النهاية، لم يكن سقوطه نتيجة خَطيئة واحدة، بل سِلسلة من الاستِحسانات والتّنازلات التي أوصلتْه إلى الكُفر.

هزّ الرّجل رأسَه موافقًا، وقال:

- أحسَنت، إنها خطوات صَغيرَة تقودنا إلى الهاوية، وليس السّقوط في خطوة واحدة، كلّ قرار، كل تهاوُن، قد يبدو بسيطًا، لكنه يَرسم مَسار رحلتك، احذَر من التنازلات التي تبدو غير مهمّة، فقد تكون تلك هي البداية التي تؤدّي إلى الضّياع، لذلك التزِم بحَبل الله واعتصِم به دائما..

تابع المُرشد بنبرَة أكثر جدّية:

- يا أكحَل، الثّقة الزائدة بالنّفس هي أولى مَراحل الانحِدار كما رأيت في قصّة برصيصا، لم يكن ضعفُه في عبادته، بل في غُرورِه، وفي اعتِقاده أنه بعيد عن الوقوع في الخطأ، كان يظنّ أنه فوق الشّبهات، وأنه لن يُغوى أبدًا. لكنه نسيَ أنّ الإنسان ضعيف، وأنّ الشّيطان يعرف كيف يتَسلّل إلى قلب المَرء بخطوات صغيرة ومُتتابعة.

توقّف الرّجل للَحظة ثم قال:

- لا يكفي أن تكون عابدًا أو متعلمًا، يا أكحَل، بل يجب أن تكون يقِظًا دائمًا، تذكّر أنّ العدو لا يقتحِم حياتك بقوّة، بل يَتسلّل ببطء، يُغريك بالراحة، بالاستِحسان، ثم بالتّبرير والشّيء الذي يَبدو لك اليوم غير مَقبول، قد يُصبح غدًا مُعتادًا، ثم مُستَساغًا.

صمتَ للَحظة، وأردف:

- ما أريدُ منك أن تفهَمه يا أكحَل، هو أن المَسار الذي تسلُكه ليس مُستقيمًا تمامًا، ولا خالٍ من العقبات وستُواجه الفتن، ليس في شكلها الواضح دائمًا، بل في تلك التفاصيل الصغيرة التي قد لا تنتبِه لها، عليك أن تضع حدودًا لنفسك، وأن تبقى حذرًا، كن مُتواضعًا، ولا تدَع الغُرور يَعميك عن الحذَر.

نظرتُ إليه بصَمت، وبدأت أفكّر في كلامه، كان الدّرس أكبر مما يبدو، فهذه القصة ليسَت مجرد حكاية عن برصيصا، بل هي تَذكير دائم لي في رحلتي القادمة...

ابتسمَ الرّجل ابتسامة دافئة، وكأن ثقلاً قد أُزيحَ عن كاهِله، بعد انتهائه من الدرس، وقال:

- الآن يُمكنك العودة إلى مهمّتك، يا أكحل، جيشك لا يزال ينتظرك عند (أسجارد) ويبدو أنهم قد استَدعوا بعض المساعدة...

شكرتُه باحتِرام وهَممتُ بالخروج، متوجهًا نحو الباب ولكن قبل أن أخرج تمامًا، سمعت صوته يُناديني:

- انتظِر...

توقّفت واستدرتُ نحوه، لأراه يتّجه نحو رفّ في الكوخ ببُطء، أخرج كتابًا كبيرًا مزينًا بنُقوش دقيقة، وفتح صَفحاته بعناية من بين طيّات الكتاب، استلّ خاتمًا لونه

بنفسجيّ فاتح، كان يلمَع بشدّة كأنه مَصنوع من ضوء النّجوم، أعطاني إياه، ونظرَ في عينيّ بعُمق...

- ارتدِ هذا الخاتم.

قال بصوت هادئ ومَليء بالحِكمة.

- سوف يُساعدك على تعلّم علم تفسير الأحلام، ستَحتاج لهذا العلم في رحلتك، والأوقات القادمة ستكشِف لك أهميّته...

أخذتُ الخاتم بيدٍ مُرتعشَة بعض الشيء، ووضعتُه في إصبعي شعرتُ فورًا بدفءٍ لَطيف يمرّ عبر جَسدي، كأنه إشارة إلى بداية مرحلة جديدة في رحلتي. شَكرتُه مجددًا، وهذه المرّة، بخطوات أكثر ثباتًا، فتحت الباب وخرجت، وأنا أشعر بعِبء جديد من المَعرفة والمسؤولية يتدفّق داخلي...

خرجتُ من الكوخ بخطوات متردّدة، وما إن عبرتُ العتبة حتى وقعَت عيناي على طائر العنقاء العِملاق الذي كان ينتظرني في الخارج، يقف بثَبات وهيبَة، ريشُه يلمَع تحت أشعّة الشمس كأنه مصنوع من اللّهب. لكن هذه المرة، بدا مختلفًا، كان أكثر لُطفًا، نظراته أقل حدّة، وكأنه يَعرفني الآن...

تقدّمت نحوه بخِفّة، وقبل أن أفكر مرتين، تسلّقت ظهره بسلاسَة، شعرتُ بالدّفء ينضَح من جسده الضّخم، وكأنه يُعطيني طاقة جديدة، استعدّيت جيدًا، ولم تمُر سوى لحظات حتى فتح العنقاء جناحَيه الضّخمين وبدأ يُرفرف بها، ليَحملني في السّماء مرّة أُخرى...

ارتفَعنا بسُرعة أكبَر من قبل نحو السّحب، ولكن هذه المرّة كنت أشعُر براحة أكبر، الهواء البارد يضرِب وجهي، والسّماء المفتوحة أمامي كانت تبدو كأنها تُرحّب بي في كلّ مرّة أقترب أكثر من أُفقها، وبعد ما يقارب النّصف ساعة،

رأيتُ (أسجارد) حيث كان ظافر وجيش الجنّ ينتظروني هناك، وعندما اقتربت من الأرض، كانت ابتسامة ظافر مزيجًا من التّرحيب

والخَوف، وكأنّما تفاجَأ من عَودتي وأنا أمتَطي العنقاء...

هَبطنا برِفق، وقدمي لمسَت الأرض بلُطف بينما العنقاء يطوي جناحَيه الهائلين نظر إليّ ظافر بدهشَة، ثم قال بصوت يحمل نَبرَة استِغراب:

- لم أتوقّع أن تعودَ بهذا الشّكل يا أكحل..!

ابتسَمت، ونزلتُ من فوق الطّائر العملاق بخفّة وقلتُ مازحًا:

- نعم، يبدو أن الأمور تتغيّر بسُرعة هنا.

وأنا أضَع يدي على ظهر العنقاء الذي أطلق صرخة خافتَة قبل أن يُحلّق بعيدًا نحو السماء، ظافر لم يزَل ينظر إلى السماء حيث اختفى العنقاء بين السّحب، وكأن ما رآه للتوّ كان جزءًا من حلم ثم التفتَ إليّ، وقال بنَبرَة أكثر جديّة:

- الأمور تتغيّر، نعم... ولكنني لم أتوقّع أن يكون التّغيير بهذا العمق، أو بهذه السرعة.

ابتسمَ وهو يقترب من حِصانه المجنّح، مسح على رقبتِه بهدوء، ثم قال:

- يبدو أن رحلتك تأخذك إلى أماكن لم يتوقّعها أحد.

اقتربتُ من ظافر وقلتُ بابتِسامة:

- الأمور تبدأ بالوُضوح أكثر فأكثر، لكنني أعلم أن الطّريق لا يَزال طويلًا.

نظرتُ إلى ظافر بابتِسامة وقلت بحَماس:

- هيا، لنُكمل المهمة وندخُل إلى سَفح (أسجارد).

تقدّمت بخطوات واثقَة نحو الفَريق الذي كان ينتظر إشارتي لبدء التحرّك، علمتُ أنهم كانوا يتطلّعون إلى توجيهاتي، وكان يجب أن أكون على قدر التّوقّعات....

قلتُ بصوتٍ هادئ لكن حازم:

- لدينا فرصة واحدة لإحداث تأثير عَميق، عندما نبدأ، لن يكون هناك مَجال للتّراجع، كل واحد منكم يعرف دورَه الآن ولا توجد خطط بديلة إما أن ننجَح ونترك العدو يَتلاشى في الفوضى، أو سنكون نحن ضَحايا تسرُّعنا.

بدأ الجيش يهزّون رؤوسهم بالموافقة، كل شخص كان يعرف أن النّجاح يعتمد على الدقّة والسريّة، وأن أي خطأ بَسيط قد يؤدّي إلى انهيار كل شيء..

التفتُّ إلى ظافر، الذي كان ينظر إلي بترقّب، قلت له:

- أنت ستَكون أول من يدخُل لعالم الأثير، تَحتاج لتَحديد الشيطان الأضعَف الذي سنَستغلّه، استخدِم قدراتك في التّسلّل إلى أفكارِه، واستمِع لمَخاوفه وهَواجسه سنبدأ من هناك.

ظافر أومأ برأسِه وقال:

- لقد قمتُ بمثل هذه المَهام من قبل، لكن هذه ستكون أخطرها، الشياطين ليسوا مثل البشر إذا شعروا بأنني اخترقتُ أحدهم، قد يُشكّلون درعًا لا يمكن تَجاوزه..

ابتَسمتُ بثِقة وقلت:

- لهذا السبب اخترتُك، إذا كان هناك شخص قادر على التّسلّل من دون أن يكتشفَه أحد، فهو أنت وأنت تعلم أنني سأكون بجانبك طوال الطريق.

ثم استَدرتُ نحو بقيّة الجيش وقلت:

- بمجرّد أن يبدأ ظافر بالتّسلّل، ستَبدأ العملية، سأتَلاعب بالطّاقة الأثيرية، وعليكم أن تكونوا مُستعدّين للتحرّك فور صدور الإشارة. لا تنسوا، الشياطين أذكى مما يَبدون عله، لذا علينا أن نكون أسرَع.

أخذ الجميع مواقعَهم، وأحسَستُ بطاقة غريبة تتدفّق في الهواء. هذه ليست مجرد مهمّة لإنقاذ الحلفاء. كان هناك شيء أكبر في الأُفق، شيء لم أتمكّن من تفسيرِه بعد، لكنني كنت أعرف أنه مهمّ...

وقفتُ في مكاني، أغلقتُ عيني، وبدأت أركّز طاقتي، هذه اللّحظات هي التي تفرّق بين المنتصرين والخاسرين تلك الثواني التي تقرّر فيها مصيرك شعرتُ بطاقة الشّياطين في الأثير، قُوى مُظلمة تَحوم حولنا، تنتظر الفرصة للهُجوم...

عندما بدأت بالتّركيز على الطاقة الأثيريّة، شعرتُ بها تتدفّق في داخلي مثل تيّار لا نهائي. كان الظلام حولنا يتكثّف، لكنني تعلّمت من تَجاربي السابقة ألا أخافه، على العكس، كان الظلام أحيانًا رفيقًا لي، وسلاحًا يُمكن استِغلاله....

ظافر أغلقَ عينَيه وبدأ بعملية التّسلّل، رأيت الهالة المُحيطة به تتغيّر بلون باهت، ثم شَعرنا جميعًا باهتِزاز خَفيف في الأرض. كان هذا علامة على أنه نجَح في العبور إلى العالم الأثيري الذي توجد فيه أرواح الشّياطين....

رفعت يَدي بهدوء لأُشير للجميع بالصّمت التام، في مثل هذه اللحظات حتى أنفاسنا قد تفضَح وجودنا، بعد دقائق بدَت كأنها ساعات، فتحَ ظافر عينَيه وقال بصوتٍ خافت:

- وجَدته، إنه أحد الشّياطين الأدنى، يسكُن في الزاوية الجنوبية الغربية من القاعة، روحه ضعيفة وخائفة من قائدهم سأتمكّن من التّسلّل إلى عقله.

أومأتُ بإيجابيّة وقلت:

- افعَلها. لكن تذكّر، لا نحتاج السيطرة الكاملة، فقط زَرع بُذور الشك، سيَقومون بالباقي بأنفسهم.

ظافر جلس على الأرض وبدأ بتَمتَمات خفيفة، وانطلقَت روحُه عبر الأثير متّجهة نحو الشيطان المُستهدَف، الجميع كان في حالة تَوتّر، أعينهم مُتوجّهة نحوي، مُنتظرين الإشارة التاليَة كنت أعلم أن كلّ لحظة تمرّ تضعنا في خطَر أكبر، فالشياطين قد يُلاحظون وجودنا في أيّ لحظة....

مرّت بِضع دقائق أخرى قبل أن يَعود ظافر من رحلتِه الأثيريّة، ابتسم ابتِسامة صغيرة وقال:

- تمّ الأمر، لقد زرعتُ الفكرة في عقله، وسيَتفاقم الشك قريبًا...

حانَت اللحظة التالية، وقفتُ بثبات وبدأت أركّز طاقتي على التّعويذات المحيطة بالسّجن، كانت هذه التّعويذات دقيقة للغاية، تتطلب توازنًا مثاليًا بين قوى الظلام والنّور، بدأت أشعر بالطاقة تتدفّق من أطراف أصابعي، وتحوّلت إلى خيوط غير مرئية بدأَت بالتّسلّل نحو التّعويذات، لتَلمسِ نقاط الضّعف التي تعلّمتها من أنوبيس....

بينما كنت أعمل، بدأتُ أُدرك أن الفوضى كانت تنمو بالفعل داخل قاعة الشياطين، استطعتُ أن أسمعَ هَمساتهم تتزايد، بعضهم يشكّ في الآخر، والبعض الآخر بدأ في الشعور بالخيانة كان هذا بالضبط ما خطّطت له...

فجأة، شعرتُ بتغيّر في الطاقة، التّعويذات حول السّجن بدأت تتَزعزَع، هذا هو الوقت المناسب رفعتُ يدي مرة أخرى، مُشيرًا إلى الجيش للتّحرك، كان كل شيء يعمل كما خطّطت له، الطاقة بدأت تتسرّب من حول السجن، وبدَت الحواجز وكأنها تنهار ببُطء...

ثم، دون تَحذير، انطلقَت شرارة حمراء من التّعويذات، وعرفت أن اللحظة الحاسمة قد حانت، نظرتُ إلى ظافر وقلت:

- الإشارة وصلت دَع الحُلفاء يتولّون الأمر الآن.

بمجرّد أن قلت هذا، سَمعنا صوت تحطّم داخل السجن، الحُلفاء بدؤوا في التحرّك، مُستغلّين الفَوضى التي خَلقناها، الشّياطين كانوا في حالة ارتِباك تام، مشغولين بمُحاربة بعضهم البعض...

ثم، في وسط هذه الفوضى، انطلقَ الحُلفاء من السّجن، كانوا متيقّظين ومُستعدّين، ومن الواضح أنهم قد أدركوا طبيعة الخطّة، لم نحتَج حتى إلى التّوجيه المباشر، فهم كانوا يعرفون بالضبط ما يجب عليهم فعله...

بينما كنّا نتراجع إلى الظلّ، نظرتُ إلى المشهد أمامي. الشياطين يتَقاتلون فيما بينهم، الحُلفاء ينطلقون نحو الحرية، وكل شيء يسير كما خُطط له أحسَستُ بابتسامة ترتسم على شَفتي، النجاح كان لنا، والفوضى كانت لهم...

بينما كنت أُراقبُ المشهد أمامي، رأيت الحُلفاء يخرجون من السّجن واحدًا تلوَ الآخر كان كل منهم يَحمل هالة مميّزة، وكأنهم كائنات نُسجت من الضوء، أشكالهم كانت غير مألوفة، مزيجًا بين القوة والحِكمة...

أحدهم كان يَرتدي عباءة داكنة، ووجهه مغطّى بقناع مَعدني يَعكس ضوء الشّموع الخافتَ من حَوله، وآخر كانت عيناه تَتوهّجان باللّون الفضي، يَنبعِث منهما بَريق مُخيف لكن ما لفتَ نظري حقًا كان أحد الحُلفاء

الذي بدا مختلفًا عن البقيّة بوَجهٍ مُفجِع...

كان عملاقًا هائلًا، طوله يفوق كلّ من حوله بوجهٍ لا يُصدّق، يقف شامخًا كأنه جبل حيّ، أو كأنه نخلة تتحرّك في الأفق تَعلو فوق الأرض، تحوّلت إلى إنسان

عَضلاته بارزة وقويّة، وكأن جسده قد صُنع من صُخور الجبال نفسها، كانت ملامح وجهه مَنحوتَة بدقّة، عيناه العَميقَتان تشعّان بالقوّة والصّمود...

كلما اقتربَ أكثر، أدركتُ مَدى ضَخامة رأسه، كان يلامس تقريبًا تِمثال ذلك الشيطان الضّخم، بينما كانت خطواته تهتزّ بها الأرض من تَحتِنا، حتى الشياطين التي كانت في فَوضى وصراع، توقّفت للحظة حين رأتْه يعبُر بينها وكأن حضوره وحدَه كان كافيًا لإسكاتها...

شَعرُه الطّويل كان يتطايَر خلفَه مع كلّ حركة، وكأنّ الرياح التي تُرافقه تخرج من عالم آخر، كان يَرتدي درعًا معدنيًا براقًا، مَحفورة عليه نُقوش قديمة لم أتمكّن من فهمها، لكنها كانت تحمل شعورًا بالهيبة والعظَمة وفي يده، كان يحمل سيفًا هائلًا يتناسب مع حجمه، بدا وكأنه مَصنوع من مادة غير أرضيّة، ينبعث منه وَهجٌ خافت....

بينما مرّ أمامي، لم أستطِع منع نفسي من التأمّل فيه، كان فيه شيء مُختلف عن البقيّة، لم يكن مجرّد قوّة جسديّة هائلة، بل كانت هناك طاقة هادئة تنبعِث منه، طاقة تعكِس حِكمتَه وقوّته الرّوحية...

همسَ ظافر بجانبي:

- هذا أحَد عمالقة إرم المفقودة، قيل إنه الوحيد الذي يستطيع مُواجهة أقوى الشياطين دون استِخدام تَعويذات أو طاقات أثيريّة، قوّته تكمُن في طَبيعتِه نفسها.

أومأت ببطء. لقد فهمتُ الآن لماذا كان هذا العِملاق رمزًا للخَوف والشجاعة في آن واحد. وجوده وحدَه كان كافيًا لتَغيير مَسار أي معركة يُشارك فيها....

رأيت الحُلفاء يتجمّعون حوله، وكأنهم يُدركون أن قوّته ستكون الدّرع الّتي ستَحميهم في هذه الفَوضى، في تلك اللحظة، أدركتُ أن هذا العملاق سيكون عنصرًا حاسمًا في خطّتنا، وأن وجوده سيجعل النصر أقرَب مما كنت أتصوّر...

وبينما كنّا نستعِد للانسحاب، ألقيتُ نظرة أخيرة على العِملاق وهو يتقدّم بثبات نحو الفوضى. كان كأنه تَجسيد للقوة الهادئة، يجمع بين الصّلابة والعزيمة التي لا تهتزّ في أعماق نفسي، شعرت بالراحة واليقين بأننا على وشك تَحقيق انتِصار لم يكُن للشّياطين أن يَتوقّعوه....

الفَصلُ الحادي عشَر

(إرم) (عوص)

بعد أن حرّرت تَعويذات السّجن واندلعَت الفوضى بين الشياطين، بدأ الحلفاء في الانسِحاب بسَلام بفَضل الله ثم بفضل الخطّة المُحكمة التي وضعناها، تمكّنوا من الهُروب دون أن يشعر بهم الشياطين المُتنازعون، كنت أراقبهم وهم يتفرّقون بهدوء، يَتبعون الإشارات التي وضعناها لهم بدقّة وعناية شديدة...

عندما تجمّع الحلفاء في مَكان آمن خارج نطاق الشياطين، توجّه أحد قادة الجن نحوهم، والذي كان أحد أكثر الشّخصيات تأثيرًا بينهم تقدّم نحوهم مبتسمًا، وجميع الحلفاء كانوا مُمتنّين له، يظنّون أنه هو من خطّط لهذا التّحرير الجَريء...

لكن القائد أوقفَهم بحَركَة من يده وقال بصوتٍ رَصين:

- لا تشكروني أيّها الحُلفاء، الفَضل لا يَعود لي بل اشكروا السيّد الأكحل، فهو من وضع الخطة وقاد العملية من الخفاء.

التفتَ الحلفاء نحوي، والاحترام واضح في عيونهم، تقدّموا بخطوات مَحسوبة، وكل منهم انحَنى قليلا تَعبيرًا عن امتِنانهم العَميق، العملاق كان بينهم، بارزًا بطوله الهائل، يَنحني بصُعوبة أمامي...

قالوا بصوتٍ واحد مليء بالامتِنان:

- شكرًا لك أيها الأكحَل.

ابتَسمتُ وأنا أرى تَماسكهم، لكن قبل أن أنطِق بشيء، سمعتُ العملاق يلفِظ اسمي بطريقة غريبة، قائلا بصوته العَميق:

- شكرًا لك يا مكحّل.

لم أستطِع منْع نفسي من الضّحك، فقد كان خَطؤه بريئًا ومُضحكًا في نفس الوقت، نظرتُ إليه وقلتُ له بابتِسامة واسعة:

- لقبي هو الأكحل، وليسَ مكحّل...

العِملاق، الذي بدا محرجًا قليلًا، حكّ رأسه الضّخم وقال بنَبرَة اعتذاريّة:

- آسف يا سيّد مُكحّل...

ضحكتُ بصوت عالٍ هذه المرّة، ولم أستطع كبْح الضّحكة حتى عندما التفتَ ظافر بجانبي وابتسم، ثم بدأ يضحك هو الآخر كانت لحظة طَريفَة في وسط كل هذه الفوضى، لحظة جعلت الجميع ينسى ولو للحظات التّوتر والقلق الذي عانوا منه...

مَددت يَدي للعِملاق وربّتُ على ذراعِه الضّخمة، وقلت:

- لا بأس، أيّها العملاق المهم أنّنا نجحنا، سواء كنت الأكحَل أو المُكحّل..!

ضحكَ الجميع حولنا، حتى القائد الذي كان عادة ما يكون أكثر جديّة في هذه اللحظات الخفيفة، شعرتُ بسلام داخلي نادر، علمت أن هذه اللحظة ستظلّ في ذاكرتي طويلا، ليسَت فقط بسبب النجاح، ولكن بسَبب هذا التّقدير الصادق الذي حَظيتُ به من الحلفاء، حتى من العِملاق الذي أخطَأ في اسمي...

فجأة، تنهّد العِملاق بعُمق، وبدأ ينظُر نحو الأفق كما لو كان يَحلُم، وقال بصوت هادئ لكنه مَليء بالفرَح:

- أخيرًا... سوف يُمكنني العودة إلى مَدينتي.

التفتُّ نحوَه وأنا أستشعِر ذلك الشّوق في صوته، وسألتُه:

- أين مَدينتك؟ بالمناسبة، لم تُخبرني باسمك بعد.

ابتسمَ العملاق وقد امتلأَت ملامحُه بالفرح لأنني سألتُه، وقال بفَخر:

- اسمي عوص... عوص يا سيّد مكحّل..!

ابتسمتُ مرّة أخرى لأنني كنت أتوقّع هذا الخطأ في لقبي مجددًا، لكنه بدا لطيفًا وغير مُتعمّد، فسألته بلُطف:

- حسنًا يا عوص، ما اسم مَدينتك؟

أضاءَ وجهُ عوص بالسّعادة وقال:

- سوف أُخبرك باسمها، لكن بشَرط واحد، أريد منك أن تُوافق على طلبي..

رفعتُ حاجبي بتَساؤل:

- وما هو طلبك يا عوص؟

نظرَ إليّ بنظرة مليئة بالحَماس والدّفء وقال:

- أدعوك لزيارة إرم، وسوف أُعد لك وليمةً كبيرة هناك سيَكون ذلك شرفًا لي...!

ابتَسمتُ وقلت ممازحًا:

- إذن، اسم مدينتك هو إرم؟

بدأ عوص يحكّ رأسه الضّخم بحَرَج وكأنه أدركَ أنه قد كشفَ السرّ قبل أوانه وقال:

- أوه... لقد فَضحتُ نفسي..!

ضحكت بصوتٍ مَسموع وقلت له:

- لا بأس يا عوص، سوف ألبّي دعوتك في الحقيقة، لطالما سمعت عن إرم في صِغري، وأريد اكتِشافها بنفسي...

لمعَت عينا عوص بسَعادة غامرة، وكأنه طفل تلقّى خبرًا سعيدًا، وصاح بحماسة:

- حقًا؟! هذا رائع! هيّا بنا، لا أستطيع الانتظار، سوف تكون وَليمةً عظيمة..!

نظرتُ إلى ظافر الذي كان يقِف بجانبي ويُشاركنا في تلك اللحظة، وابتسمت...

فكرة زيارة إرم كانت تَبدو مُثيرة، كنا قد حقّقنا الكثير هنا، ولكن هناك دائمًا مغامرات جديدة تنتظرنا، وأعترف أنني كنت متحمّسًا لاكتشاف ما تُخبّئه تلك المدينة الأسطورية، التي لطالما سمعتُ عنها في قصص الماضي...

تابعنا السّير، وكان عوص يَسير بخطواته الضّخمة، وأنا أضحَك في داخلي على الحَماس الذي لم أرَه في شخص آخر بهذا الحَجم، وكلّما تقدّمنا زادت حَماستُه وبدأ يتحدّث عن مدينته إرم وكأنه لم يترُكها يومًا قط، كنت أستمع إليه بينما يسرُد قصصًا عن شوارعها الواسعة، وقصورها المَنحوتة من الجبال، وعن شعبها، الذين وصفهم بأنهم "عمالقة جبّارون، لكن قلوب بعضهم لَطيفة كالنّسيم"..

قلتُ له بفُضول:

- لقد سَمعتُ الكثير عن إرم في قصص الأساطير، ولكن لا أحد يعرف مكانها بالضّبط. أين كانت تَختبئ طوال هذا الوقت؟

بَدأ حديثُه بتَنهيدة طويلة، وكأن عِبءَ الماضي الثّقيل يَجثمُ على صدرِه، ثم قال:

- إرم... تلك المدينة التي كانت يومًا ما ملجأً للحَضارة والجَمال... في البداية، كانت مَوجودة في جَبهة الجزيرة، لم نكن نبني بيوتنا من الطّين مثل باقي الأمم. لا، كنا نَنحِت من الجبال قصورًا شامخة، ننحتُها بأيدينا وكأنّنا كنا نَستلذّ بتَحويل الجبال الصّماء إلى منازل وقصور بَديعة في بعض الأحيان، كان النّحت مجرّد تَرفيه لنا، لم يكن بسبب الحاجة، بل لأننا كنا قادرين على ذلك فقط.

أصبحتُ أكثر فضولا لمعرفة المزيد عن تلك المدينة، فسألتُه بنَبرَة هادئة:

- وكيف انتَقلتُم من هناك إلى هنا...؟

ارتسمَت على وجه عوص نظرة عَميقَة مَملوءة بالحُزن، وكأنه يَستعد لسَرد مأساة شخصيّة تمسّ قلبه. أغمض عينَيه للحظة، وكأنه يُعيد تَرتيب أفكاره، ثم قال بصوت مُنخفض:

- البداية كانَت مع الملك الأكبر (عاد بن عوص) كان مُؤسّس إرم وأول من حَكمها، وسُمّينا باسمه، قوم عاد. عندما مات، ترك الحكم لولديه (شداد) و(شَديد) كانا مُتجبّرين، قاسيَين لم يكن أحد يستَطيع أن يُعارضهما، لأن أيّ مُعارضة كانت تعني الإعدام الفوري...

كان لصوت عوص وقعٌ خاص عندما ذكر تلك القسوة، وكأن صَدى السّنين يُعيد إحياء الألم الذي عاشَه أسلافُه أكمل قائلا:

- بعد فترة من الزّمن، مات (شديد)، وبقي (شداد) وحدَه يحكم، كان ملكًا بلا رحمة، وفي تلك الفترة تزوّج وأنجبَ ولدًا اسمه (مرثد بن شداد) لم يكن مرثد مثل أبيه، بل كان شابًا ذا قلب طيّب وفي ذلك الوقت، ظهر (نبيّ الله هود عليه السلام) وبدأ يَدعو الناس لعبادة الله الواحد الأحد وترك الكُفر، تأثّر مرثد بكلامه، ودخلَ الإيمان إلى قلبِه...

تَوقفَ للَحظة وأدركتُ أن هذه القصة كانت تحمل في طيّاتها أكثر مما كنت أتوقّع فقلت له:

- وكيف كان ردّ فعل شداد على إيمان ابنه..؟

ابتسمَ (عوص) ابتِسامة حزينة، وكأنه يتذكّر موقفًا مأساويًا آخر:

- شداد لم يكن رجلا يُرحّب بالضعف، أو كما كان يراه، التمرّد، عندما علم بإيمان مرثد، اشتعلَ غضبُه، شعر بأن نبيّ الله هود يشكّل تهديدًا على سُلطانه وحكمه، وبدلًا من أن يستمع إلى الدعوة الإلهية، قرر أن يتحدّى الله...

عند هذه النّقطة، شعرتُ بأن القصّة تتّجه إلى مُنعطف مُثير، فقلت:

- كيف يُمكن لرجل أن يتحدّى الله!!؟

أجابني عوص بجِديّة:

- شداد كان رجلًا متكبّرًا مَغرورًا للغاية، وفي أحد الأيام أرسل لنبيّ الله هود لكي يُقابله، ثمّ قال لنبيّ الله هود: "وما مُكافأتي إن آمنتُ بربّك..؟". فأجابه نبيّ الله هود: "جنّة عرضها السّماوات والأرض أُعدّت للمتّقين". وهنا، قال شدّاد باستِكبار: "سأصنع جنّة أفضل من جنّة ربك".

تحدّث عوص بنَبرَة مليئة بالتّعجّب:

- تخيل، معي أن رجلًا يقول إنّه سيَبني جنة أفضل من جنّة الله!

ثمّ أكمل بعدَها:

- شرعَ (شداد) في جَمع كل الأحجار الكريمة من كل أصقاع الأرض، وجلبَ أفضل النّحاتين والمُهندسين، واستمرّ بناء (جنة شداد) لمدّة خمسمائة عام، نحتَ الجبال وزرَع الأشجار، وحفرَ الأنهار والجَداول وملأها بالذّهب والأحجار

الكريمة، لقد كان مُقتنعًا بأنه سيَنجَح في بناء جنّة تفوقُ جنّة الله عزّ وجلّ (تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كَبيرا).

بدا على وَجه عوص بعض الارتِباك، وكأن النّتيجة المأساوية بدأت ترتسِم أمام عينيه. ثم قال:

- بعد خمسمائة سنَة من البناء، أصبحَت جنة شداد جاهزة. كانوا يسمّونها بي (إرم ذات العماد)، بسبب أعمِدتها الضّخمة التي كانت مُرتفعة، كان الملك شداد قد بلغَ من العمر سبعمائة سنة حينها، وقرّر أن يَزورَ مدينتَه المَزعومة في مَوكب ضَخم، يتبعه قومه، وكلهم كانوا مُتحمّسين لرؤية جنة شداد.

شعرتُ أن النّهاية قريبة، فسألتُه:

- وماذا حدثَ بعدَ ذلك؟

نظرَ (عوص) إلى السّماء وقال بصوتٍ هادئ:

- قبل أن يَصلَ المَوكب إلى إرم، أرسلَ الله ريحًا عاتية، كانت تعصِف بهم من كل اتّجاه. لا أحد توقّع ذلك، قوة الرّيح كانت رهيبة، حتى أنها اقتلعَت

الموكب من الأرض ودفنَتهم في الرمال، يُقال إن شداد رأى هلاك قومه أمام عينَيه، وحاول أن يَتوب في اللحظة الأخيرة، لكنه كان قد فات الأوان، قبضَ ملكُ الموت روحَه وهو يردّد بخَوف: "آمنت بربّ هود! آمنتُ بربّ هود!".

ثم أضاف بحُزن:

- يقال إن ابنَه مرثد بنى قبرًا لوالده (شداد)، ووضع فيه كلّ الأحجار الكريمة والذهب التي كانت ستُستخدم لبناء جنّته، أراد أن يُؤكّد للأجيال القادمة أن ثروات الدنيا لم تنفَع والده، ولم تحمِه من عذاب وقُدرة الله عزّ وجلّ...

بعد رحلةٍ شاقّة، وصلنا أخيرًا إلى مدخل مدينة الجبال المَنحوتة أو كما يسمّيها (عوص) بشَبيهة إرم، كان المشهد أمامي مهيبًا، لا شيء يمكن أن يصف عظمة تلك المدينة التي تسكُنها العمالقة فقط، الجبال الضّخمة التي بدَت من بعيد ككتَل صَخرية جامدَة تحوّلت إلى لوحات من الفن والهندسة؛ بيوت وقُصور مَنحوتة بدقّة في قلبِ الصّخور، وكأنها جزء من الطبيعة نفسها، الأعمِدة المرتفعة تمتد إلى السماء، والنوافذ الشاسعة تُطلّ على وادٍ سحيق مُمتلئ بالخُضرة والأنهار...

عوص نظرَ إليّ بابتسامة فَخر وقال:

- مرحبًا بك في إرم، يا سيّد مكحّل! أليسَت كما وصفتُها لك..؟

نظرتُ حولي مَذهولًا، قلت:

- لم أكن أتصوّر شيئًا بهذا الحَجم والعظمة بل إنه أفضَل ممّا وصَفت..!

بينما كنّا نَسير داخل المدينة، لاحظت أن العمالقة يَعيشون حياة مليئة بالبهجة في الساحات الواسعة، كان الأطفال العمالقة يركُضون حول تَماثيل حجريّة ضخمة، يلعبون بكرات مَنحوتة من الحجَر، وكأنهم يستمتعون بحياتهم بعيدًا عن ضغوط العالم الخارجي أما العمالقة البالغون، فكانوا مُنهمِكين في أسواقهم، يَتبادلون بضائعهم وأحاديثهم بصوت عالٍ يتردّد صَداه عبرَ الجبال..

فجأة، اقتربَ منا عِملاق آخر يلوّح بعصا ضَخمة وهو يضحك بصوت عالٍ، ضرب عوص على ظهره، ممّا جعل عوص يَتمايل قليلًا، قال العملاق بمزاح:

- أخيرًا عُدت يا عوص! ومن هذا الصغير الذي جلبتَه معك..؟

ضحكتُ وقلت:

- الصّغير؟ يبدو أنني سأظلّ صغيرًا بالنسبة لكم مهما بلغتُ من طول..!

العملاق ضحكَ ضحكة عميقة وصافحَني بيده العملاقة وقال:

- أنت في إرم، الجميع هنا ضَخم لكننا مَضاييف، لا تقلَق...

استمرّ الحديث بيني وبين العمالقة، وتناولت بعض الفاكهة الغريبة التي كانت بحَجم رأسي، بينما كان عوص يَقودني نحو أحد القصور المنحوتة عند دخولنا، كانت الأعمدة الحجريّة ترتفع عالياً فوقنا، والسقف المَنحوت برموز غامضة تعكس تاريخ العَمالقة الطويل كان هناك طاولة كانت مُمتدّة، وعليها كؤوس عملاقة من الذّهب، وأطباق مليئة بأطعِمة لم أرَ مثلها من قبل...

جلسَ العمالقة حول الطاولة الضّخمة، وبدأت الأحاديث تتحوّل من مَرِحة إلى أكثر غموضًا، أحد العمالقة الذي بدا كبيرا في السنّ الجالس بجواري، نظر إليّ بعينَيه العميقتَين، كانتا تتفحّصاني وكأنهما تبحثان عن شيء غير مرئي. قال بصوت هادئ لكنه مُثقَل بالمعرفة القديمة:

- أنت مُختلف أيّها الشاب، طابعك الروحي غريب... لا مَثيل له عادة، أستطيع أن أرى طبيعة كل فرد من خلال هالتِه، سواء كانت نارية، هوائية، ترابية، أو مائية لكنك... أنتَ مَزيج من كلّ شيء، وهذا شيء نادر جدًا.

رفعتُ حاجبيّ في دهشَة، وسألتُه:

- ما الذي يَعنيه ذلك؟

العملاق العجوز، بدأ يتحدّث بصوت عَميق:

- كل كائن حي، سواء كان إنسانًا أو عملاقًا أو حتى مخلوقًا من عوالم أخرى، يمتلك طابعًا روحانيًا يُشكّل جزءًا كبيرًا من هويّته، الطبائع الرّوحية الأربع تُشكّل الطريقة التي يتفاعل بها الفرد مع العالم من حوله، الطابع الناري يمثّل الشّغف، الطاقة، والاجتماعية، أما الطّابع الهوائي يمثل الذكاء، الحرَكة، والحرية، والطّابع

الترابيّ يمثّل الثبات، الصبر، والتّواصل مع الطبيعة أما الطابع المائي فهو يُمثّل العاطفة، الهدوء، والانسِجام..

نظرَ إليّ بعُمق وأضاف:

- لكن أن تكون لديك جَميع هذه الطبائع معًا... يعني أن روحك ليست مُحدّدة بقيدٍ واحد، لديك القدرة على التحوّل والتّكيّف مع أيّ موقف، وهذا يجعل قراءتك شِبه مُستَحيلة.

أحسَستُ بشَيء من الفُضول، وفي ذات الوقت ببعض التّوتر سألتُه بصوتٍ مُنخفِض:

- هل هذا يعني أنني مُختلف إلى هذا الحد؟ أم أن هناك شيء أعمَق يحدُث هنا؟ وهل هذه القدرة فريدة..؟

العملاق العجوز نظرَ إلى الأُفق وقال:

- نادرًا ما يظهر شَخص يَحمل جميع الطّبائع، لقد قرأتُ عن أمثالهم في كتب التاريخ، ويقال أنهم حسّاسون جدًّا ويحسّون بشعور الآخرين، ولكن الأمر لا يتعلّق بالقوّة فقط إنه يتعلّق بالانسِجام الداخلي، بقُدرة الفرد على فهم كل جانب من جوانب وُجوده وتَوازن روحه...

أخذتُّ نفسًا عميقًا، وقلت:

- إذن، هل هذا يَعني أنني أمرّ بشُعور جميع الطبائع؟

هزّ العملاق العَجوز رأسَه بحذَر وقال:

- الأمر ليسَ بهذه السّهولة، الروح المُعقّدة مثل روحك تحتاج إلى تَدريب طويل وصَبرٍ عظيم. يمكن أن تكون هذه القوة نِعمة أو نِقمة، بناءً على كيفيّة استخدامها..

في تلك اللحظة، تذكّرت الكتب التي قرأتها والتي تحدّثت عن الطّبائع الروحية، لكنها لم تكن مُتعمّقة فيها بهذا الشّكل شعرتُ ببعض بالحيرة والفضول في آن واحد، قلتُ له:

- هل يُمكنني تعلّم كيفية التحكّم في هذه الطّبائع..؟

ابتسمَ العجوز وقال:

- أنت بالفِعل في طَريقِك للتعلّم، لكن هذا المَسار مَليء بالتّحديات، لا يُمكنك الاعتماد على الكتب فقط، عليك أن تَستكشِف روحك بنفسِك.

ثم أضافَ وهو ينظُر نحو السّماء:

- الجبال هنا قد تكون مكانًا جيدًا للبدء، يقال إنّ هناك مقابر قديمة مَنسيّة في هذه المدينة، تحتوي على أسرار الطّبائع الأربع إذا كنت جادًا في تعلم المزيد، ربما يُمكنك زيارتها لكن كن حذرًا، كل طابع يَحمِل دروسَه واختِباراته...

نظرتُ إلى عوص الذي كان يستمِع بفضول ولكنه كان مشغولًا بتَناول الطعام، فابتسمت وقلت للعِملاق العجوز:

- سأقبل هذا التّحدّي أين أجد هذه المَقابر؟

ردّ العجوز بابتسامة غامضة:

- ستجِدها عندما تكون جاهزًا فقط اتبَع حدسَك، وستقودك روحك إلى هناك..

بعد انتهاء حَديثي مع العِملاق العَجوز شعر (عوص) بنُعاس، فقام وقادني إلى منزله الذي كان محفورًا بعناية في إحدى الجبال الضّخمة، المنزل بدا وكأنه قطعة فنيّة مَنحوتَة من الحجَر نفسه، مع تفاصيل معماريّة تعكس حِرَفيّة مُذهلة، كلّ شيء داخل المنزل كان مصنوعًا من الحجَر، حتى الأثاث بدا كأنه نَحتٌ من

الجبال نفسها، السّرير كان قطعة فريدة، مَنحوت بعناية فائقة، غُطّي جزء منه بطبقات رقيقة من الجِلد لتُضفي عليه راحة غير متوقّعة بالنّسبة لسرير حَجري....

عوص، بابتِسامة عريضة على وجهه، قال:

- هذا منزلي المُتواضع، سيّد مكحل! اجعل نفسَك مرتاحًا..

ضحكتُ وقلت:

- أعلم أنّني أخبرتُك من قبل، لكن اسمي الأكحَل..

ردّ وهو يهزّ رأسَه:

- أعرِف، لكن مكحّل أصبح الاسم الذي يُناسبك في هذه المَدينة..!

جهّز عوص لي مكانًا للنوم، قائلا:

- ارتَح الآن، يا سيّد الأكحل. غدًا لدينا يوم طويل، سنَستكشِف الجبل ونبحث عن الأسرار التي تُخفيها هذه الأرض..

شعرتُ بالتّعب يتسلّل إلى جسدي بعد يوم طويل من المغامرات، فتوجّهت إلى السّرير الحجري، بينما استلقيتُ عليه، شعرتُ بصلابتِه، لكنه كان مريحًا بوَجهٍ غير مُتوقّع. أغمضتُ عيني ببطء، وانزلقتُ إلى النّوم بسُرعة...

لكن نومي لم يكن هادئًا كما توقّعت. فجأة، وجدت نفسي في حُلم غَريب...

كنتُ جالسًا على الأرض في مكان مُظلم وغامض، نظرت حولي ولم أرى شيئًا واضحًا، لكن فجأة التفتُ خلفي لأرى مخلوقًا غريبًا يقف أمامي، كان له رأس ماعز وجسَد إنسان، عيونه الحمراء تتلألأ في الظلام قال بصوت مُنخفض ومغرٍ:

- انضمّ إلينا، أيها الأكحل، وسأُعطيك كل ما ترغَب فيه... شهرة، مال، وسلطة بلا حدود..

شعرتُ بالغضَب يتصاعَد في داخلي. تقدمت نحو الكيان المظلم، ولم أشعر بأي خوف، قبضتُ بيَدي على رقبتِه، وبدأت أخنُقه بقوّة وبدأت أردّد المعوّذات...

كانت كلماتي تقطَع الهواء وتَزيد من قوته، بينما كان المَخلوق يَختنِق بين يدي شعرت بنفسي مُسيطرًا على الوضع، ولكن في تلك اللحظة استَيقظتُ فجأةً من الحلم....

قلبي كان ينبض بسرعة، ووجدت نفسي ألهَث، شعرتُ بعطشٍ شَديد، فقررت الخروج من منزل عوص الحجريّ لأشربَ من النهر القريب، كان الليل هادئًا، والجوّ باردًا، تقدّمت نحو النهر وبدأت أشرب من مِياهِه الباردة والمُنعِشة...

بينما كنت أنحَني للشرب، لاحظتُ انعكاس الماء. للحظة، رأيت صورة الكيان الذي رأيتُه في حلمي، يقف خلفي. التفتّ بسرعة، لكن لم يكن هناك شيء رفعت يَدي إلى وجهي وقلت:

- أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم... يبدو أنني لم أنَل كِفايتي من النّوم.

عُدت للشّرب، محاولًا تجاهل ما حدَث، لكن فجأةً لاحظت انعِكاس ثلاثة أشخاص يَكسوهم رداء أسود بالكامل، التفتُّ سريعًا لأجدهم أمامي، كانوا يقِفون في صمت، وملامح وجوههم مَخفية تحت أغطيتهم السوداء وقبل أن أتمكّن من فعل أي شيء، تقدّم أحدهم ووضع يَديه على عَيني وفمي

وفي تلك اللحظة، شعرتُ. بدوار شديد وبدأ العالم يدور من حولي ثم، لم أشعر بشيء انغمَستُ في ظلامٍ دامس وقبل أن يُغمى عليّ سمعتُ أحدهم يقول:

- (أهلا بمطلوب قاف الأول)...

الفَصلُ الثّاني عشَر

(الأعوان)(حِزبُ الشّيطان)

فتحتُ عينيّ ببطء لأجدَ نفسي محمولاً على كتف أحدهم، المكان كان غريبًا، ضبابيًّا، حين نظرت حولي، أدركتُ أنني على شاطئ بحرٍ يمتد بلا نهاية أمامي، لكن ما لفتَ انتباهي كان جبلٌ أسوَد ارتفَع من الجانب الآخر، مَنحوت من صخوره قصرٌ مُظلم ضخم كانت جدرانه مُشقّقة

قبل أن أفكر في ما يحدث، شعرت بثقل في رأسي مجددا وأُغميَ عليّ مرّة أخرى...

عندما فتحتُ عيني مجددًا، وجدت نفسي مُعلّقًا من يدي وقدمي بسلاسل ثقيلة، شعرت ببرودة الحَديد وهي تضغط على جلدي وجسدي بالكامل كان المكان الذي أُعلّق فيه غريبا، كانت صالة ضخمَة مُظلمة دامسة، مصدر نورها الوحيد شُموع كانت مَصفوفة بوَجهٍ دائري حول المكان، ممّا جعلَني أشعر وكأنني مُحاط بشيء خفيّ...

غَمغمتُ لنَفسي بمَرارة وقلت:

- تَخلّصتُ من (المتنوّرين)، وها أنا ذا بين (الأعوان)...

كان أحدُ الشياطين قريبًا بما يكفي ليسمع همساتي، اقترب مني بابتسامة ساخرة ترتسم على وجهه المظلم وقال بنَبرَة مليئة بالتّهكّم:

- المُتنوّرون؟! أتقصِد خدّامنا المُطيعين، لم أكن أعلم أنك كنت محبوسًا عندهم فعلا، إنهم مجموعة من الحَمقى وعَديمي الفائدة، كونك استطعتَ الهرَب منهم.

نظرت إليه بهدوء، تلك النّبرَة الاستِفزازيّة التي حاول استخدامها لتَقليل من شأن ما مررت به، لم تكُن ذات تأثير عليّ قلت له بنَبرَة جامدة:

- ما الّذي تُريدونَه منّي ولماذا تحبِسونَني هنا ولم تقتلوني بعد؟!

اقتربَ مني بخُطوات بطيئة، ونظره مركز عليّ بنظرة حادة ومليئة بالخِداع وقال:

- سوف نُعطيك ما لا يَستَطيع أحد غيرنا إعطاءه، القوة، المال، السُّلطة، كل شيء تُريده سيكون بين يَديك...

ابتسمتُ بسُخرية وقلت له:

- وكيف سوف تَفعلون ذلك..؟

عندها، التفتَ الشّيطان إلى إحدى الطاولات التي كانت مصفوفة على جانبي الغرفة، صفّ طويل من الأقنعة، كل منها كان يمثّل شخصية معروفة مختلفة، كأنها أرواح معلّقة تنتظر من يتحكّم بها، اقترب من أحد الأقنعة ببطء، ثم أدار رأسه ناحيتي وقال:

- هذه الأقنِعة، هي مفتاح سيطرتنا كلّ قناع هنا هو جسَد جديد لنا، كل وجه هو وسيلة لنا للعبور إلى عالمكم والسيطرة عليه.

بعدَها وقف أمام مِرآة، وأمسك بواحد من تلك الأقنِعة، ووَضعَه على وجهه، وشيئا فشيئًا، بدأ يتشكّل وجهه، وتحوّل تدريجيًّا ليُشبه صاحب القناع، لكن كان هناك شيء غريب، جسده بدأ يتغيّر ببطء، حيث أن باقي أعضائه تغيّرت لتُصبح بشريّة بالكامل...

أصبح نُسخَة مُطابقة لشخصية أجنبيّة لديها نفوذ، نظر إليّ مجددًا وقال بصوت ذلك الشّخص:

- ها أنا ذا، أملك القوة والسّلطة التي تُمكّنني من إعطائك كلّ ما تريد...

ابتسمتُ بسُخرية وقلت له:

- أنت لا تفهم، المال والسّلطة لا تعني لي شيئًا إن فقدت نفسي في المُقابل...

نزعَ الشيطانُ القناع عن وجهِه ببطء، ليعود إلى هيئته الأصلية، ثم اقترب مني بخطوات بطيئة وكأن كل حركة يقوم بها كانت مُصمّمة لإخافتي عندما وقف أمامي تمامًا، قال بصوت خافت لكنه مُشبَع بالتّحدي:

- أنت تتحدّث وكأنك تمتلِك القوة لتُقاوم إلى الأبد، لكننا نعلم كيف نكسِر حتى أعند الأرواح أمثالك.

نظرتُ في عينَيه بثَبات وقلت له:

- لقد رأيت كثيرًا من الأهوال، ولا شيء مما تفعلونه يمكن أن يُخيفني. لدي إيمان لا ينكسر، وهذا ما لن تفهموه أبدًا.

ضحك الشيطان ضحكة قصيرة ومُستهزئَة وقال:

- الإيمان؟ الإيمان هو السّلاح الأخير للبشر عندما يتعرّضون للانهيار، لكن حتى الإيمان يمكن تَحطيمه، ونحن بارِعون في ذلك وسترى...

ثم، فجأة، سَمعتُ صوت خطوات صغيرة، نظرت جانبًا ورأيت طفلة بلا شعر، إلا من ضَفيرتين على جانبي رأسها، تسير نحوي، عيناها كانتا فارغتَين، أمسكَت بأحد أظافري وبدأت في نَزعِه ببطء. الألم كان غير طبيعي، وكان يزداد مع كلّ حركة باردة تقوم بها...

ضحكاته بدأت تتَعالى، وكأنه يجِد مُتعتَه في كل صرخة وتَعبير ألم كان يظهر عليّ، حاولت أن أتمالك نفسي وقلت:

- كل تلك الأقنِعة... هي محاولاتكم اليائسة لتَلبسوا وجوه البشر، لأنكم لا تستطيعون السّيطرة عليهم بقوّتكم، فقط تحتاجون إلى وجوه وأسماء، لأن حقيقتكم أضعَف ممّا تبدون عليه.

توقّف الشيطان عن الضّحك ونظر لي مليًّا وكأن كلامي أيقظَ فيه شيئًا من الغضب المَكبوت. قال بهدوء مظلم:

- لقد فهمت شيئًا صحيحًا، لكنك لا تزال لا تعرف كلّ شيء سنتأكّد من أنك تفهم تمامًا بعد قليل...

أغمضتُ عيني للحظة، وابتسمت ثم قلت بصوتٍ

مليء بالإصرار:

- أنا الأكحلُ، من علمِ المجدِ ارتويتُ

وأنتم حُثالةٌ في مُستنقعِ الخياناتِ

ما تجرؤونَ على مواجهتي وجهًا لوجهٍ

فأنتم أنجاسُ الخيباتِ

أعوانُ الشيطانِ، ماذا بقيَ منكم؟

غيرَ الرّمادِ والخوفِ تحتَ الراياتِ

كلُّ مؤامراتكم تسقطُ أمامي هباءً

وأنا الفخرُ، سيدُ المواقفِ والانتصاراتِ...

في تلك اللحظة، سمعتُ ضحكة خافتة، كانت الطفلة الشيطانية ذات الضفيرتين تضحك بخُبث وهي تقترب، وقالت بنبرة طفوليّة مليئة بالسّخرية:

- يا له من مَشهد مُمتع! شجاع وشاعر في الوقت ذاته لكن لا تقلق، نحن فقط نحب اللعب مع الأقوياء مثلك نحب أن نراهم يَتحطّمون ببُطء.

نظرتُ إليها وقلت بابتِسامة ساخرَة:

- وأنتم حشراتٌ في مستنقعِ الخياناتِ

تصرخونَ كالنملِ في جُحورِ الظلماتِ

أعوانُ شيطانٍ، صارت خطاكمُ عثراتِ

فما بقيَ منكم سوى رمادٍ وخيباتِ تُحاكِونَ المؤامراتِ بخفّةٍ وسباتِ

وأنا الفخرُ، سيدُ المواقفِ والثباتِ

الشّيطان توقّف للحظة مدهوشًا من جُرأتي، نظراتي كانت ثابتة، وداخلي مليء بالإصرار، كنت أعلم أنهم يُحاولون كسر روحي، لكنهم لم يعرفوا أنّني لن أستسلم لهم أبدا...

صمتَ الشياطين للحظة، ثم قال:

- أنت إما شجاع... أو أحمَق، لكن شجاعتك هذه لن تدوم طويلا، الأكحل سنرى إلى متى ستَصمُد...

نظرتُ إليه بحدّة وقلت:

- الشّجاعة ليسَت مجرّد مُواجهة، إنها إدراك للحقيقة وعدم السّماح للخوف بالسّيطرة.

ابتسمَ ابتِسامة مائلة وقال:

- الحقيقة؟ الحقيقة كما تعرفها هي وَهمٌ من صُنعنا، نحن من نزرَع الحقائق التي تُريدون تصديقها، الحروب، الأزمات الاقتصادية، كلها من صُنعنا نحن نغذّيها ونرسلها لكم...

نظرتُ إليه باستغراب مُصطنع وقلت:

- أنت تقول إنكم تتحكّمون بكل شيء؟ حتى عقول البشَر؟

أومأ برأسه بثِقة وقال:

- نحن نتحكّم بهم منذ زمن بعيد، الحكومة العالمية التي لا تراها؟ إنها موجودة لأننا نرغب في ذلك، النّظام الاقتصادي الذي يجعلكم عبيدًا للمال؟ نحن من بنَيناه حجرًا فوق حجَر...

قاطعتُ حديثَه بنبرَة استِهزاء:

- إذن أنتم فَخورون بما فعلتم؟ خلقتم عالمًا من الخوف والضّياع لتُسيطروا عليه؟

ضحك الشيطان ضحكةً مُنخفضة وقال:

- أنت لا تفهَم، يا أكحل نحن لا نخلُق الفَوضى من العدَم، بل نعمل لهدف أعمَق ونفعل ذلك باستِغلال ما هو موجود في أعماق النفس البشرية، الطّمع، الحسَد، الشّهوَة... هذه هي الأدوات التي نَستَخدمها نحن ببساطة نمنَحها الوسيلة لتكبر وتتغذّى..

تقدّمت الطفلة الشيطانية وقالت بلَهجة ماكرَة:

- نحن مثل المرايا، نعكِس ما في نفوس البشر، والطريقة التي ننعكس بها تعتمِد على ما يملأ قلوبهم كلّما ازدادَ ظلامُها، تمكّنا منهم أكثر.

نظرتُ إليها ثمّ إلى الشّيطان وقلت ببرود:

- ولكنني لا أرى سوى عقول صغيرة تستغلّ ضعف بعض البشر، أنتم لا تُسيطرون على شيء، بل تعتمِدون على هشاشة نفوس الآخرين لا أكثر وإذا استَيقظَوا سوف يُصبح عملكم هَباءً...

عندها، توقّفت الطّفلة الشّيطانية وضحكت بخُبث، وقالت:

- إنك تسخر منا، ولكنك لن تسخَر طويلا؛ قريبا ستُدرك أننا نعرف أكثر ممّا تتصوّر.

سخرتُ منهما وقلت:

- إذا كنتم بهذه القوّة، فلماذا تحتاجون إلى إغرائي بعُروضكم الفارغة؟

هزّ الشيطان رأسَه وقال:

- لأنك، أيها الأكحل، لست مثل البشر الآخرين، أنت تمتلك شيئًا نحن نُريده، شيئًا نادرًا لا نجده في كل جيل لهذا نحن هنا، نعرض عليك فرصة لا تأتي مرتين..

ابتسمتُ بسُخرية وقلت:

- فُرصة؟ فرصة للانضمام إلى حفنةٍ من الشياطين التي تعيش على الحِقد والظلام؟ لا شكرا...

ثمّ أشار إلى الطفلة الصغيرة الّتي أمسكت بين يديها أداة معدنيّة غريبة الشّكل اقتربَت مني دون أن تنظر إلي مباشرة وكأنها مُعتادة على هذا الرّوتين، توقّفت أمامي وبدأت بتَقطيع معصم يَدي اليمين ثم بدأت في اليسار ببطء مؤلم، تماما كما كانت تفعل من قبل...

رغم الألم الحاد، لم أُظهِر أيّ ضعف، عَيناي كانتا تُركزان على الشياطين، أراقبهم وفهمت أن هذا كلّه جزء من لعبتهم، كان التّحدي بيننا ليس جسديًا فقط، بل روحيًا ونفسيًّا في نفس الوقت، كانوا يُريدونني أن أستسلم، أن أصرخ، أن أطلب الرحمة لكنني كنت أعلم أن هذا ما يُريدونه...

أحد الشياطين اقترب مني، وجهُه مليء بالغضب، وقال بصوتٍ خافت لكنه مُخيف:

- سوف نُمزّقك إرْبًا إرْبًا، حتى تُصبح لا شيء، لكن قبل ذلك... ستَتوسّل لنا وتطلب الرحمة...

لم أعُد أميّز بين الحلم والواقع. الألم كان يعصِف بي، يَنساب في عروقي وكأنه نار مُستعرة. لم أعد قادرًا على المقاومة، وتلاشَت قوتي، ليغمرني الظلام مرّة أخرى وأغيب عن الوَعي...

مَكثتُ أسبوعًا كاملا في هذا الجَحيم، يَتفنّنون في تَعذيبي كل يوم بأساليب أكثر قسوَة، جسدي كان يئنّ من الألم، لكنني كنت مُصممًا على ألا أستسلم لهم طوال تلك الفترة، كانوا يتبادلون الأحاديث بصوت مسموع، ظنًّا منهم أنني في حال من الضّعف لا تُمكنني من فهم ما يقولون لكنني كنت أستمِع لهم جيدًا، وأبدأ بتَفكيك خِططهم في عقلي..

في أحد الأيام، دخل ثلاثة من الشياطين إلى الغرفة وكانوا يتحدّثون عن مُؤامرة كُبرى..

قال الأول بحَماسَة:

- يجب أن نُرسل المَزيد من الأطفال إلى قارة البشَر.

بهذه الطريقة، سيَستَطيع البوهيميون استخدامهم كأضاحٍ والتقرّب من ملكنا بوَجهٍ أكبر.

ردّ الثاني بجديّة:

- صَحيح، ولكن علينا أيضًا إرسال الرّماديّين. فهم الحلقة الموصلة بيننا وبين الجدار الجليدي. سيَضمنون أن مخططاتنا تَسير بسَلاسة.

قال الأوّل بقلَق:

- ماذا إذا عاد الأكحَل إلى قارة البشر واستطاع التّواصل مع النورانيّين الآخرين، ستَتعاظم قوّته بوَجهٍ لا يُصدّق، يجِب عليه ألا يعود أبدًا!

ردّ الثاني بتَفكير عَميق:

- لا نُنكر أنه الأكثر قوّة وتميزًا بينهم، لكن تخيّلوا لو اجتَمعوا تحت راية واحدة. سيكون ذلك تهديدًا حقيقيًا لنا، وسنُواجه خطرًا لم نكن نتوقّعه.

أضاف الثّالث بنَبرَة حادّة:

- بدأت أفكّر بجدّية، يجب أن نتخلّص منه قبل أن يُصبح خطرًا علينا، ضمّه إلى صفوفنا سوف يُشكّل خطرا أكثر من أن يُفيدنا، بل قد يقلِب الموازين ضدّنا.

قال الأول بحَزْم:

- أضِف إلى ذلك، إذا تمكّن الأكحل من نَقل عُلومه إلى البشر، سيبدأ بتَصحيح مَفاهيمهم وتعليمهم. وهذا بحد ذاته سيكون شيئًا سيئًا بالنسبة لنا.

ردّ الثاني بقلَق:

- بالضّبط! إذا بدأ البشَر في فَهم القُوى الحقيقية للعالم من حولهم، فقد ينقلبون ضدّنا. سيفتح لهم آفاقًا جديدة وسيرفع من وَعيهم، وهذا يعني أننا سنفقِد السّيطرة.

في تلك اللّحظة، وأنا أستمِع إلى خططهم الشيطانية، شعرتُ بشعور غريب يتسلّل إلى عقلي. كانت أفكارهم تتناقل بين كلماتهم وكأنها خيوط تُشكّل شبكة من الشر، لكنني أدركت أنه لا يُمكنني السّماح لهم بالاستمرار في ذلك دون أن أتّخذ خطوة، فكرت للحظة أنني انتهيت، لكن فجأة، فكرة خاطفة مرّت في ذهني: "السّبعة أصحاب اللّحى الزّرقاء..!".

استَجمعتُ قوّتي الذهنيّة، وبدأت أركّز على التواصل الأثيري معهم، لقد تدرّبت على ذلك من قبل، وعلمت أن التّخاطر يتطلّب تركيزًا شديدًا أغمضتُ عيني، وتركتُ عقلي ينفتح على المَدى الأثيري...

* في داخلي قلت:

* "يا أصحاب اللّحى الزّرقاء... أحتاجكم الآن، في أسرع وقت. أتمنى أن تَشعروا بمكاني وتُدركوا ما أنا فيه".

لم تمضِ لحظات حتى أحسَستُ بارتباطٍ أثيري يتكوّن، شعرت بأن شيئًا ما قد تغيّر، وكأنني أصبحت متصلًا مباشرة بأحدهم، كان صوته يأتي واضحًا في عقلي: "لقد شعرنا بك أيّها الأكحل. نحن قادمون، لكن عليك الصّمود قليلاً".

فجأة، وأنا أتخاطَر مع أصحاب اللّحى الزّرقاء، شعرتُ بيَد ثقيلة تُمسك برأسي. فتحت عيني بسرعة لأرى أحد الشياطين يقترب من وجهي، ينظر في عيني بتَمعّن، وكأنما يبحث عن شيء عميق في أعماقي.

قال بصوتٍ خافت لكنّه مَليء بالتّحدي:

- ما الذي كنت تُحاول فعله، أيها الشّجاع؟

رَددتُ باستِنكار:

- أحاول فعل ماذا؟

تجمّدت للحظة، وشعرتُ بقلبي ينبض بشدة. كان واضحًا أنني قد كُشِفت، وأن تَخاطري مع أصحاب اللّحى الزّرقاء لم يمرّ دون أن يُلاحظَه أحد.

قال الشّيطان بنَبرَة تهكّميّة:

- لا تظُن أننا أغبياء، كنا نُراقبك طوال الوقت نحن نعرف أنك تُحاول استِدعاء حلفائك، لكن لا تظنّ أنك تستطيع الهروب منا، أنتم البشر مجرّد ضعفاء، وطموحاتكم تتجاوَز قدراتكم....

ابتَسمتُ رغم الألم الذي ما زال ينهَش جسدي وقلت:

- ضعفاء؟ أنتم الشياطين دائمًا تُحاولون استِغلال ضعف البشر، لكنّكم في الحقيقة تخافون منا، تعرفون أننا قادرون على تَجاوز مَكركم وخُبثكم..

نظرَ إليّ الشيطان بعينَين تملؤهما الحِقد وقال:

- نحن نَخاف؟ أنت لا تعرف شيئًا يا أكحل، نحن نتحكّم في الأمور منذ زمن طويل، ألم تسمَع عن الحضارات التي بُنيَت على دماء البشر؟ ألم تسمع عن الممالك التي سقطت لأننا أردنا ذلك...؟

ضحكت ساخرًا وقلت:

- أعرف أكثر مما تظنّون، كنتم دائمًا خلف الكواليس، تُفسِدون وتُحرّكون الأمور من الظلام لكن في النهاية، أنتم مجرّد دُمى في لعبة سيّدكم ولا تستطيعون مواجهة من يُؤمن حقًا، ومن يمتلك النور الذي لا تستَطيعون إخمادَه مهما حاولتم..

ابتسمَ الشيطان بخُبث وقال:

- إيمانك هذا لن يُنقِذك من مصيرك هنا، نحن الشّياطين نعيش لأجل هذه اللحظة، كل شيء خطّطنا له منذ قُرون، وسقوطك سيكون أحد أعظم انتِصاراتنا...

قرّرت أن أهزّ ثقتَه بنَفسِه وأستَفزّه، نظرتُ إلى الشيطان أمامي، وابتسامة سخرية تزيّن شَفتي:

- ها أنت، أيها المَخلوق الحَقير، تظن أنك تستطيع إخافتي؟ أنت مجرد حشَرة تعيش في الظلام، تتغذّى على آلام الآخرين. قوّتك وهميّة، وكل ما تفعله هو تكرار فشل تاريخك.

اقتربَ مني بخطوات بطيئة وعيناه تفيضان بالغضَب، لكنني لم أتوقّف:

- أنت تُمثّل كل ما هو قَبيح وبائس في هذا العالم، لا تملك من القوة شيئًا، بل أنت كائن مُستعبَد من قبل سيّدك، تعتقد أنك ستُحطم عزيمتي، لكنك ستكتشف أنني هنا لأحطّمك.

تجمّدت ملامحهم، فأكملتُ بلا رحمة:

- أنتم تعيشون في كهوف الجَهل والخِزي، تعتقدون أنكم سادة العالم، لكنكم في الحقيقة لا تُساوون شيئًا، كل كلمة تنطقون بها هي مجرّد صَدى لضَعفكم، وكل تَهديد تُطلقونه ليس سوى نُباح لكلبٍ جائع مَسعور..

بصوتٍ حاد، أضَفت:

- ستَبقون هنا، تَتجرّعون عذاب الفشَل بينما أواصل شقّ طريقي نحو القمّة، أنتم مجرّد ظلال ستُمحى عن الوجود، وأنا النّجم الذي سيَتلألأ في سماء المَجد.
ستعرفون قريبًا معنى الذلّ عندما أكون أنا المُنتصِر....

الذي اقتربَ مني قال بقلَق:

- لا تنظر لي بعينك هذه التي تُشبه عين الذّئب!

أجبتُه بصوت عالٍ وأنا مُستغرب لماذا وَصف عيني بذلك:

- لماذا تخاف من نظرتي؟ لأنني أرى ما أنتم عليه حقًا؟ أرى جبنكم وضعفكم، وأنتم تحاولون التظاهُر بالقوة أمامي!

تقدّم أحدهم خطوة للأمام، وقال مهددًا:

- سنُمزّقك إرْبًا، وستَدفع ثمن كلامك.

ابتَسمتُ بسُخرية:

- تظنّون أنكم قادرون على تَهديدي؟ أنتم مثل الفئران المُختبئة في جُحوركم، تخافون من أيّ ضوء، لن تكونوا سوى ذكرى مَهينَة..

صرخَ أحد الشياطين بنَبرَة يائسة:

- سنَرميك في الجَحيم..!

أجبتُ بلا تردّد:

- الجَحيم هو المكان الذي تنتَمون إليه، وليس أنا. بينما أستمر في المُضيّ قُدما نحو النصر، ستظلّون مُحاصرين في مُستنقَع عذاباتكم، تُشاهدون فشلَكم عن كثَب..

حينها، انطلقَ الشيطان نحوي بحَركَة مُفاجئة، وفي عينَيه شَرارة حِقد لم أرَ مثلها:

- لقد أطلتَ حديثَك أيها الوقح!

صرخَ وهو يسحَب ساطورًا ضخمًا من خصرِه، رفعه عاليًا نحو رقبتي مستعدا لإنهاء حياتي في لحظةٍ واحدة. كانت عيناه تشعّ بتلك النّية السوداء، وكأنه كان

ينتظر هذه اللحظة منذ وقتٍ طويل. كنت أشعر بكل تفصيلٍ من حولي، الزمن بدا وكأنه يَتباطأ. تلك اللحظة كانت فاصلة بين الحياة والموت.

ولكن فَجأة، قبل أن ينزل الساطور عليّ، دوّى صوت صرخة مُرعبة من خارج الغرفة، كأنها جاءت من أعماق الأرض، توقّفت حركة الشيطان، وتجمّد الساطور في الهواء للحظات...

- إنذار! إنذار!.

صرخ أحد المخلوقات الذي دخل مُسرعا إلى الغرفة، كان فأرًا صغير الحَجم، بعين واحدة كبيرة، وجهُه مليء بالرّعب والارتِباك، وقف مَلهوفًا وهو يلهَث، وكأنه شاهد شيئًا لم يَتخيّله يومًا...

الشّيطان الذي كان على وشك قتلي رفع رأسه بغضَب، وعيناه تشتعِلان وقال:

- ما الذي تفعله هنا أيّها الحَقير!؟!

امتلأت عيون الفأر بالذُّعر وهو يرتجِف قليلا تحت ضَغط السؤال قال وهو يتنفّس بسرعة:

- في الخارج... هناك... شيء لم تَشهَده قاف من قبل، بل، لم يَشهَده العالم بأسره!

أصبحَ الشيطان أكثر توترا، وانحنى قليلا نحو الفأر بعيون مليئة بالتّساؤل والغضَب:

- ماذا تقصِد؟! تكلّم فورا..!

الفأر رفع رأسه ببُطء، وكلماته خرجت وكأنه لا يُصدّق ما يقول:

- إنه... تَحالف كبير... أكبر من أي شيء رأيناه. جيش من العمالقة وعلماء آمون راع والرّماديين والشّعراء، كلهم في الخارج أمام القصر... تقودهم مملكة صقيع، ولكن... الأكثر رعبًا... الذي يَتقدّمهم!!!

توقّف للحظة، والشّيطان يَزداد غضبًا:

- ماذا؟ من..!؟

الفأر تلعثَم ثم صرَخ:

- آصف! مَطلوب قاف الأول السابق... الذي لم تتمكّنوا من القبض عليه! إنه يقودهم جميعًا هنا والآن..!

تبدّلت ملامح الشّيطان في لحظة، من الغضب المُتوحّش إلى الصّدمة المطلقة. تراجع بخطوة إلى الخلف، والساطور لا يزال مرتفعًا في يده، لكنه لم يعد يَمتلك تلك الثّقة التي كانت تملأ عينَيه قبل ثوانٍ...

- آصف!!

همسَ الشيطان، وكأن الاسم جلبَ معه ذكرى قديمة من الخَوف والتردّد..

تابع الفأر:

- لقد اجتَمعوا جميعًا، وتحالفهم في الخارج... إنها قوة لا يمكن أن نواجهها وحدنا... لا مجال للهروب منهم هذه المرة!

الشّيطان الثاني، الذي كان في زاوية الغرفة، اقترب ببطء، ملامحه تحمل توترًا واضحًا وقال:

- هذا مُستحيل... لقد كان آصف مُختفيًا منذ خمسين

سنة ما الذي جعله يعود الآن..!؟

نظرتُ إلى الشياطين وهم يَتبادلون النظرات المليئة بالارتِباك والخوف، وعندها فقط، أدركت أن الزمن بدأ يتغيّر، وأن الشياطين التي ظننتُ أنني سوف ألقى حَتفي على أيديهم بدأت تذوقُ طَعم الخوف الذي زرعَته في الآخرين لقرون، الابتِسامة عادت إلى وجهي، ولكن هذه المرة لم تكن ابتسامة السّخرية، بل كانت ابتسامة الثّقة المُطلقة..

قلتُ ببرود:

- وما النّور إلا سِلاح الصّادقين، وما الحقّ إلا سَيفي الذي لا ينكسِر، سأكون كالطّوفان يجرِف كل باطل، وكالنار تلتهِم شرّكم، كل كيدٍ تَحيكونَه سيتحوّل إلى قيود تلتف حول أعناقكم، وكل ظنٍ بأنكم الأقوى سيَتبدّد مع أول وهجٍ من سُطوعي، هذه ليسَت معركة بيننا فقط، بل بين الحق والباطل، واعلموا أنني لن أتراجَع حتى تَزولوا كما يزول السّراب في وهج الشّمس....

التفتَ إليّ الشيطان الذي كان لا يزال يحمل الساطور، لكنه لم يكن نفس الكيان الواثق الذي واجَهني قبل لحظات، بدا الآن مجرد كائن مَكسور، وَعيُه ينهار أمام حُلفائي الذين يتجمّعون خلفي..

- إنه... آصف!!!

تَمتمَ أحد الشيطان مرة أخرى، وكأنه لا يستطيع قبول ما يَسمعه..

عندها أدرَكت، أن وقت حرّيتي قد حان...

تَوتّرَت الشياطين من حولي، وجوّ القاعة المُظلمة امتلأ بالخَوف الذي كانوا يُحاولون إخفاءه. بدؤوا يجمعون أغراضهم بسُرعة شديدة، عيونهم تتنقّل بحَذر،

وكأنهم يتوقّعون مني الهُجوم في أي لحظة. وسط هذه الفوضى، فتح أحدهم سردابًا كان مخفيًا في الأرض، قديمًا وموحشًا، وكأنهم أعدّوه مسبقًا لهروبهم.

نزلَت مجموعة منهم بسرعة إلى الداخل، وأصوات خطواتهم تلاشَت في الظلام، لكن قبل أن يغلق آخرهم باب السرداب، التفتَ إليّ بعينَيه المُتوهّجتين بلون كَريه، راقبَني بحِقد وخوف. بنَبرَة تهديد مُطصنعَة قال لي:

- لن نتركك وحدك أبدًا يا أكحل.

لكن نبرَة صوته لم تخفَ عني. لم يكن في قوله سوى مُحاولة يائسة لإخفاء رعبهم. ابتسمت ابتسامة هادئة، وقلت له بصوت منخفض لكنه مَليء بالسّخرية:

- هذا إن استطعتم أن تَروني مرّة أخرى..

أغلق السّرداب بسرعة، واختفى صَدى خطاهم في أعماق الأرض، لكني بقيتُ واقفًا، غير مبالٍ، لأنني كنت أعلم أن هروبهم لن يكون سوى تأجيلٍ لما هو قادم..

ما إن انتَهيت من كلمتي حتى حدثَ انفجار ضَخم هزّ المكان بأسرِه، وشعرت بقوة هائلة تدفعني للخلف، تصدّعت البوّابة الحديدية التي كانت تحجُب نور الشمس، لتتكسِر بالكامل ويغمر النّور كلّ شيء، كان النور ساطعًا لدرجة أنني لم أتمكّن من فتح عيني بالكامل، كل ما رأيته كان مجرد ظِلال تتحرّك في الوَهج الساطع وبين تلك الظلال، برزَت هيئة لشَخص بجناحين ضَخمين. فركتُ عيني لأرى بوضوح، وإذا بآصف يقف أمامي، قَهقهَ بصوت عالٍ وقال ساخرًا:

- لقد علّقوك مثل الذّبيحة...!

ضحكت، رغم كل شيء، وقلت له:

- لن تترُك سَخافتَك أبدًا يا آصف..

فجأة، ظهر أنوبيس من الخلف وتقدّم لفكّ وَثاقي، وشيئًا فشيئًا بدأت أستَعيد حرّيتي، نزلتُ على الأرض وقلتُ بامتنان:

- الحمدُ لله...

ولكن قبل أن أُكمل كلمتي، سَمعنا صرخة قويّة تملأ المكان:

- أدخلوني! أدخلوني! أريد أن أنقذ السيّد مكحّل..!

توجّهنا بسرعة نحو مصدَر الصوت، لنجد عوص واقفًا أمام الكسر في الجدار، لكنه لم يستطِع الدخول بسبب حجمِه الضّخم. كان يحاول، لكن الكسر كان صغيرًا جدًا عليه ما إن رآني، حتى بدأ يصرخ ويبكي بحرقة:

- أنا آسف! أنا آسف لأني تركتُهم يأخذونك..!

تنحّى عوص جانبًا ليكشف خلفه جيشًا هائلًا من الجنّ المُسلمين والعمالقة، يهتفون بصوت واحد ويصرخون بقوة. تقدّم قائدهم يهتِف بصوت مهيب:

- المجد للسيّد الأكحَل!

وتبعه الجيش يردّد الهُتاف نفسه بصوت يهزّ الأرض تحت أقدامهم. كان مشهدًا رهيبًا، لم أتخيّل يومًا أني سأكون محاطًا بهذا الكم من الدّعم والوَلاء....

في مقدّمة هذا الجيش، رأيتُ الملك الرمادي الذي مَنحني خاتمي الأوّل، وبجانبه ظافر الذي كان يقود فرسان مدينة الشعراء، نزلت من أعلى القصر والجميع يرحّب بي بحرارة ويُحيونني باحترام شعرت بيد تلمس ظهري، فالتفت لأجد آصف يقف خلفي، بابتسامة خبيثَة كما هو دائمًا. قال لي بجديّة هذه المرة:

- هناك شيء مهم يجب أن أتحدّث معك بشأنه يجب أن تعود معي إلى مَملكة الصقيع.

فردَ آصف جناحَيه السّوداء الضّخمة، وطلب مني أن أمتطيَه، ومع أوّل دفعَة من جناحَيه، بدأت الأرض تبتعِد تحتنا، حلّقنا بعيدًا وأنا أودّع الجميع من الأعلى، أشكرهم على وقفتِهم بجانبي، وأعدّ نفسي لمغامرة جديدة تنتظرني في مملكة الصّقيع...بعدَ أربع سنوات ونِصف....

الفَصلُ الثّالث عشَر

(العَودةُ إلى صَقيع) (الأكوانُ المُتوازيَة)

في إحدى المَمالك تَحديدا على الطّريق المؤدّي إلى قصر الملكة، كان رجلان ضَريران يجلسان كل يوم، ينتظران بصبر الرّزق من الله، آملينَ أن يُحسنَ العابرون لهم...

الأوّل، رجل مُتواضع في هيئتِه، كان دائمًا ما يَستنِد إلى جدار قديم، يرفع كفّيه إلى السّماء ويقول بهدوء وإيمان شديد:

- اللهمّ ارزُقني من فضلك!

أمّا الآخر، فكان يجلس إلى جواره، ولكنه يختلف عنه في أسلوب دُعائه. كان يرفع صوته عاليًا وينادي ليسمع المارّة:

- اللّهم ارزُقني من فضل زوجة الملك..!

استمرّت الحال على هذا المِنوال لعدّة أيام، وكلاهما ينتظر الخير، وفي أحد الأيام علمَت زوجة الملك -المَعروفة بكرمها واهتمامها بالناس- وسَمعَت عن دُعاء الرجلين وتكرار طلباتهما اليومية أرادَت أن تعرف كيف يفكّر كل منهما...

كانت زوجة الملك تمرّ عبر ذلك الطّريق بانتِظام، وسمعَت ما يقوله الرّجلان فقرّرت أن تختبرَ إيمانهما، وتُرسل لهما ما طلباه، أرسلَت لصاحب الدّعاء الأول

–من طلب فضل الله– درهمَين فقط أما للآخر، والذي طلب فضلها، كانت تُرسل له دجاجة مشويّة يوميًا، وفي جَوفها عشرة دراهم....

استمرّت الملكة في إرسال هذا الرّزق يومًا بعد يوم، وكان الرّجل الذي يحصُل على الدجاجة يفرَح بها في البداية، لكنه كان يَعتبرها وجبةً أكثر من كونها كنزًا لذا كان يَبيعها كل يوم لصاحبه، الرجل المُتواضع الذي يحصل على الدّرهمين، مقابل درهمين فقط، معتقدًا أنه يَستفيد من الصّفقة...

ومضَت الأيام، وظلّ الحال على ما هو عليه كل يوم، يحصل صاحب الدّعاء الثاني على دجاجة مليئة بالمال دون أن يعرف، ويبيعها لجاره الذي كان يطلب فضل الله، لكن الرجل المتواضع، الذي لم يعلم بما تَحتويه الدجاجة، كان يستخدمها كغذاء ويجمع في الوقت ذاته الدراهم الذي كانت في جَوف الدّجاجة...

بعد عشرة أيام، مرّت زوجة الملك مرة أخرى على الطريق، ولاحظَت الرجلين يجلسان في المكان نفسه، توقفت أمام الرجل الذي كان يطلب فضلها وسألَته وهي تبتسم، وقد بدت على وجهها علامات الدّهشة:

- أما أغناك فَضلُنا عن الجلوس هنا بعد كلّ هذه الأيام..!؟

نظرَ إليها الرجل بدهشَة كبيرة وقال:

- فضلُك؟ لقد كنت تُرسلين لي دجاجة كل يوم، وكنت أبيعها لجاري هذا مقابل درهمين! ما أغناني ذلك عن شيء..

ضحكَت الملكة بصوتٍ ناعم وهي تهزّ رأسها، وقالت:

- طلبتَ فضلنا فحَرمَك الله من رزقك الحقيقي، بينما طلب جارك فضل الله فأعطاه الله ما لم يعلم، أنت كنت تأخذ الدجاجة ولا تعلم أن في جَوفها عشرة دراهم أما جارك، فكان يجمع من فضل الله كل يوم.

قال (طوس) بصوتٍ عَميق مَليء بالحكمة:

- وهنا نتعلّم يا أكحَل أن من اعتمدَ على الناس ذلّ، ومن اعتمدَ على المال قلّ، ومن اعتمد على علمِه ضلّ، ومن اعتمدَ على نفسِه ملّ، أما من اعتمدَ على الله، فلا ذَلّ ولا ضَلّ ولا قَلّ ولا مَلّ...

لم أتحرّك أو أنطِق في البداية، كانت كلمات طوس تتردّد في داخلي كصدى بعيد، تتسرّب ببطء إلى أعماقي، كما لو أنها تبحث عن مكان تستقرّ فيه. ابتسمتُ بهدوء ورفعت بصري نحو طوس وقلت:

- الحكمة، يا عم طوس، ليسَت في فهم ما تقوله فقط، بل في تَطبيقه في حياتنا.

تبسّم طوس بدِفء وقال:

- أحسنتَ يا أكحل، وهذا هو المطلوب. الحكمة بلا تَطبيق، كالشّمس التي لا تُضيء.

وفَجأة، دخل آصف الغرفة بخُطى سريعة، وابتسامة ساخرة تعلو وجهَه. قال وهو يحدّق فيّ بمَكر:

- أعتقد أنك قد مللتَ من قصص العم طوس يا أكحل. دعني أعطيك قصة مليئة بالحِكمة... أكثر إثارة ربّما.

نظرتُ إليه بابتِسامة مائلة وسخرية في صوتي:

- هات ما عندك يا آصف، لكن لا ترفع سقف توقّعاتي.

ابتسمَ آصف بخُبث وقال:

- يُحكى في أحد الأيام أن شابًا ذهب إلى حكيم نائم تحت شجرة بعيدة عن المدينة، وسأله: كيف أتجاهَل المُزعجين؟

توقفَ قليلًا وكأنما ليَزيد التّشويق، ثم أكمل:

- فأدار الرّجل الحَكيم ظهرَه وأكملَ نومَه وهمسَ قائلًا: "هنا يكمن الجواب".

بدأ آصف يضحَك بصوت عالٍ، واهتزّت كتفاه من شدّة ضحكه، حتى كاد يسقط من وقوفه. لكن في تلك اللحظة، نظرَ العم طوس إلى آصف بنظرة حادة، مليئة بالاستِنكار، فتَجهّم وجهُ آصف بسرعة وقال بتوتّر وهو يُخفِض صوته:

- حسنًا، حسنًا... سأخرُج...

ابتَسمتُ وأنا أراقب آصف وهو يُغادر الغرفة، لكن سرعان ما استعدت انتباهي، وتوجّهت نحو طوس. سألته بهدوء:

- عم طوس، أكمِل لي درس الأكوان المُوازيَة... أشعر أنني بحاجة لفهم المزيد.

نظر إليّ طوس بعينَين متعبتَين من كثرة التدريس، لكنه ابتسم وقال:

- اليوم سيَكون درسك الأخير يا أكحل، لقد نقلتُ لك كل علومي خلال السّنوات الماضيَة..

جلستُ أمام طوس، متشوقًا لسَماع المزيد عن الأكوان المُوازية، لكن لم أكن أتوقّع أن يكون درس اليوم هو الخاتمة لكل ما تعلّمته. نظر إلي طوس بعُمق، وكأنّه يَستعِد لنقل معرفة تتَجاوز حُدود الكلمات وقال:

- الأكوان المُوازية، يا أكحل، ليسَت مجرد فكرة أو خيال، إنها حقيقة تتداخَل مع عالمنا بطُرق لا يمكن للبشر العاديين إدراكها بسهولة. كل شيء من حولنا متشابك مع تلك الأكوان، لكننا ببساطة غير قادرين على رؤية الروابط.

نظرتُ إليه بعينَين متسائلتَين، فتابع وهو يقلب يديه في الهواء وكأنه يرسم خطوطًا غير مرئية:

- تخيّل أن كل لحظة تمُر في حياتك هي نقطة تقاطُع، وفي كل نقطة يمكنك أن تسلُك طريقًا مختلفًا، كل خيار تأخذه يفتح بابًا إلى كون مختلف لكن الأكوان المُوازية لا تعتمد فقط على اختياراتك، بل على احتمالات أخرى خارج نطاق سيطرتك...

سألتُه بحَذر:

- كيف يكون ذلك؟ وكيف يمكنني أن أرى هذه الأكوان أو أتعلّم منها..؟

ابتسم طوس ابتسامة حكيم مُتمرّس، وقال:

- لكي تفهم الأكوان المُوازية، يجب أن تفهم أولا أن الزمن ليس خطًا مستقيمًا، كل لحظة تعيشها هنا يمكن أن تكون قد عِيشَت بالفعل في مكانٍ آخر. وهذا ما نسمّيه بـ"الانعكاس الزمني" قد ترى أحلامًا أو رؤى عن حياتك في تلك الأكوان، وهذا يحدث عندما يتقاطع وعيُك مع وَعي نُسختك الأخرى في كونٍ موازٍ...

تأمّلتُ في كلامه، وسألت:

- هل يُمكنني التحكّم في هذه الرّؤى؟ وهل يمكنني أن أغيّر شيئًا في تلك الأكوان؟

أجابَني بصوتٍ هادئ مَليء بالتّجارب:

- ليسَ الأمر بتلك السّهولة، الروابط بين الأكوان هشّة للغاية، وأي تدخّل قد يُسبّب تشوّهات ومع ذلك، قد تستطيع الوصول إلى بعض الأكوان بوَعي أكثر صفاءً، إذا كنت قادرًا على تَهدئة عقلك والانفتاح على تلك العوالم...

ثم توقف قليلًا، وكأن الأفكار تَتبلوَر في ذِهنِه، وقال:

- اليوم، سأُعلّمك كيف يُمكنك فتح نافذة صغيرة إلى تلك الأكوان، لكن يجب أن تحذَر، لأن ما تراه قد لا يكون كما تتوقّع، الأكوان المُوازية قد تكون انعكاسات

لحياتك، لكنها أيضًا تحمل احتمالات لم تتخيّلها، قد ترى نفسك شخصًا آخر، بقرارات مختلفة، وربما بمَصير مختلف تمامًا...

النّسخة؟ شعرتُ بقلبي ينبض بسرعة وأنا أتخيّل الاحتمالات، هل سأرى نفسي في عالم آخر أكثر قوة؟ أو ربما أضعف؟ هل ستكون تلك الأكوان انعكاسًا لأعماقي الدّفينة...؟

طوس لاحظَ اضطِرابي، فوَضعَ يدَه على كتفي بلُطف وقال:

- تذكّر يا أكحل، لا تخَف ممّا ستراه. الأكوان المُوازية ليست سوى احتمالات لما كان يمكن أن يكون. أنت هنا والآن، وهذا هو الكون الذي اختارته روحك. كل شيء آخر هو مجرّد تجربة لمعرفة نفسك بعُمق.

أخذتُ نفسًا عميقًا وقلتُ بحَزم:

- أنا مستعد. أرِني كيف أفتَح هذه النافذة.

رفعَ طوس يدَه وأشار إلى صندوق صغير بجانبه لم ألاحظه من قبل:

- هذا الصّندوق يحتوي على حجَر قديم يُسمى "عين العوالم". بواسطته ستَتمكّن من رؤية الأكوان الأخرى ولكن لا يمكنك استخدامه إلا عندما تكون في حالة تأمّل عَميق وصَفاء كامل".

أخذتُ الحجر بين يديّ، كان باردًا، ولكنني شعرتُ بقوّة خفيّة تتدفّق منه. نظرت إلى طوس، فهزّ رأسه بالموافقة.

- الخطوة الأولى، يا أكحل، هي أن تُغلق عينَيك وتُفرغ ذِهنك، تخيّل أن كل شيء من حولك يذوب، ولا يبقى سوى وَعيِك. عندما تصل إلى تلك الحالة، سيَلتقي وعيُك مع الوَعي الآخر، وسترى النّوافذ تفتح أمامك.

جلستُ، وأغلقتُ عيني. شعرت بنبضات الحجَر في يدي، وكأنها تتناغم مع نبضات قلبي. بدأت أنفاسي تتباطأ، والأصوات من حولي تتلاشى. شيئًا فشيئًا، اختفى كل شيء، وبقيت أنا فقط...

وفي تلك اللحظة، شعرتُ بشيء غريب يحدُث في داخلي. كان الأمر أشبه بغوص عميق في بحر لا نهاية له، حيث تختفي الحُدود بين الزمان والمكان. بدأت أرى وَمضات من صور غريبة تتشكّل أمامي، صور مُشوّشة، لكنها مألوفة في الوقت ذاته. وكأنني أرى حياتي، ولكن من زاوية أخرى، من منظور مختلف.

ثم، فجأة، انفتحَت نافذة في الظلام. من خلال تلك النافذة، رأيت نفسي... لكنني لم أكن كما أعرفني. كنت شخصًا مختلفًا تمامًا؛ شكلي كان أكثر قسوة، عيناي تحمِلان نظرة باردة، ويداي مُغطّاة بدماء. شعرت بصَدمة كبيرة وأنا أرى نفسي في هذا الكون الموازي، الشخص الذي كنت سأُصبِحه لو أنني سَلكتُ طريقًا مختلفًا.

في هذا الكون، كنت قائدًا لجيش مظلم. كنت أمتلك القوّة، لكنني كنت بلا رحمة، لا أصدقاء، ولا حُلفاء، فقط جيوش من الجنود المُطيعين الذين يخضعون لأوامري بلا تردّد. ورأيت كيف كنت أحكم هذا العالم بقَبضة من حديد، دون أيّ اعتبار للعدالة أو الرحمة.

تملّكني شعور بالخوف والرّعب من هذا الشّخص الذي كنت أنظر إليه. هل كان هذا هو مستقبلي لو أنني اتّخذت قرارات أخرى؟

بينما كنت أُراقبُ هذا المشهَد، سمعت صوتًا خلفي، صوت طوس، هادئًا لكنه حازم:

- تذكر يا أكحل، هذا ليس أنت. هذا مجرّد احتمال، نتيجة لاختيارات لم تأخُذها. لكنك هنا الآن، في هذا الكون، لأن روحك اختارَت طريقًا آخر.

أغمضتُ عينيَّ مرة أخرى، وحاولت أن أستَعيد هُدوئي. "ما الذي يَعنيه هذا الكون بالنسبة لي؟". سألت نفسي.

فتحَ طوس عينَيه ببطء وقال:

- الدّرس الذي يجب أن تتعلّمه من هذا الكون ليس الخوف، بل الحكمة. كل قوّة تحمِل في طيّاتها إمكانية للدمار أو البناء. لقد رأيت جانبًا من نفسك في هذا العالم، لكن هذا لا يعني أنك ستُصبح كذلك. تذكر أن اختيارك هو ما يصنع الفرق.

شَعرتُ بطُمأنينة تسري في داخلي. نعم، هذا الكون لم يكن إلا انعكاسًا لخيارات أخرى، لكنني هنا، الآن، في هذا الكون، بوَعيِي وإرادتي، قادر على توجيه نفسي نحوَ الخير.

نظرتُ إلى طوس وقلت:

- فهمتُ الآن. الأكوان الموازية تعكس ما يمكن أن نكون، لكنها ليست من يُحدّدنا. نحن من نحدّد من نحن.

ابتسمَ طوس بهُدوء، ثم قال:

- وهذا هو الدّرس الأخير، يا أكحل. القوة الحقيقية ليسَت في السيطرة على الأكوان المُوازية، بل في القدرة على التحكّم في قَرارتك التي أنت فيها الآن واعلم يا بني أن كل إنسان في هذه الدّنيا مُخيّر وليسَ مُسيّرًا، لذلك الله عزّ وجل يعلم إذا اخترتَ اختيارًا سيئا كيف سيَكون مصيرك ويعلم اذا اخترتَ خيارًا صالحًا كيف سيَكون مَصيرك أيضا..

صمتَ طوس قليلا ثمّ قال:

- هذه حِكمة الله عزّ وجل.. سبحان الله العليم، سُبحان الله الحكيم! صدقت الآية الكريمة: (وما أوتيتُم من العلم إلّا قليلا).

أعدتُّ الحجَر إلى الصندوق وشعرت بأنني قد خُضت تجربة غيّرتني إلى الأبد...

سلمتُ على العم طوس وشكرته على كل ما قدمه لي، خرجت أتمشّى في مملكة صقيع، تلك الأرض البيضاء الباردة التي أصبحت مألوفة لي خلال السنوات الأربع ونصف التي قضيتها هنا في تلك الفترة، تعلّمت على يد العم طوس أسرارًا عميقة حول الأكوان، الأحلام، والأرواح كانت بعض المفاهيم غامضة وصعبة في البداية، لكنني أدركت مع مرور الوقت أن طوس لم يكن مجرّد مُرشد عادي، لقد اكتشفتُ لاحقًا أنه أحد أشهر حكماء قاف، بل وأكثر من ذلك، كان أشهر جنّيّ مسلم حَكيم، مَعروفًا في أوساط الحكماء...

تعلمت منه كيف نَحلم ولماذا، وأين تَبيت الروح عندما نغرَق في نومنا، كانت تلك الأفكار تحيّرني في البداية، لكنها أصبحت واضحة تدريجيًا مع الدروس المتتالية، فهمتُ أن كل حلم، وكل لحظة انفِصال عن الجسد في النوم، تحمل أسرارًا من الأكوان المُوازية ومن أبعاد أخرى لا نعلمها...

في نفس الفترة، شعرت أنه يجب عليّ فعل شيء أكبر، قرّرت إنشاء تحالف قوي بين ممالك قاف المُنتشرَة، تَحالفنا قام على مَبدأ نُصرَة المظلومين ومواجهة المُتنوّرين الذين كانوا يعيثون فسادًا في العالمين، كان التّحالف يتكون من أكثر من خَمسين مملكة، ووضعنا هدفنا نصب أعيننا: ((إيقاف المتنوّرين ووضع حدّ لمخططاتهم المظلمة)).

بدأنا بإرسال بعض حلفائنا لمُهاجمة مراكز المتنوّرين، وتَحرير المُحتجزين الذين كانوا يُعانون من ظلمهم ورغم نجاحنا في تحرير العديد، إلا أن هناك مركزًا لم نتمكّن من العثور عليه؛ المركز الذي كنت أنا نفسي محبوسًا فيه لسنوات، لم تكن هناك أخبار عن الفتى الذي كان معي في تلك الزنزانة وعدتُّه أنني سأُحرّره يومًا، لكن الوقت يمر، وكلما مر يوم زادت حَسرتي ومَسؤولية للوَفاء بوعدي *لن أستسلم* سأعثُر عليه مهما كلّفني الأمر، حتى لو كان ذلك آخر هدف في حياتي...

غرقَ عقلي في تلك الذكريات، حتى شعرت بيَد خفيفة تُربت على كتفي، التفتُّ لأجد جنين تقِف أمامي بابتِسامتها المَعهودة كان وجهها بَيضاويًا، محاطًا بشَعر أسود طَويل يتدلّى برقّة على كتفَيها، عيناها كَبيرتين وبنيّتين، تعكِسان ذَكاءها وحيويّتها، بشرتها قَمحاوية وناعمة، تُضفي عليها مظهرًا مشرقًا...

- ما بالك سارحًا يا عين الذئب..؟

قالت وهي تنظُر إليّ بمَكر.

تنهّدت وقلت:

- كم مرّة قلت لك ألّا تُلقّبيني بذلك يا جنين..؟

جنين ضحكت ضحكتَها الساخرة وقالت:

- يُمكنك أن تصفَني بالجميلة، لا أمانع ذلك.

نظرتُ إليها بسُخرية متبادلة وقلت:

- لا أحب الكذب.

تغيّرت ملامح وجهها سريعًا وتجَهّمت، قائلة:

- لا تتأخّر على الاجتماع، سوف يُقام الآن يا عين الذّئب...

قبل أن أردّ عليها، صدح صوتُ النداء يدعونا جميعًا إلى الاجتماع، نظرت إليها ثم إلى السماء، وأدركتُ أن وقت العمل قد حان...

دخلتُ قاعة الاجتماعات في قصر صقيع الكبير، المكان المهيب الذي يعكس فخامة المملكة وحكمتها. جلست في المنتصف، بانتظار البقية، وارتخَت ملامحي قليلا...

دقائق قليلة حتى دخلت جنين بابتِسامة ساخرة قلت لها:

- من الذي تأخّر الآن..؟

نظرت إليّ بتَجهُّم، ثم جلست دون أن ترد..

لحظات وظهرَ أنوبيس، جلس إلى يَميني، وألقى التّحيّة:

- السّلام عليكُم جميعًا.

رَددتُ التّحية أنا وملك مملكة الرّماديين الذي كان على يَساري سلفا.. فجأة، انبعثَ صوتٌ عَميق من نافذة القاعة:

- أنا هنا أيضًا يا سيّد مكحّل، لم أتأخّر...

التَفتنا جميعا نحو النافذة، لنرى عوص، الذي كان ينظر إلينا بنظرة بريئة مُتلهّفة، ضاحكًا بحرَج، كان حجمُه العملاق يَمنعه من دخول القصر، كما هو الحال دائمًا...

ابتسمتُ له وقلت:

- مرّت كل تلك السّنوات وما زلتَ تُخطئ في لقبي كالعادة، يا عوص!!

قاطعَ كلامي صوتُ صدى مُدوٍ في أرجاء القاعة، تلاهُ فتح الأبواب ببطء.. ظهر العم طوس، يمشي بهدوء بعَصاه الذهبية، واتّخذ مجلسه المعتاد....

قال أنوبيس بابتِسامة وصوت واثق:

- دخول قويّ كالعادة يا طوس، يليق بحَكيم مثلك.

ردّ طوس بهدوء الحَكيم:

- الحكمة عندكم أنتم، يا من بَنيتُم الأهرامات...

أومأ أنوبيس برأسِه تأييدًا، مُستحسِنًا كلام طوس....

وفجأة، بدأت أصوات خطوات ثقيلة تقترب من بوابة القاعة، فتح الحراس الباب، وأحدهم أعلن بصوت عالٍ:

- ملك مملكة صقيع، الملك المذهّب بنفسه يدخل الآن..!!

وقفنا جميعًا احترامًا للملك المُذهّب، الذي دخل بخطوات هادئة، ثم أشار لنا بتَواضع:

- تفضّلوا بالجلوس، أعلم أنكم لم تعتادوا حضوري لاجتماعاتكم، لكن اليوم هناك أمرٌ خطير...

تخلّيت عن مقعدي في المنتصَف وأشرتُ للملك بالجلوس، رفضَ الملك وسحبَ الكرسي الأخير في الطاولة وجلس قائلا:

- تفضّل بالجلوس يا أكحل، فأنت الملك في هذه القاعة.

أومأتُ برأسي وجلسْت، بينما التفتَ الملك نحو جنين وسألها:

- أين عمّكِ يا ابنَتي؟ لماذا لم يحضُر بعد..؟

جنين ردّت بسُخرية:

- أنت تعلم يا أبي، العم آصف لا يعترف بالمَواعيد، وهو دائم التّأخّر...

أجاب الملك مذهب بتَنهيدَة:

- لم يُغيّر عادته السيّئة تلك... حسنًا، لنبدأ الاجتِماع بدونه، وسيلحَق بنا، لديّ أخبار خطيرة وصلتْني من أصحاب اللّحى الزّرقاء...

لكن قبل أن يُكملَ حديثَه، سمعنا صوت جَري أقدام متسارعة، التَفتنا نحو البوابة لنجد ظافر، متكئًا على المدخل ويَلهَث، قائلا:

- آسف على التّأخير، واجهَتني مشكلة في الطريق...

غضبَ الملك مذهّب من تأخّره وقال:

- يبدو أن هناك متأخّرين ليس واحدا فقط..!.

أحسّ ظافر بغضَب الملك من نَبرَة صوته، فأنشدَ بيت شعرٍ بسرعة، يمدح فيه الملك المذهب:

- يا مذهبَ الخيرِ، أطلبُ منك رحمةً

تسقي القلوبَ فرحًا، وتمدُّها نعمةً.

ابتسمَ الملك المذهب وقال:

- كلامك الجميل هذا يغفِر لك يا ظافر.

ردّ ظافر بابتسامة، وألقى بيت شعر آخر يشكُر فيه الملك:

- **"ملكتَ السموَّ بفضلك، فشكرًا عليك

- يا ملكًا نرفع له الأكفَّ بالدّعاء والطيب"**

ثم استعاد الملك المذهب جدّيته وقال:

- المُتنوّرين... وصلت إلينا معلومات من حُلفائنا المُتخفين بينهم أنهم يخطّطون لخَطف أحد سكان مَملكة الرماديين، وإجراء تَجارب عليه...

التفتَت الأنظار نحو ملك الرّماديين الذي اشتعلَ غضبًا وقال:

- لن أسمَح لهم هذه المرّة أن يمسّوا شعرةً من شَعبي...!

تردّد صدى كلمات ملك الرماديين في القاعة، وكأنها كُتبت بماء الذهب. نظر الجميع إليه بإعجاب، وقد ازدادَت قوّة الإصرار في عيونهم.

وقفتُ وقلت:

- علينا أن نتّحد جميعًا في هذه المعركة، المتنوّرون يتربّصون بنا، ويجب أن نكون مُستعدّين للردّ، نحن لن نُدافع عن ممالكنا فحسب، بل عن حريّة شعوبنا.

أومأ الملك المذهّب برأسه مؤيّدا، ثم تحدّث قائلا:

- نحتاج إلى خطّة مُحكمة، يجب أن نعرف كلّ تفاصيل تحركات المتنوّرين، ومكان وجودهم، وموعد خطتهم.

تدخّل أنوبيس، قائلا:

- لدينا شبكة من الجَواسيس في مناطقهم. يمكنهم تزويدنا بالمعلومات الدقيقة إذا اتّصلنا بهم في الوقت المناسب.

جنين أضافَت بحَماس:

- يُمكننا أيضًا تَنسيق هجمات مُباغتة على مراكزهم. لنسمح لهم بأن يشعروا بقوّة تَحالفنا.

قال طوس بصوتٍ حكيم:

- لكن يجب أن نكون حَذرين. أي خطوة غير مَحسوبة قد تكلّفنا الكثير. من الضروري أن نتحلّى بالصّبر والحكمة في تَخطيطنا.

وافقَ الجميعُ على ذلك، وعقدنا العزمَ على تحديد استراتيجية فعّالة، قرّرنا أن نقسمَ أنفسنا إلى مجموعات صغيرة، بحيث تتوجّه كل مجموعة إلى منطقة مختلفة لجمع المعلومات وتَحضير الهَجمات المُحتملة...

ثم قلت:

- إذًا، سأكون مع فريقي في مملكة الرّماديين لجمع المعلومات من الجَواسيس. وأنتم، هل يمكنكم تَوسيع نطاق هجماتهم على مراكز المتنوّرين الأخرى؟

وافق الملك المذهب، قائلا:

- سأُرسل فرقة من المُقاتلين الشّجعان من مَملكتي لدَعمك. علينا العمل معا، وتَوجيه الضربة القاضية للمتنوّرين.

مع اقتراب مَوعد بدء التّحضيرات، شعرت بشَيء من الحَماس يَتسلّل إلى قلبي، كان لدينا هدف، وكان الجميع مُتحمّسا لمواجهة الظلام الذي يهدّد مَمالكنا..

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- دعونا نعمَل على إعداد أنفسنا لقد حان الوقت لنُظهر للمتنوّرين قوّتنا. لن نقبلَ بالهزيمة، وسنحرّر كل مَظلوم.

تَلا ذلك تبادُل النّظرات المُتفائلة، فكلّ فرد في القاعة كان يشعُر بالثّقة والعزم. كانت هذه اللحظة بداية ضربة جديدة، حيث اجتمعنا كقوة واحدة لمواجهة أعدائنا...

وبدأنا نتحرّك نحو الأبواب، متوجّهين كلٌّ إلى مَهمّته، وكانت العزيمة تتأجّج في صدورنا، ما زال أمامنا طريق طويل، لكننا كنا متأكّدين من أننا سنُحقّق النّصر في النهاية...

ذهبتُ أنا وظافر وجنين مع الملك الرّمادي وتوجّهنا نحو مملكتِه، وعندما وصلت إلى مَملكة الرماديين، قُوبلتُ بحَفاوة من قبل القادّة والجنود، كان وجه الملك الرمادي مَشدودًا وقد اعتلى الغضب ملامحَه، جلستُ أمامه مع مجموعة من الشّجعان الذين اختارهم لدَعمي في المهمّة.

قال الملك الرّمادي:

- يجب أن نستعِد تمامًا، لدينا معلومات عن تحرّكات المتنوّرين، وعلينا أن نكون سبّاقين في تنفيذ خطّة الهجوم، الأعداء يختبئون في الغابة المُجاورة ويبدو أنهم يعدّون شيئًا كبيرًا.

نظرتُ إلى خريطة مملكة الرماديّين التي كانت معلقة على الجدار، وبدأت أتفحّص المواقع بعناية، أشار أحد الجنود إلى نقطة معيّنة وقال:

- هناك ممرّ سرّي يؤدّي إلى مراكزهم إذا استَطعنا استِغلاله، يمكننا الاقتراب منهم دون أن يُلاحظوا.

ابتسمتُ وفكّرت في الاحتِمالات وقلت:

- علينا أن نُرسل فرقةً لاستِطلاع الممرّ، يمكننا أيضا تجهيز فِخاخ عند نقاط الدخول لمنع أي تَعزيزات قد تأتي من مركزهم الرئيسيّ.

بدأ الجميع يَتحمّس، وأخذت زمام المُبادرَة وقلت:

- أنا سأقود فرقة الاستِطلاع نحتاج إلى أن نكون سريعين ودقيقين، لا نُريد إضاعة الوقت.

وبعد أن اتّفقنا على التّفاصيل انطلقنا، في صباح اليوم التالي كانت السّماء لا تزال مظلمة، والنجوم تَتلألأ، خيّم الصّمت على الغابة، وكانت الأشجار العالية تُخفي الكثير من الأسرار...

عندما اقتربنا من الممرّ السريّ شعرت بتوترٍ يَسري في جسدي، كان لدينا كل ما نحتاجه، لكن الخوف من الفشَل كان يلوحُ في الأفق. تذكّرت وعدي للفتى الذي وعدته وشعرت آنذاك بطاقتي تتَجدّد...

تَسلّلنا بحذر، وأخذنا نتقدم خطوة بخطوة. كانت الأضواء تلمَع في الجوار، وصوت ضحكاتهم كان يَملأ الأجواء، توقّفت فجأة، وأشرتُ إلى فريقي بالصمت، كان هناك مجموعة من المتنوّرين يتحدّثون حول نارهم...

أخذتُ نفسًا عميقًا، وقلت:

- لنُهاجمهم عندما يحين الوقت، سنُحاول القضاء على أكبر عدَد مُمكن قبل أن يُدركوا ما يحدُث.

مع حُلول الظلام، ارتفعَت أصواتنا وصَدى الأقدام. كنا نتحرك معا كفريق واحد، وكل منا يعرف دورَه، انطلقَت الهجمات، وتداخلَت أصوات المعركة مع صرخات الانتِصار...

بينما أنا أُقاتل، كنت أشعُر بتلك الطاقة الجبّارة تنبعث من أعماقي، كنت أكافح من أجلِ شعبي، ومن أجل الفتى الذي لم أنسَ وُعودي له...

فجأة، رأيت أحد المتنوّرين يُحاول الهرب، كان يرتدي لباسًا أحمر، وملامح وجهِه غامضة، صرختُ وقلت له:

- توقّف!

وركضتُ خلفَه...

كنتُ أقترب منه، ولكن قبل أن ألحَق به استدارَ فجأة ونظرَ إلي باستِعجاب شديد، وقال:

- إنسيّ..! كيف أتيت إلى هنا؟ نحن البشر الوَحيدون فقط من يُمكننا عبور ما وراء الجَليد..!!!

رَددتُ عليه بثِقة وجُرأة وقلت:

- أنتم من خطَفتموني وعذّبتموني في عتمة قلوبكم، والآن ها أنا أقف في وجهكم، لن أسمح لكم بمواصلة ما تفعلونَه بهؤلاء المظلومين! لقد اكتسبت القوة والعلم، وبهما سأُوقفكم عند حدّكم!!

تَجمّدت نظراتنا في تلك اللحظة، شعرت بالتّحدي يتدفّق في عُروقي، كنت أعلم أن كل ما عانيت منه، وكل لحظة من الألم، قد قادني إلى هنا، لأكون قوة تقِف ضدّ الظّلم الذي يمثّلونه:

- لكنّكم لا تُدركون أنني لم أعُد ذلك الفتى الضّعيف الذي اختَطفتُموه من عالمه، لقد تعلّمت الكثير، وها أنا هنا لأثبتَ لكم أن النّور يمكن أن يهزمَ الظلام...

تسارعَت نبضاتُ قلبي، وأنا أواجِهه، كنتُ أعرف أن هذه المعرَكة ليسَت فقط من أجل نفسي، بل من أجل كل الذين تعرّضوا للظّلم على يَدهم...

فجأةً أطلقَ عليّ بمُسدّس غَريب أضاء المكان بألوان غريبَة، وشعرتُ بأن الأرض تهتزّ تحت قَدمي في لحظة من الرّعب، أدركتُ أن الأمر قد يُصبح خطيرًا...

ووسط ذلك التّوتّر، لاحظتُ أن رُدود فعله أصبحَت أكثر تَوتّرا، سرَت في داخلي رغبة قويّة لأن أُظهر له عواقب أفعاله، استَمررت في التقدّم نحوه بخطوات ثابتة، وكأنني كنتُ أقترب من هدف طالما حلمتُ بتَحقيقِه...

- لقد كنت أسيرًا في ظلامكم، لكن الآن، أنا هنا لأنشرَ النّور!

بكلّ قوّة، شعرتُ بشيء يتغيّر داخلي، عَيناه الواسعتَان بدأت تُشعّ بالقلَق، وكأن الضوء الذي بدأ يتجمّع في روحي كان ينعكس على ملامح وجهه، كنت قد وضعتُ كل ما تعلّمته مَوضع التّنفيذ..

وفي تلك اللحظة، تجمّعت كلّ قوتي وتوجّهت نحوَه وأنا أنظُر في عينَيه مباشرةً، ثم، بتَصميم، رددت:

- الآن، حان وقت الحِساب.

ببطء، استَدرتُ نحو الأمام، متّخذًا وضعيّة الاستعداد بينما تحرّكت ببطء نحوه، شعرت بنبضات قلبي تتَسارع، وكل ما كنت أحتاجه هو لحظة واحدة...

ومع كل خطوة، كانت الأمور تتّضِح لي أكثر، حرّكت أصابعي في الهواء كأنني أرسم حدودًا جديدة، وطاقة لم أختبِرها من قبل بدأت تتدفّق في جسدي...

ثم، وفي لحظة استثنائية، ركّزت كل ما أملك من طاقة في يدي، مستجمعًا كلّ القوة التي اكتَسبتها في سنواتي الأربع والنصف في مملكة صقيع وعندما كنت على بعد خطوات منه، شعرتُ بتلك القوة تتَجلّى فورًا...

- باسم كلّ المظلومين، وباسم كلّ من عَذّبتموهم..!

فجأة، وفي حركة واحدة مُتقنَة، أطلقت شعاعًا طاقيًّا نحو رأسه، وكان الوميض المتكوّن أمامي يتلألأ في الضوء كما لو كان النّجم يتفجّر في السّماء...

ببطء، بدأ رأسه يبتعِد عن جسده، وكأنه يَعي أن نهايتَه اقتربَت، تعالت صيحات الدّهشة في المكان، وملأت الصّدمة عيون الحضور...

وأخيرًا، في تلك اللحظة، سقطَ رأسُه على الأرض، تاركًا جسده يَتهاوى، بينما ارتفعت صَرخات النصر، كان ذلك انتقامًا لكلّ من عانوا تحت وَطأَة الظلم، ولذا شعرت بفرحة غامرة، وكأن الشّمس أشرقَت في مُنتصف اللّيل..

- لن تَكونوا قادرين على تكرار ما فعلتموه بهؤلاء الناس هذه هي البداية فقط!

تردّدتَ كلماتي في أرجاء المكان مُعلنة نصرَنا...

(العَودَة) (الفَراشةُ المُضيئَة)

بعد يومٍ من المعركة عدتُّ إلى صقيع، بينما كنت أجلس مع جنين نَحتسي بعض الشاي، دخل فجأة الملك مذهب وقال بابتسامة غامضة:

- أين عمك يا جنين؟ ما باله مُختفٍ منذ يومين...؟

نظرتُ إليه متعجبًا، ثم نظرتُ إلى جنين التي ابتسمَت، وقلت:

- ألم ترَه في القصر...؟

الملك مذهب هزّ رأسَه وقال:

- لا أثرَ له يبدو أنه ذهب في رحلة.

جنين ضحكَت وأضافت:

- ربما يخطّط لمُفاجأة!

بعدَ حديث طويل قرّرنا أن نذهب لنسأل عنه، بعد البحث اتّجهنا مباشرة إلى طوس وجدناه جالسًا بين كُتبه، فسألناه عن (آصف)...

نظرَ إلينا بهُدوء وقال:

- آصف عندما يَختفي هكذا يكون هناك احتمالان إما أنه ذهبَ ليُنفّذ مهمّة سريّة، أو أنه حزين وسافر إلى مستوطنة التنانين.

رفعتُ حاجبي مُستغربًا وسألتُه:

- التّنانين حقيقيّة؟

ابتسمَ طوس وأجاب:

- نعم، حقيقية وآصف يحبّ تأمُّل تلك المخلوقات الضّخمة عند حُزنه...

جنين قاطعَته بقلَق وقالت:

- لكن يا عم طوس، أليسَ من الخطَر أن يذهب وحده إلى هناك؟

ردّ طوس مطمئنًا:

- قد يَبدو خطيرًا، لكن آصف عاش بينهم لأكثر من خمسين عامًا، تآلف معهم وأصبَحوا جزءًا من حَياته..

نظرتُ إلى جنين وقلتُ ممازحًا:

- هل ترين؟ قد يكون عمّك يتحدّث مع تنّين الآن ويُخبره عن مُغامراته الأخيرة..!

ضحكَ طوس بصوت هادئ وهو يلتقِط كتابًا قديمًا من مَكتبِه، فتحه على صفحة مليئة بالرّسومات القديمة لتَنانين ضَخمة وقال:

- التّنانين مَخلوقات عظيمة وقوية، لكنها ليست كما يتخيّلها الناس دائمًا... ليست كلها ناريّة أو عدوانية كما يُروى في الأساطير...

نظرتُ إلى الرسومات وأنا أتفحّص تفاصيل الأجنحة والذّيول الضّخمة، وسألتُه:

- إذن، ما حَقيقتها؟

أجاب طوس بينما كان يقلِب الصّفحة:

- التّنانين أنواع مختلفة، بعضها يعيش في الجبال الجليدية، وبعضها في الصّحاري، تختلف في الحجم والقوّة، ولكن ما يجمعها هو ذكاؤها الاستِثنائي وقدرتها على التّواصل مع الكائنات الأخرى عبر مَوجات ذهنيّة، آصف تآلف مع مجموعة من التّنانين التي تعيش في الجبال الباردة تلك التّنانين تحديدًا تَتميّز بهدوئها وحِكمتها.

جنين نظرَت إلى طوس باندِهاش وقالت:

- وهل هي تَتحدّث مثلنا؟

هزّ رأسَه وقال:

- ليسَ بالكلمات التي نفهمها، بل بنوع من التّواصل الروحي. يُمكنهم إرسال صور وأفكار مباشرة إلى العقل، آصف كان من القلائل الذين استَطاعوا التفاهم معهم بوَجهٍ كامل، لهذا عندما يشعُر بالحُزن أو يبحث عن السّلام، يذهب إلى تلك المُستوطنَة ليجلس بينهم ويتأمّل.

ابتسمت وقلت:

- لا عجب أنه يَختارهم للهرَب من ضَجيج العالم.

أضافَ طوس بابتِسامة عَميقَة:

- هذه التّنانين قديمة جدًا، عمر بعضها يصِل إلى آلاف السنين وهي ليست مخلوقات تبحث عن القتال، ولهذا آصف يجد نفسه بينهم؛ فهو يشعر بأنه جزء من ذلك التّوازن القديم الذي يُمثّلونه.

جنين ابتسمَت وقالت:

- ربما علينا زيارته هناك يومًا ما.

ضحكتُ وقلت:

- لكن بشرط ألّا تُزعجي التّنانين بثَرثرتك كالعادة..

ضحك طوس وهو ينظُر إلى جنين وقال:

- لن يكون الأمر بهذه البَساطة، يا جنين. زيارة التّنانين ليسَت مجرّد نُزهة. تلك المخلوقات قد تبدو هادئة، لكنها حسّاسة جدًا للطاقة المُحيطة بها. التنانين تشعر بما يَدور في نفوس الزوّار، ولهذا ليس أي شخص يَستطيع الاقتراب منها. لا بدّ أن يكون لديك قلب نقيّ ونيّة صافية حتى يَسمَحوا لك بالوجود بينهم.

ثمّ أشار طوس إلى رسم تنّين في الكتاب وقال:

- تلك التّنانين التي يُسافر إليها آصف، يُطلق عليها "تنانين النور الأزرق" هي واحدة من أقدم المَخلوقات في العالم، تتغذّى على الطاقة التي تُولّدها النجوم هذا ما يساعدها على التّعمير.

رفعتُ حاجبي مُتعجبًا وقلت:

- الطاقة النّجميّة؟ وكيف يمكن لمَخلوق أن يَستمدّ طاقتَه من النّجوم..؟

أجابَ طوس:

- الأمر أعقَد ممّا يَبدو، التّنانين لها هياكل جسديّة مميّزة تُتيح لها امتِصاص موجات الطاقة المُنبعثة من النّجوم، تلك الطاقة تعمَل على تَجديد خلاياها باستمرار، ممّا يَجعلها قادرة على العيش لآلاف السّنين دون أن تظهر عليها علامات الضّعف أو التقدّم في العمر، وهناك دولة كانت في عالمكم اكتشفَت هذا الأمر وبعد سنوات من دراسة طريقتهم في استِخـــدام هـــذه الطـاقة استَخـــدموها لتَحســـين تَوازنهـــم الرّوحي والجَسدي...

جنين كانت مُتحمّسة لسَماع المزيد وسألت:

- هل لدى التّنين قدرات خاصّة أخرى؟

ابتسمَ طوس وقال:

- نعم، بالطبع. تنانين النّور الأزرق يُمكنهم تَوليد عواصف ثلجيّة أو تَوجيه الرياح، لكنهم لا يَستَخدمون هذه القدرات إلا للدفاع عن أنفسهم أو للحفاظ على البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها.

سألتُ طوس بشَيء من الفضول:

- وهل سبق لآصف أن استَفاد من هذه القدرات..؟

أجابَ طوس مبتسمًا:

- نعم، لقد تعلّم منهم بعض الأسرار لكنّه نادرًا ما يستخدمها، آصف يُؤمن بأن التّوازن الطبيعيّ يجب أن يظلّ كما هو، ولا يَنبغي التدخّل فيه إلا في حالات الضّرورة القُصوى لكن يُمكنني القول إنه استخدمَ تلك المعرفة في بعض المَواقف الصعبة التي مرّ بها.

نظرتُ إلى جنين وقلت:

- إذًا، التّنانين ليسَت فقط مخلوقات ضخمة ومُخيفة، بل هم أيضًا مالِكو أسرار عمرها آلاف السنين.

هزّ طوس رأسَه موافقًا وقال:

- تمامًا، والتّنانين لا تنسى أبدًا من يكون حليفًا لها. لهذا، آصف يُعتبر جزءًا من مجتمعهم الآن، وإن كنت تراه يختفي أحيانًا، فغالبًا هو هناك، يتأمل في هدوء الكون برِفقتهم...

خرجتُ أنا وجنين من عند العم طوس، وقفنا للَحظة أمام القصر، نتحدّث عن التّنانين والرحلة التي كشفَ عنها طوس لكن حديثنا انقطعَ فجأةً عندما رأينا آصف يدخل القصر، يَطوي جناحَيه الضّخمين ببطء. كان وجهه شاحبًا، والحزن يغمُر ملامحَه...

تقدّم نحوي بخطوات ثابتة، لكنّه لم ينظر في عيني. توقّف أمامي، رأسه مُنحنٍ نحو الأرض، ثم قال بصوت مَليء بالكآبة:

- اليوم... لقد أكملتَ الخَمس سنوات يا أكحَل...

نظرتُ إليه متعجبًا وقلت بابتِسامة:

- أعلم، وما زلت في شبابي!

رفعَ رأسَه ببطء، وذرفَت عيناه دمعة واحدة على خدّه، ثم قال بحُزن شديد:

- اليوم هو يَوم عودتك إلى عالمك... سوف تُفتح البوّابة النّجميّة اليوم.

تجمّدت في مكاني، وكأنّ الكلمات ربطَتني بالأرض. امتزجَت مَشاعري بين الفرح بالعَودة إلى أهلي وأحبائي، والحُزن على فِراق من أصبحوا عائلتي خلال هذه السنوات. لم أستطِع التّفكير بوضوح. قطعَت شُرودي فجأةً دموعُ جنين، التي كانت بجانبي. نظرتُ إليها فرأيتها تذرِف الدّموع بغزارَة، ثم ركضَت نحو غرفتها دون أن تنطقَ بكلمَة....

التفتُّ إلى آصف، وقلت بصوتٍ مُتماسك:

- حسنًا... دعني فقط أسلّم على الجميع قبل أن أذهب.

لكن آصف ردَّ بصوت خافِت يَملؤه الحُزن:

- ليسَ هناك وقت يا أكحل. تبقّى ساعة واحدة فقط قبل أن تُغلق البوابة. يجب أن نُسرِع.

استَغربتُ من كلامه وسألته:

- لماذا هذا التّوقيت بالتّحديد يا آصف؟

تنهّد آصف وأجاب:

- البوابات النّجميّة ليسَت مثل أيّ بوابة أخرى هي نقاط طاقة تقَع عند تقاطُعات معيّنة بين العوالم، وفتحها مُرتبط بحركة النجوم والكواكب، يحدُث هذا التّوافق الفلكيّ في أوقات نادرة جدًا، لكلّ بوابة وقتٌ مُحدّد لفَتحها وإغلاقها، وفي هذا اليوم، تفتح البوابة فقط لمدّة ساعة واحدة. إذا لم تُعبر خلالها، ستبقى عالقًا هنا لخمس سنوات أخرى على الأقل، حتى يحدُث التّوافُق من جَديد.

أصغَيتُ إليه بتَركيز، بينما عقلي يغرق في التّفكير، هذه اللحظة كانت أصعب مما تخيّلت، أن أقرّر بين البقاء هنا أو العودة إلى عالمي. لكن الوقت لم يكن في صالحي....

قال آصف بحُزن أكبَر:

- علينا أن نذهب الآن يا أكحل... الطّريق إلى البوّابة طويل، ولا يُمكننا المُجازفَة.

نظرتُ إلى القصر، وإلى السّماء، وشعرتُ بأنني على مُفترَق طُرق بين عالمين..

تجمّعَت الدّموع في عيني، لكنني تَمالكت نفسي، رافضًا أن أذرِفَها. نظرتُ إلى آصف بعيون تحمِل ثقلًا وقلت:

- يبدو أن هذه رِحلتنا الأخيرة، يا آصف.

ابتسمَ آصف بحَسرة، بينما كان يفرِد جناحَيه السّوداء الكبيرة، وقال بصوت مليء بالشّجن:

- نعم، يا أكحل... كل رحلة لها نهاية، لكن ذكرياتنا لن تُفارقني ما حَيَيت...

تأمّلت جناحَيه الضّخمين، وكيف امتَدّا بشُموخ وكأنهما يَستعدّان ليَحملاني في رحلة أخيرة، صوت الرياح الخَفيفة وهي تمُر عَبر ريش جناحَيه كان يحمِل نغمةَ تَوديع صامتَة، اقتربَ مني قليلًا وأضاف:

- الرّحلة لم تنتهِ تمامًا بعد، يا أكحل. ستَعود إلى عالمك، لكن ستبقى متّصلًا بعالمنا وسنكون دائما معك حتى لو عدت وسوف يبقى هنا دائمًا جزءٌ منك وستظلّ قادرًا على الوصول إلينا في أيّ وقت تُريده...

ابتَسمتُ له بامتِنان وقلت:

- آصف... شكرًا لك، على كلّ شيء. لن أنساكم، وستظلّون في قلبي إلى الأبَد...

تجمّعَت الدّموع في عيني، لكنّني تمالكتُ نفسي، رافضًا أن أذرفَها، نظرت إلى آصف بعيون مُثقلة بالحُزن وقلتُ بصوتٍ خافت، لكن مليء بالثّقل:

- يبدو أن هذه رحلتنا الأخيرة، يا آصف".

ابتسمَ آصف بحَسرَة، بينما كان جناحاه الأسودان الضّخمان يَمتدّان بشُموخ، رد عليّ بصوت مليء بالشّجن والوداع:

- نعم يا أكحل، كل رحلة لها نهاية، لكن ذكرياتنا ستظلّ خالدة لن تفارقني، حتى ولو ذهبت يا صديقي.

نظرتُ إلى جناحَيه المَهيبَين، وكيف امتدّا وكأنهما يَستعدّان لرحلة أخيرة صوتُ الرياح الخفيفة التي تمُر عبر ريش جناحَيه كان يهمِس بوَداع صامت...

امتَطيتُ ظهرَه، وبدون تردّد انطلَقنا نحو قمّة جبل مملكة صقيع، حيث بدأت رحلتي الأولى. دخلنا الكهف الذي يَحتضِن البوابة النجميّة، ووقف آصف أمامها، وأخرجَ من جيبِ قميصِه نفس الكتاب المُزخرف، فتحَه وبدأ يُتمتِم بكلمات لا أفهمها، وكأن الجبل كلّه اهتزّ من حولنا. وفجأة ظهر نور قوي، أغمضتُ عيني للحظة من شدّته، وعندما خفتَ الشّعاع فتحت عيني لأرى الدائرة المُضيئة نفسها مُعلقة في الهواء....

وقبلَ أن أدخلَ البوابة، سَمعتُ صوتًا من خلفي يقول:

- ليسَ من اللائق أن تُغادر دون أن تُودّع أستاذك، يا أكحَل العينَين..!

استَدرتُ بسرعة، لأجد أنوبيس يقف عند مدخل الكهف، أنا وآصف كنا مَصدومَين من وجوده. نظرت إليه وقلت بحُزن:

- كيف علمتَ أنني سأغادر الآن!؟

ابتسمَ أنوبيس ابتسامة حَزينة وقال:

- يبدو أنك نسيتَ درسنا الأول.

تقدّمت نحوه وضمّيتُه بحزن وقلت:

- لا، لم أنسَ!

وفجأة، باغتَتنا عاصفة جليديّة هبّت من العدم، وفي وسطها ظهرَ رجل يطفو في الهواء، ركّزت قليلًا لأكتشف أنه العم طوس هبطَ أمامي وقال بابتسامَة ساخرة:

- يبدو أن هذا الشاب لا يعرِف مَكانتنا.

ضحك أنوبيس وقال:

- الظّروف لها أحكام يا طوس، لا تَلُمه.

تبادلَ العم طوس وأنوبيس نظرات عميقة، ثم قال طوس:

- بعد كلّ تلك السنوات، أعتقد أنه هو المَعني، يا أنوبيس.

تَفاجَأ أنوبيس وقال:

- كنت على وشك أن أتحدّث معك عن هذا الموضوع، لكن الوقت لم يُسعِفني.

فقال طوس بحَزْم:

- إذًا، يجب أن نَفعلَها الآن قبل أن يُغادر.

نظرتُ أنا وآصف لبعضنا بذُهول وسألنا في نفس الوقت:

- تَفعلان ماذا؟

مدّ طوس يَده اليُمنى نحوي وقال:

- أمسك بيَدي الآن...!

أمسكتُ بيده دون تردّد، ثم مدّ أنوبيس يده وقال لي أن أفعل نفس الشيء، طلبَ طوس من آصف أن يقترِب وينضَم إلينا قال أنوبيس:

- والآن، اكتملَ المُربّع يا طوس.

ردّ طوس:

- لنَبدَأ.

أغمضَا أعينهما، وبدءا يُتمتِمان بكلمات غير مَفهومَة. تَبادلنا أنا وآصف نظرات الاستغراب، وفجأة، ظهرَت فراشة مُضيئة في المنتصف من العدم، وبدأت تدورُ

بسُرعة داخل الكهف ثم اندفعَت نحوَ قلبي، شعرتُ باختِناق لوهلة، لكن سرعان ما عادَت أنفاسي إلى طَبيعتِها، صرخ آصف قائلا:

- عينه! انظروا إلى عَينِه..!

ذهبتُ بسُرعة إلى أحد جدران الكهف الجليديّ لأرى انعكاسي، ورأيت أن عيناي تُضيء بنور أبيض غَريب، التفتّ إلى طوس وأنوبيس وقلت بتَوتر:

- ما الذي فَعلتُماه؟!

ابتَسما وقال طوس:

- ارمِش خمس مرات.

فعلت كما طلب، واختَفى النور، نظرتُ إليهم مجددًا وقلتُ بدَهشَة:

- ما هذا..؟

قال أنوبيس بهدوء:

- الآن ستَعود إلى عالمك، لكنك ستظلّ قادرًا على المَجيء إلينا في الأوقات المُحدّدة الّتي سوف نُبلِغك بها.

أضاف طوس:

- وسنَكون قادرين على زيارتك في عالمك، لكن بصوَر أخرى...

تدخّل آصف وقال:

- وما دخلي أنا بكلّ هذا..؟

قال طوس بتجهّم:

- اصمُت يا ولد، أنا لم أكن أنوي إشراكك في هذا لكن أصحاب اللّحى الزرقاء هم من طلبوا منّي ذلك..

ابتسمتُ وقلت لطوس بابتِسامة:

- أتعلم، يا عم طوس، أكثَر شيء سأفتقِده هو تَوبيخُك لآصف!

ضحكَ الجميع، ثم استَدركَ آصف قائلا وهو ينظُر نحو البوابة النجميّة الّتي بدأت تصغُر تدريجيًّا:

- هيّا يا أكحَل، الوقت يُداهمنا.

سلّمت على طوس وأنوبيس، وعندما تقدّمت لأُودّع آصف، قال مبتسمًا:

- لَم أُخبرك أنّني من سيُوصلك إلى الطرف الآخر!

سألتُه بدَهشَة:

- حقًّا؟ وكيف ستَعود..؟

غمزَ لي وقال:

- لديّ طرُق خاصّة.

تقدّمنا نحو البوّابة، ودخلنا معًا..

عندما دخلنا، وجدتُ نفسي في نفس الكهف الذي استَضافني فيه آصف في البداية، كان الجو مليئًا بالذكريات مَشيتُ ببطء أتنفّس هَواء الكهف البارد وقلت لآصف:

- وأخيرًا عُدت إلى الديار!

ابتسمَ آصف وقال:

- هيّا، سأُوصلك إلى منزلك. هناك الكثير في انتظارك... وتذكر مهمّتك لم تنتَه، لكن هذه المرّة ستكون في عالمك.

ابتَسمتُ بدَوري وقلت:

- يَبدو أن هناك الكثير يَنتظرني بالفعل.

خرجنا من الكهف ووقف آصف عند المَدخَل يفرِد جناحَيه، مُشيرا لي بالرّكوب، تقدّمت نحوه لأتمسّك بجناحيه، ولكن فجأةً سمعنا صوت طلقٍ ناري يُمزّق الهواء، رصاصة أصابَت جناح آصف الأيمن. وصرختُ بقوة:

- ما الذي يَحدُث!؟!

جَثا آصف على الأرض، يتألّم بشدّة، اقتربتُ منه وصرخت:

- آصف هل أنتَ بخير!

توجّهت نحو مَدخَل الكهف ونظرت إلى الأسفل، ورأيت مشهدًا أعاد إليّ ذكريات مؤلمة... هناك كان سِرب من أطباء الطاعون يقِفون بزيّهم الأسود المَقيت، وأحدهم يصرُخ:

- لن تُفلتَ هذه المرّة، يا عين الذّئب...!!!

توجّهت إلى داخل الكهف لأتفقّد آصف، الذي كان يُمسك جناحَه الدّامي بصعوبة، وقال لي بصوت مُنهَك:

- لا تقلَق... سأُشفى قريبا.

قلت له بتَوتّر:

- يبدو أن المتنوّرين علموا بعودتي، ماذا ستَفعَل الآن..!؟

ردّ آصف وهو يئنّ:

- لا تقلق... لديّ خطّة، عليك فقط التمسّك بي، سَننطلِق بسرعة.

حاول آصف النهوض مرّة أخرى، لكنه تلقّى رصاصة أخرى أسقطَته على ركبتَيه. نظرتُ إلى مدخل الكهف ورأيت ثلاثة من أطبّاء الطاعون يتقدّمون نحونا، والرجل الذي في المُنتصَف يُمسِك سلاحه الناري ويقول:

- لن تفلتَ هذه المرّة يا رقم واحد...

لم يكُن لدي خيار سوى القتال هاجمتُهم بكل ما أملك من قوّة، وكان آصف يحاول مُساعدتي رغم إصاباته.

تَمكّنا من إسقاط اثنين منهم أرضًا، لكن الثالث كان عنيدًا للغاية. لَكمتُه بقوة فسقطَ قناعُه، وعندما رأيت وجهه صُدمت.

كان نفس الفتى الذي شاركَني الزنزانة، نظرتُ إليه بصوت مَصدوم:

- أنت... أنت الفتى الذي كنت معي في الزنزانة... لماذا تقِف بجانبهم**!!؟!**

ابتسمَ الرجل وفمُه ينزِف، وقال:

- لم أتوقّع أن تتذكّرني بعد كلّ هذه السّنوات.

أمسكتُ رقبتَه وهزَزته بغضَب:

- لماذا انصَعتَ لهم**!!؟!**

أجاب الرّجل بهدوء، رغم ألمِه:

- لقد كانوا أقوى مني... ولم يكن لدي خيار آخر...

وفجأة، شعرتُ بطلقة تخترِق كتفي، وتبعَها صوت أنثويّ مألوف يقول:

- لقد تأخّرت كثيرا، أيّها السيّد..!!

تجمّدت في مَكاني، الألم لم يكُن من الإصابة بقَدر ما كان من الصّدمة. هذه الكلمات... تَشابكَت الخيوط في ذهني، وبدأت أفهَم، التفتّ نحو الرجل، وركّزت في ملامحه، تلك الشّامة السوداء على خدّه وملامح وجهِه...

قلت بصوتٍ مَبحوح:

- أنت... أنت يوسف..!!.

ضحكَ الرّجل بمَرارَة وقال:

- لقد كنت يوسف... واليوم أنا رقم ثلاثة.

لم أستطِع الاستِيعاب. لكن قبل أن أنطِق بأيّ شيء تلقّيت طلقة أخرى، ولكنها لم تُصبني. التفتّ لأرى من أطلق النار. كانت نفس المرأة تخلَع قناعها ببطء، وكشفَت عن وجهها وقالت بصوتٍ هادئ:

- ... وأنا رقم اثنين.

كان هذا الوجه مألوفًا للغاية. تجمّدت في مكاني، وتوقّف الزمن. إنها منار... صديقة طفولتي، يوسف ومنار. كيف تَحوّل أصدقائي إلى أعدائي..!؟

غَضبتُ وحَزنت في نفس الوقت ماذا عليّ أن أفعل الآن؟ هل أقاتلهم؟ أم أتركهم؟ بَحر من الأسئلة اجتاحَني وأنا مُتسمّر مَكاني لا أقوى على الحرَكة من هَول الصّدمة...

وقبل أن أتمكّن من التفكير، دخلَ سِرب من أطباء الطاعون إلى الكهف، يتقدّمهم رجل برِداء أسود وقناع يغطّي وجهه بالكامل، ضحكَ بصوتٍ عميق، وقال بابتِسامة ماكرَة:

- أهلًا بعَودتِك، يا رقم واحد...!!!

انتهت الصفحة الأخيرة...

تُمَّ التحويل إلى صيغة نصية بكل حب للتفاصيل بواسطة :فرانك بيتر

من رفوف مكتبة جاز على تيليجرام

للإنضمام اضغط هنا